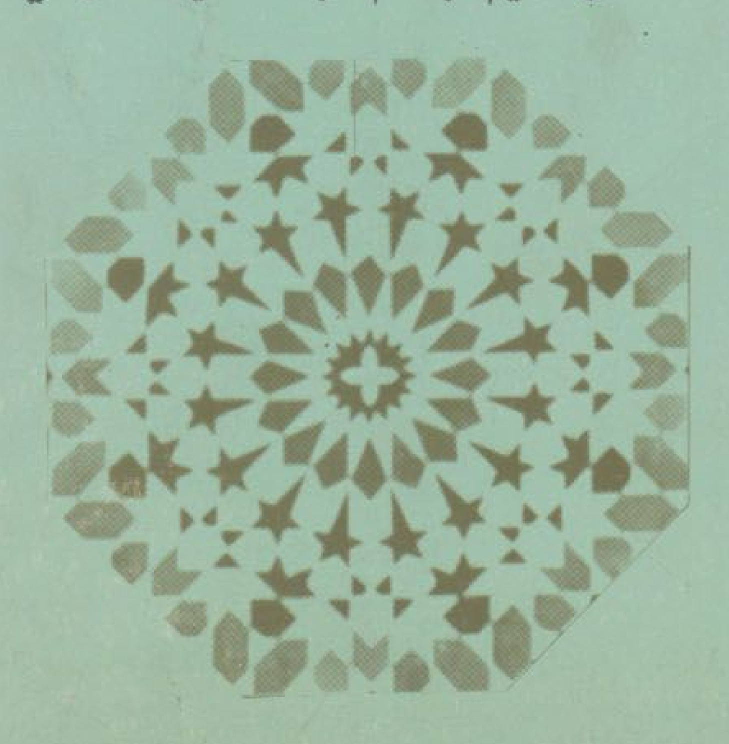


كتاب التراث الشعبي

١

عادات وتقاليد الحياة الشعبية العراقية

اعداد وتقديم: باسم عبدالحميد حمودي





كتاب التراث الشعبي

١

١٩٨٦

عادات وتقاليد الحياة الشعبية العراقية

اعداد وتقديم

باسم عبد الحميد حمودي

كتاب «التراث الشعبي»

سلسلة كتب تبحث في علم المأثورات الشعبية

في تقاليـــد
دورة الحيـــاة العراقيـــة

بـاسم عبد الحميد حمودي

دورة الحياة تتمثل في الميلاد والوفاة وما بينهما من تفاصيل عريضة تتصل بافـراح الانسـان واحـزانـه، وممـارسـاتـه الشخصيـة المثقلة بتأثير المجتمع المعاش بكل صورها.

لقد حاولنا في هذا الكتاب الجامع ان نقدم للقارىء المامة بتفاصيل دورة الحيـاة في العـراق معتمـدين على جهـد الكتاب الذين رادوا في هذا المجال واعطوا دون منة في حقل دراسات التراث الشعبي العراقي.

لقـد اعتمـدنـا مجلدات «التـراث الشعبي» في اختيـار هذه البحوث التي جاءت مغطيـة ـ كمـا نأمـل ـ للمسـاحة الجغرافية والاجتماعية مفردين بحثين عامين اولاهما في دورة الحياة في الوطن العربي وثانيهما في التراث الشعبي المقارن سدا للضرورة الخاصة في محاور من هذا النوع.

اننا نعترف مسبقا ان في حياة الشعب العراقي وفي تقاليده ومأثوراته الكثير من التفاصيل الغزيرة التي لايجمعها كتاب مفرد وان الأمر يحتاج الى سلسلة بحوث ودراسات لالكي تقربنا من الماضي القريب فهو ماضي متواصل مع الحاضر الغني ولكن لتستطيع ان تضع امامنا صورة التقاليد الشعبية الاصيلة بكاملها وماذاك بمستطاع في كتاب فرد.

ان الهدف الاساس من جمع وتوثيق صيغ التقاليد والعادات الشعبية ليس الحفاظ عليها بل استخدامها كمادة اجتماعية من اجل الدرس والتحليل في مختلف الدراسات واطلاع القارىء الكريم على صور الماضي القريب الذي تكفلت عجلة التطور الاجتماعي بتغييره.

انها خطوة على الطريق تخطوها مجلة (التراث الشعبي) تضع فيها امام القارىء الكريم الجوانب الاساسية من دورة الحياة في العراق آملة ان يتسع ميدان البحث لدراسات اوسع.

اننا نجد من الضروري هنا ان نحيي روح الريادة في بحوث من اخترنا لهم، ومن لم نختر بسبب تشابه المادة او تكرار موضوعها ـ معبرين عن شكرنا لدار الشؤون الثقافية العامة لرعايتها مشروع كتاب «التراث الشعبي» الذي يعتمد المحاور المختارة في هذا الحقل الجميل والشاق معاً خدمة للقارىء ولحركة الثقافة في القطر وعموم الوطن العربي

مَلامح تراثية مشتركة في تقاليد دورة الحيَاة العَربية

لطفي الخوري

التراث الشعبي علم من العلوم الانسانية ، له وظيفته الاجتماعية في حياة الانسان ، ولا تفهم هذه الوظيفة الا على ضوء دراسة التقاليد الاجتماعية لها ، فاذا تغيرت الحياة الاجتماعية ، غابت بعض من هذه التقاليد والعادات واختفت ، ولكن هذا لا يمنع من ظهور تقاليد جديدة تؤدي وظيفة جديدة .

ان للتراث الشعبي العربي عناصر مشتركة ، لها اسس حضارية واول هذه الاسس ، هو التشابه البيئي للاقطار العربية التي كانت قاعدة بناء حضاري ضخم ، وكذلك التزاوج بين سكان المناطق الصحراوية وبين سكان الوديان الزراعية ، الذي كان له اثر بعيد في حياة المنطقة العربية نتيجة تفاعل مستمر في المجتمع العربي وما له من طابع حضاري متميز .

وعندما نتحدث عن الملامح التراثية المشتركة في تقاليد دورة الحياة العربية أو في غيرها من مظاهر التراث الشعبي ، نرجع ذلك الى التعاقب الحضاري الذي سارت فيه المنطقة العربية منذ عصر ما قبل الاسلام الى أن تكاملت الحضارة العربية الاسلامية في مسيرتها ، « وما اوجدته هذه المسيرة من نمط معيشي متقارب ، ومن وضع اجتماعي وفكري متماثل ، ومن تجارب مشتركة في ميادين الحياة كلها ، نتيجة للاتصال المستمر بين اجزاء المنطقة كلها ، ونتيجة للصياغة الدينية واللغوية التي ميزت المنطقة عما حولها من مناطق »

ان هذا التعاقب الحضاري يعني تداخلا بين جميع مراحله التاريخية ويعني بالتالي الاحتفاظ بملامح قديمة تصاغ صياغة جديدة • ان العصر الحاضر الذي يشهد هذا التطور الحضاري السريع ، يحدث تغيرا عميقا في الحياة الاجتماعية في مختلف مضامينها واساليبها ، مما قد يؤدي الى زوال عادات — وتقاليد ، وقد يؤدي ايضا الى ظهور تقاليد وطقوس تحل محلها ، كما حدث في العديد من المجتمعات ، ان هذه العادات تؤدي بوجودها وظيفة اجتماعية ، تسقط وتتغير بتغير الحياة الاجتماعية ذاتها ، وهذا ما سنجده عند كلامنا عن الملامح التراثية المشتركة موضوع بحثنا هذا •

تنقسم دورة الحياة الى ثلاث مراحل :—

١ — الولادة

٢ — الزواج

٣ — الوفاة

لكل من هذه المراحل تقاليدها وعاداتها ، ولغرض الوقوف على الملامح التراثية المشتركة علينا ان نوجز ما استطعنا عرض هذه التقاليد والعادات في بعض الاقطار العربية ، على قدر ما لدينا من مصادر •

اولا — الولادة

لعل من ابهج الامور التي تسر بها العائلة العربية هي ولادة الاطفال فهم زينة الحياة ، وهم في نفس الوقت ثمرة الحياة الزوجية فكان الاحتفاء بقدومهم مناسبة عائلية رائعة وخاصة الذكور منهم ، اذ ما زالت بقايا ظاهرة كراهية ولادة البنات قائمة حتى يومنا هذا ، وخاصة في المناطق الريفية في بعض الاقطار العربية ، وقد ورثنا هذه الظاهرة منذ عصر ما قبل الاسلام ، ويحدثنا الاصمعي ان امرأة ولدت لرجل بنتا سمتها الذلفاء ، فكانت ولادة هذه البنت سببا في هروب الرجل من البيت فقالت :

ما لأبي الذلفا لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا ؟
يحرد ان لا نلد البنينا
وانما ناخذ ما يعطينا

وفي القرآن الكريم « واذا بشر احدكم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء مابشر به . ايمسكه على هون ام يدسه في التراب ؟ الا ساء مايحكمون » . وفي هذه الآية وصف للحالة التي كان فيها الاب عند اخباره بميلاد بنت له .

قلنا أن ظاهرة كراهية ولادة البنات مازالت قائمة في بعض الاقطار العربية ، ونجد في بعض البيئات الفلسفية — على سبيل المثال: حيث يعلق الناس أهمية كبيرة على جنس المولود ويفضلون الذكور ، تعامل الام التي انجبت بنتا معاملة سيئة ، فلا يقدم لها طعام جيد ، وتقابلها حماتها بالتجهم وقد لا تلقى معاملة حسنة من زوجها ، وفي مصر قد تعبر الام اذا ما انجبت بنتا وقد عبر المقطع التالي من اغنية شعبية عن مشاعر الام اذا ما انجبت ولدا وتلك التي ولدت بنتا .

لما قالوا ده ولد	انشد ضهري وانسند
ولما قالوا دي بنية	انطبقت الدار عليّ

ونجد في القطر السوري ، ان هذه الظاهرة تنعكس بعدم اكرام أم البنت مثل اكرام ام الصبي ولا تهدى لها الهدايا ولا يحتفل بها احتفالهم بأم الولد . وفي ليبيا نجد فتورا في مظاهر الفرح والتبريك اذا كان المولود انثى . اما في اليمن فان انجبت الام ذكرا اعطيت كسوة كاملة من اهلها وان كان المولود انثى اعطيت دثارا فقط . ونجد في العراق ان تفضيل الذكر على الانثى هو الاعتقاد ان البنت من حظ زوجها في المستقبل وانها لا تستطيع ان تلعب دورا مهما في الحفاظ على مكان بيت أبيها في حالة وفاته بدون ان يخلف وريثا ذكرا ، وينسحب هذا الاعتقاد على معظم الاقطار العربية ونجد ان الناس يكنون الاب باسم الذكر ، فان جاء المولود بنتا فانهم يكنونه باسمها بصورة مؤقتة الى ان يرزق بولد ذكر .

على ان هذا كله لا ينقص من مكانة البنت في المجتمع العربي ككل فنجد الام المغربية ، تهدهد لطفلتها قائلة :

بنتي فوطا د لحرير
والذهب في حواشيها ،
م تباع م تشرى
م ينعطى مال فيها

فهي اغلى من الذهب واعظم من كل مال .

ونجد في **الاردن** يعبر المثلان التاليان عن اهمية البنت لدى الام الاردنية :

البنت عند الزينين تشرك احسن من الولد الردى

و بنت مليحة ولا ولد فضيحة

وتحظى البنت البكر في فلسطين بعطف كبير ، ويتفاءل اهلها بقدومها فيقولون :

اللي يسعدها زمانها تنجب بناتها قبل صبيانها

وكذلك

ام البنات تمشي وتبات وين الصايغ يا مسعدات

وفي العراق لا يختلف الامر عند أم البنت فتقول :

ام البنات ام البنات تمشي وتبات

وين درب الصايغ يا لمسعدات

ونعود الى ولادة الصبي ، فنجد ان الاحتفاء بميلاده بشعائر تكاد تقترب من مرتبة التقديس ، فهو وارث لاسم العائلة وتقاليدها وشخصيتها ومثلها الحضارية واحتياجاتها الاقتصادية ، اذ يقول المثل الشعبي الاردني « **بيت رجال ولا بيت مال** » وفي فلسطين يفتخر الوالد بأنجاب الذكور، فتقاس ثروة الاب بعدد اولاده الذكور وبذلك تراه يربط بين عمله وانتاجه وعدد الذكور التي انجبها فيقول « **الاب عنده رجال عنده مال** » وفي مصر تلقى الام كل عناية من اسرتها عندما تلد ذكرا ، وفي ليبيا يطهون العصيدة صبيحة ميلاد الذكر ويكرمون جيرانهم ، وفي اليمن يعطى أهل الوالدة كسوة كاملة ان كان المولود ذكرا . وفي « ابو ظبي » ومعظم اقطار الخليج العربي ، يخيل للناظر ان العائلة التي انجبت صبيا وكأنها قد ولدت هي من جديد ، ولهذا يكثر اسم « **خليفة** » بين ابناء **الخليج العربي** ، وهو تعبير عن معنى ولادة الابن ، فالولد حقا خليفة لعائلته وفي سورية يسارع أحد افراد العائلة لاخذ البشارة من الاب فينقده هذا شيئا من المال فالمولود ذكر فلم البخل ، وتنفرج اسارير الاب بالحمد لله تعالى ، وترضع الام وليدها الذكر

مـن تديها حولين كاملين او اكثر ولا ترضـع البنت لاكثر من سـنة واحدة ٠

ثانياً – الزواج

انحدرت الينا التقاليد والعادات المتعلقة بالزواج التي كانت سائدة في عصر ما قبل الاسلام وخاصة تلك التي اثبتها الاسلام ٠ والقاعدة العامة في الزواج مراعاة علاقة الاصل بالفرع ٠ وكان الزواج المالوف المتعارف عليه عند غالبية الجاهليين ، هو ان يخطب الرجل الى الرجل وليته او ابنتـه فيعين صداقها اي مهرها ويسمي مقداره ثم يعقد عليها ، وهو زواج اليوم اي الزواج القائم على الخطبة والمهر وعلى الايجاب والقبول ٠

تتشابه عادات وتقاليد الزواج في جميع الاقطار العربية ٠ بشكـل عام وان كانت تختلف بعض الشيء في قليل من التفاصيل ، ففي **فلسطين** وخاصة في القرى يستطيع الشاب رؤية فتاته وهو الذي يقوم بانتقاء عروسه بنفسه ، بعكس ابن المدينة الذي يوكل غالبا امه أو أحدى قريباته لانتقاء عروسه ، وتتم اجراءات الخطوبة في القرى الفلسطينية بتقدم نفر من الرجال كبار السن يقال لهم الجاهة أو الواسطة بطلب يد العروس – رسميا من اهلها ، وبعد مشـاورة الخال والعم ، وهذه بطبيعـة الحال مـن النظم الاجتماعية السائدة التي تسمح بتفضيل حق ابن العم حتى على ابن الخال في الزواج من الفتاة ، وبعد الموافقة يتم دفع المهر عادة يوم الخطبة ، ثم يحدد موعد الزفاف الذي تستمر مراسيم الفرح فيه عادة اسبوعا كاملا ويحتفل الرجال بالثلاث ليالي الاخيرة منه ، وتخصص احدى هذه الليالي للنسـوة فقط حيث يقمن بتزيين العروس بالحناء ، ويتم عجن معجـون الحناء في دار العريس وياخذنه في موكب غنائي الى بيت العروس ، حيث يقمن بحناء يدي العروس حتى الرسغ وقدميها حتى الركبـة ثم تتقاسـم النسوة ما بقي من المعجون ويتزين به ، ويكون يوم الزفاف يوما حافلا ، ويحتفل الشباب بالعريس عند حلاقته وعند استحمامه ثم عند زفته ٠

اما في **الاردن** فلعل ابرز سمتين من سمات الزواج في الاردن – بصورة عامة هي الزواج المبكر وزواج الاقارب ، وبقدر ما للزواج المبكر من قيمـة عالية عند الريفيين ، على الاقل ، فان الزواج المتاخر عند سـكان المدن هو المفضل ، ويلاحظ ان سمة تفضيل الزواج من الاقارب ذات قيمة كبيرة عند

معظم الناس من القرويين او من سكان المدن ، يبدأ الزواج بمرحلة (الطلبة) وهي الخطوة التمهيدية التي تسبق عقد القران ففيها يتم اختيار الشاب للفتاة ، كما تتم فيها اجراءات معينة تمليها القيم والعادات كقراءة الفاتحة والاتفاق على المهر • وقبل ان تتم الخطبة تذهب (**الجاهة**) وهي وفد من الرجال المقربين الى العريس لطلب يد العروس مـن ابيها أو ولي أمرها ، ويكون هذا عادة في المسـاء ، ويتم الاتفاق على المهر ومن الملاحظ ان المهر يرتفع عادة بارتفاع مكانة والد العروس اجتماعيا كما لوحظ ان المهر قد اصبح في هذه الايام شيئا رمزيا ، حتى ان معظم الاباء لا يأخذون مهرا عند تزويج بناتهم ، وقد يعمد بعض القرويين الى التحايل على المهر فيقومون بزواج (البدل) او (البدايل) عندما تتفق اسرتان على تزويج كل واحدة من الاسرتين ابنها أو ابنتها لابنة الاسرة الاخرى او ابنها دون ان يكون ثمة مهر • ويعبرون عن ذلك بالمثل الشعبي الذي يقول (**راس قبال راس ولا تشمت الناس**) • وعقد القران هو المرحلة التالية لمراسيم (الطلبة) ويحدد يوم القران الرسمي الذي تجري فيه المراسيم المكملـة بحضـور المأذون الشرعي ، ويولي الناس عناية بالغـة بعقد القران او كتابة الكتاب (ويطلق عليه اسم الملاك) ، ويدعى لذلك الاهل والاصدقاء والمقربون من الجيران • اما الوقت المناسب للزفاف او العرس أو (الجيزة) في معظم القرى الاردنية فهو فصل الصيف ، وبعد بيع المحصولات الزراعية • وجرت العادة ان تبدأ الاحتفالات بالزفاف قبل يومي الاثنين أو الجمعة بثلاثة أيام اعتقادا بان يومي الجمعة والاثنين قد اختصا بالبركة وحسن التوفيق والسعادة • وفي ليلة الحناء تعجن قريبات العريس الحناء ثم يحملنها الى بيت العروس بعد وضعها في اوان نحاسية ، وتبدأ عملية حناء العروس ، تتحنى يداها حتى المعصم وقدماها حتى الرسغ ، وفي عشية يوم الزفاف تقام في بيت العريس سـهرة كبرى ، وتسمى ليالي العرس في معظم المناطق الاردنيـة بليالي (**التعليلـة**) أو (**السـهرة**) وبعد ان تنتهي التعليلة أو السـهرة ويتقدم الليل ، يقوم اصدقاء العريس بزفه الى عروسته ويدخل الغرفة التي تجلس فيهـا •

اما في **القطر العراقي** وخاصة في الارياف فيكاد يكون الزواج من ابن العم هو النوع الشائع • وهناك نوع ثان يطلق عليه زواج البدل أو زواج

– (الكصة) أو (الصدغ) ، والكصة في اللفظ العامي هي الجبين ، والصدغ معروف في اللغة اي ما بين العين والاذن والمقصود بالمصطلحين المحاذاة اي التساوي ، ويعني هنا زواج البدل وهو اتفاق عائلتان على تزويج ابن احداهما لفتاة العائلة الثانية وتزويج فتى العائلة الثانية لفتاة العائلة الاولى وهنا لا يكون للمهر اية قيمة ، اذ تقوم كل من العائلتين بتحضير لوازم الزواج على ان يكون ما تنفقه كل عائلة مساويا لما تنفقه الاخرى .

اما الزواج الاعتيادي أو زواج المهر فهو الشائع الاهم في مختلف الاسر العراقية ، وتكاد لا تختلف تقاليد واسلوب هذا النوع من الزواج بين المدينة والريف وان تفاوتت بعض الشيء ، فاختيار الزوجة في الريف يقع على عاتق ، والدة الفتى ، اذا لم يكن الفتى قد وقع اختياره على فتاة معينة ، والمظهر الاول بعد الاختيار هو الاتفاق على المهر بعد موافقة عائلة الفتاة على طلب عائلة الخاطب ، والعرف السائد في الريف العراقي هو ان تذهب ام الفتى أو أحدى قريباته مع جمع من نسوة القرية يطلبن يد البنت من امها ، بعد ان يكون قد تم الاتفاق قبلا بين ام الفتى او قريبته ، وتطلب ام الفتاة ان يفاتح والد الفتاة للحصول على موافقته يفاتح هذا من قبل والد الفتى ومن معه من الاقارب والاصدقاء ثم يبدأ الاتفاق على مبلغ المهرين المعجل والمؤجل. والعادة ان تقوم عائلة الفتاة بمتطلبات عش الزوجية الجديد بعد استلامها للمهر المعجل وباشراف الزوج أو من يمثله .

وأولى مراسيم الزواج هو عقد النكاح ، ثم تقام حفلة الحناء وتكون عادة ليلة الخميس في كل من بيت العريس وبيت العروس في آن واحد ويتشاءم المجتمع القروي من زواج لا تكون (حنته) ليلة الخميس ولا يتم هو ليلة الجمعة ، والعادة أن يدعو أهل العروس الاقارب والمعارف والاصدقاء الى حفلة مسائية توقد فيها الشموع في صوان وتثبت اغصان شجيرة الآس جوارها في عجينة الحناء وتحتوي صينية العرس اضافة الى ذلك على نسخة من القرآن الكريم واوان صغيرة مملوءة بالحلوى ، ويتم تخضيب يد العروس بالحناء .

أما ليلة الحناء في بيت العريس فهي مشابهة لحفلة حناء العروس ولكن دون شموع وصوان وما شاكل ، ثم تبدأ في اليوم التالي ليلة الزفة

والدخلة ، حيث تكون مساء وبعد ان يتناول العريس عشاءه في وليمة يقيمها له اصدقاؤه او يقيمها هو لهم، ثم يذهب الى الجامع لتأدية صلاة العشاء ، ثم يعودون به الى البيت ليزف الى عروسته ٠

أما في معظم المدن العراقية ، فبعد اختيار الفتى للفتاة يذهب اهله لخطبتها من اهلها ، وبعد ان تتم الموافقة الرسمية على الخطوبة يحدد يوم معين للاتفاق على المهر ، وبعد الاتفاق يعين يوم (**العقد**) ويجري عقد القران في دار العريس أو دار أحد اقربائه وبحضور المأذون او وكيل القاضي الى دار العريس حيث تجري المراسيم المعتادة بعد رضاء وكيل عن الطرفين ، ثم يحدد يوم الزفة وهو المعروف بليلة الدخلة تسبقها ليلة الحناء فتخضب يدا العروس وقدماها بالحناء ، وقد اوشكت عادة استعمال الحناء في الزواج على الانقراض ومن تقاليد المدن ان يرافق العريس اثنان من اخلص اصدقائه يعرفان باسم (**السراديج**) يلتزمان بمصاحبته عند الخروج من باب المسجد بعد صلاة العشاء حتى ينتهي زفافه بدخوله على عروسه ٠

أما في **القطر المصري** ، فنرى سكان الريف يفضلون الزواج المبكر والزواج من الاقارب وخاصة من ابناء الاعمام ، وقد عبر عن ذلك المثل الشعبي الذي يقول (**نار القريب ولا جنة الغريب**) ويرجع السبب في تفضيل الزواج من الاقارب الى الرغبة في الاحتفاظ بالميراث داخل الاسرة والاحتفاظ بالتماسك العائلي ٠ وبعد مراعاة المثل الاجتماعي في اختيار العروس ، تبدأ احتفالات الزواج باتفاق على الخطبة والمهر ، ثم تجيء ليلة كتب الكتاب ويعج بيت العروس بالاهل والاصدقاء ، وتجلس العروس في ابهى زينتها وقد وضعت قدميها في وعاء به ماء ونعناع اخضر ، كما تضع في فمها قطعة من السكر ، وعلى راسها المصحف الشريف مفتوحا على سورة يس ، وفي ليلة الحناء وهي الليلة السابقة على ليلة الزفاف تحضر الحناء للعروس وجميع المدعوات ويخضب الجميع ايديهن وأرجلهن بالحناء ثم يحين موعد الزفاف فتؤخذ العروس الى بيت زوجها ٠

وفي سورية يبدأ الزواج بالخطبة ، بعد ان يختار الشاب الفتاة التي يرتضيها لنفسه ويفضل ايضا الزواج بأبناء العمومة لان ذلك ادعى للتفاهم واحترام المثل ورعاية التقاليد ، وقد يتحكم الاهل بترشيح زوجة الابن وقد تفرض عليه بالقوة ، وقد تعين منذ الطفولة وتقرأ الفاتحة بعد الموافقة

على الخطوبة ، تبدأ عملية شراء الجهاز ، ثم يتم تحديد يوم (كتب الكتاب). ويكون في دار العريس ، وبعد هذا يحتفل أعمام العروس . ويأتي اهل العريس الى بيت العروس حاملين الحناء في طبق نحاسي كبير وحولها الشموع ، ثم يحل يوم العرس الذي يسمى بالعمدة حيث يأتي وفد من أهل العريس من رجال ونساء لحمل العروس الى دار زوجها في موكب كبير يسمى الفاروة . أما العريس فبعد ان تتم حلاقة شعر رأسه ، يؤخذ الى الحمام في موكب حافل ، وبعد ذلك يدعى العريس الى دار أحد اصدقائه لتقام له حفلة التلبيسة ، حيث تتلى فيها قصة المولد النبوي الشريف ، ثم يؤخذ العريس الى غرفة خاصة حيث يلبسه اصدقاؤه ثياب العرس ، ويعطرونه ثم يجلس في مكان بارز ، ويسعى الشباب الى عدم اطالة الحفلة ، فيؤخذ العريس بعدها في مسيرة راقصة حافلة الى ان يصل الجميع الى دار العريس ، حيث تقرأ الفاتحة يليها الدعاء بالتوفيق والالفة بين العروسين وينسحب الجميع ، عدا العريس وأبيه واخوته فيدخل داره حيث تستقبله امام الباب والدته واخواته وتنهض العروس لاستقباله ثم يسيران معا للجلوس على منصة عالية وبعد جلوسهما يرفع العريس الخمار الابيض الذي يحلي وجه الفتاة ، ثم يدخل العريس وعروسه الى غرفتهما ، وتستمر فترة العرس واقامة الافراح سبعة أيام .

وفي ليبيا نجد في المدن ان ام الفتى أو احدى اخواته او قريباته تذهب الى بيت الفتاة ويتم خلال هذه الزيارة التعرف السريع على الفتاة واسرتها ، ثم تفضي لهم برغبة عائلتها في مصاهرتهم ، فاذا تم الايجاب ترجع الى بيتها لتخبر والد الفتى بما تم الاتفاق عليه ، وتفعل ذلك ام الفتاة ، وعند قبول الطرفين لهذه الخطوبة تحدد بينهما النقاط الاولية وترجع أم الفتى ثانية الى بيت الفتاة لمناقشة تفاصيل مطالب الاسرتين من حيث ما يجب احضاره من ملابس وحلي وتكاليف العرس ، أما في الريف فان ام الفتى تخبر زوجها بوجوب تزويج ابنهما وتلمح له عن الفتاة التي اختارتها زوجة له . وعند اقتناع الاب برأيها يقوم بمفاتحة والد الفتاة بحضور احد الذين لهم مكانتهم ، فاذا حصلت الموافقة ، يتم الاتفاق على المهر ، ثم يؤتى بكسوة العرس من المدينة وتذبح الذبائح ، وفي اليوم الثاني يجهزون ما اشتروه من ملابس العرس وما يحتاجه أهل العروس من

حاجيات التي يلتزم أهل العريس باحضارها مع الكسوة ويضعون جميع هذه الحاجيات على جمل ويتجهون بها الى بيت العروس ، وفي ليلة العرس لا يعود المدعوون الى بيوتهم الا بعد آن يدخل العريس الى عروسته ٠

جرت العادة في اليمن ان يتعجل الاهل في زواج ابنائهم ، اذ لا يكاد الفتى يبلغ الحلم حتى يبحث له ابوه عن فتاة مناسبة له ، ويعود سر التعجل هذا ان الابوين يهدفان من وراء ذلك الاستفادة من زوجة الابن الى جانب اسماده ، وتبدأ مراحل الزواج بالبحث عن الفتاة المطلوبة ، فان وجدت في العائلة أو في الاسرة نفسها فذلك ايسر واوفق وان لم تتوفر فيها كل الصفات المطلوبة من كل وجه . وتحرص الاسر الثرية على التزاوج من داخل الاسرة نفسها لكي تبقى التركة محصورة ومتوارثة فيها خوفا من انتقالها عن طريق الزواج خارج العائلة اما المهر فان كان الزواج من الاسرة نفسها فهو أقل كثيرا منه اذا كان الزواج من خارج الاسرة كما ان المهر يكون أقل اذا كان الزواج من نفس المدينة ويكون اكثر ان كان الزواج من بلد آخر ٠ اما اذا رغبت اسرة الفتى ان تزوجه من خارج الاسرة ، فان كان في المدينة فالبحث عن الفتاة المطلوبة يتطلب جهدا عظيما ، اذ ان الفتاة ان كانت من الاسر الكبيرة المناصب تعزل عن غير افراد عائلتها منذ ان تبلغ العاشرة من عمرها ، فلا تظهر للرجال ولا تختلط من النساء الغريبات وتظل في البيت لا تخرج منه ، ولا يتسنى للراغب في الزواج منها ان يتبينها على حقيقتها ، وتضطر اسرة الفتى الى ارسال من تثق فيه من النساء لزيارة اسرة الفتاة ومحاولة التعرف عليها ، واذا لم يتيسر لها ذلك فانها تسال الجيران عنها ، واذا توفرت المعلومات لدى اسرة الفتى عن جمال الفتاة واستقر رأيهم عليها ، عندئذ يكلفون شخصا معروفا لدى الاسرتين للاتصال بولي الفتاة ويخبره برغبة فلان بزواج ابنه من ابنته ، فاذا كان الزوج واسرته معروفين لديه فانه يطلب مهلة من الوقت ليعرض الامر على زوجته وابنته ثم يبلغه بما استقر عليه الراي ، فان كانوا غير راغبين في ذلك الفتى فانهم يعتذرون بان الفتاة مخطوبة لابن عمها او لاحد من اقاربها أو لشخص آخر ٠ اما اذا كانت الفتاة من البادية فلا يحتاج التعرف عليها الى كبير عناء لانها تظل سافرة الوجه . ويبدأ الاستعداد للزواج بشراء اسرة الفتى ملابس العروسين وخياطتها ، كما تقوم اسرة العروسين بطحن حاجة العروس من الحب وشراء السمن والعسل والبيض والغنم من ذكور الضأن وغير ذلك من عطور وبخور وشمع وحناء اللازمة للعرس ، وتكون ليلة الجمعة عادة موعد الزفاف ،

وتذهب العروس في يوم الثلاثاء السابق لليلة الجمعة الى الحمام في موكب مع مجموعة من النساء من اقاربها وجيرانها وصديقاتها ، وبعد الاستحمام تعود الى البيت في موكب حافل وتستقبلها النساء بالزغاريد وتقام في مساء نفس اليوم حفلة سمر بعد تناول طعام العشاء وتقوم أحدى النساء بتخضيب قدمي العروس ويديها بالحناء وتقام في يوم الخميس مادبة غداء في بيت العروس تدعى اليها اسرة العريس ، وينصرف بعدها العريس مع اهله الى الحمام ، وبعد العشاء يذهب مع اصدقائه الى اقرب مسجد ويعود من هناك الى بيته وفي المساء اي في ليلة الجمعة تقام سهرة في منزل العريس ، ويذهب بعدها وفد من اصدقاء اسرة العريس لمرافقة العروس من منزل اهلها الى منزل زوجها ، وتذهب بعد وصولها الى الغرفة المخصصة لها ولزوجها وتدخل معها الوصيفة التي ترفع الخمار من على وجه العروس فيضع الزوج يده اليمنى على جبين زوجته وهو يقرأ الفاتحة ثم تنصرف الوصيفة ويبقى الزوجان وحدهما .

نجد في المغرب ان اهل الفتى ، بعد أن وجدوا الفتاة التي تليق بابنهم ، يرسلون أحدى قريباتهم الى أهل الفتاة مخبرة اياهم ان اهل فلان سيزورونهم للخطبة ، وتخبر ام الفتاة والدها بالامر فيذهب هذا بالتحري عن حالة الفتى وحال اسرته ، فان وجد ان لا مانع من قبول الخطبة اذن لزوجته بفتح صدرها للزائرين ، اما اذا وجد ان الامر لا يشجع على قبول الخطبة يخبر زوجته بذلك فتقوم هذه بدفع الخطابة بالتي هي أحسن ، ويكون العذر عادة انها مخطوبة لابن عمها ، لان لابن العم الحق ببنت عمه قبل غيره ، وفي حالة الاستجابة يذهب والد الفتى الى بيت والد الفتاة مصطحبا معه جملة من الاهل والاصدقاء وبعد اخذ الجواب النهائي يتفق الطرفان على مقدار الصداق (أي المهر) ويقتصر خبر الخطبة على العائلتين فقط الى حد الان ، ثم يتم اختيار نهار الفاتحة ويكون يوم جمعة عادة ، ويجتمع الطرفان مع اقربائهم واصدقائهم بعد صلاة العصر في ضريح احد الاولياء ويتوسط العائلتين امام او عالم ويقرأ سورة الفاتحة بصوت منخفض ويتبادل الجميع التهاني ، وبعد فترة الخطوبة واكمال حاجات الزواج ، يختار فصل الصيف عادة للاحتفال بالزواج ، ولا يصح ان يتم الزواج في رمضان أو عاشوراء . وقد جرت العادة ان تذهب العروس الى الحمام قبل

ليلة الزفاف بخمسة عشر يوما مرة كل يومين ، وبعدها تقوم وصيفتها بتخضيب رجليها بالحناء · وفي اثناء ذلك نجد ان العريس قد سكن دارا مجاورة لدار والده ، تقام فيها الاحتفالات قبل ليلة الدخلة ، وفي مساء ليلة الدخلة يحمل العريس على اعناق رفاقــه من الدار المجاورة الى دار والده ، ويأتي الحلاق لحلاقته ويبلل اصدقاؤه شعر رأسه بماء الآس لانه فال حســـن · وفي هذه الليلـــة يذهب موكب كبير الى دار العروس واهل العريس الى دار زوجها الذي ما زال في الدار المجاورة ، ويذهب اليه اصدقاؤه مع عدد من الوصيفات اللواتي يحملن معهن الكسوة التي قدمتها اليـــه الزوجة ويعينه أحد اصدقائه على ارتدائها ، ينتقل بعدها الى داره ، فيجد والده في استقباله فيسلم عليه في استحياء ثم يدخل المنزل ليجد والدتـــه فيهوى على قدميها ثم يتقدمون به الى حجرتـــه حيث جلســـت العروس في الصـــدر فيجلس وراءها وتقوم الوصـــيفات برفع النقاب عن وجهها ليراها الزوج ، ثم يعاد النقاب لما كان ، ويقوم الزوج بوضع يمناه على كاهلها ويقرأ آية الكرسي ، ثم يقوم الاثنان بدخول الخدر ويحاول كل منهما الدخول قبل الاخر ، اذ تحكي العادات ان السابق في دخول الخدر يكتب له الاستيلاء على قلب الاخر ·

تقام اغلب حفلات الزواج في الجزائر اثناء موسم الصـــيف ، ويبدأ الزواج عادة بالخطوبة التي تبدؤها النساء ويتمها الرجال ، وبعد ان يتم الاتفاق على مقدار المهر تتلى فاتحة القرآن الكريم يليها تقديم القهوة للضيوف ، وقد يعطي ذوو الخاطب مبلغا من المال الى ذوي المخطوبة ، ثم يتفق الطرفان على اعلان الخطوبة ، ويدخل والد الخاطب على الفتاة المخطوبة ومن معها من عماتهـــا وخالاتها وقد تكون امها معهـــا فيعطي والد الخاطب للمخطوبـــة وللجالسات معها مبلغاً من المال وسط زغاريد النساء ، ويغادر والد الخاطب دار المخطوبة بعد ان يكونا قد اتفقا مع اهلها على يوم الزفاف ، تقوم اسرة الفتاة بتهيئة لوازم العرس فتشتري الحاجات التي تأخذها العروس الى دار عريسها بجزء من المال الذي اعطي لاهلها ، وتسمى هذه المشـــتريات بالجهاز ، تقام مراسيم الحناء في بيت العروس فتحنى العروس ومن معها من صاحباتها ، اما ليلة الحناء عند أهل العريس فتبدأ بعد انتهاء الضيوف من تناول الطعام ، فيذهب العريس الى غرفة اخرى مع طائفـــة اخرى من

اصدقائه فتأتي امرأة من اقاربه ترافقها مجموعة من الفتيات ، ثم يوضع اناء الحناء وفيه أربع شموع مشتعلة وبين شمعة واخرى قطعة من السكر، وتوضع جنب اناء الحناء صينية مملوءة بالحلوى ومعدات القهوة ، فيمد العريس يده ، فتوضع الحناء على اصبعه الثالث والرابع ويوضع فوقهما المنديل • وفي الصباح يتحرك موكب أهل العريس متوجها الى دار العروس ، وبعد الوصول تدخل النسوة دار العروس مزغردات مغنيات ، بينما يبقى الرجال خارج الدار ، ثم تخرج العروس فيتلقاها رجل من ذوي العريس يركبها حصانا وقد هيأ فوقه هودجا ترافقها امها على ركب آخر ثم يتبع ذلك ركب بقية النساء ،ويتبع الجميع ركب اهل العريس من نساء ورجال. وعند وصول العروس الى دار زوجها يتقدم أحد الرجال ويقوم بانزالها من هودجها ،ويقودها الى الدار ،وقبل دخولها تتوقف على عتبته لتنثر مجموعة من النساء التمر على راسها ويرشونها بقطرات من الحليب • تجلس العروس بعد دخولها على سرير اعد لها ثم يقدم طعام الغداء لموكب العروس ، ثم يعرض بعد ذلك جهاز العروس على المدعوات ، ثم يذهب العريس الى السوق مع اصدقائه لشراء الحلويات وهدية من ذهب أو فضة للعروس مع بعض الملابس الخفيفة ثم عند المساء يقدم طعام العشاء وبعد الانتهاء منه يتقدم العريس مع بعض اصدقائه الى غرفة العروس حيث يتركه الاصدقاء ليدخل على عروسه بعد ان يأخذ معه الهدايا التي كان قد اشتراها ويضعها جانبا. ويسلم على عروسه ويكلمها ، ثم يقدم لها قطعا من الحلوى والهدايا التي جاء بها وكذلك خاتما من ذهب او فضـــة •

ثالثا — الوفـــاة

انحدرت الينا منذ عصر ما قبل الاسلام بعض من التقاليد والعادات المتعلقة بالوفاة ، منها لبس البسة خاصة تكون شعارا خاصا بالحزن وكان اللونان الابيض والاسود هما اللونان اللذان تتخذ منهما الملابس في الحزن ، فقد لبس عرب ما قبل الاسلام الملابس البيض ، كما لبسوا الملابس السود ، وما زال اللون الاسود شعار الحزن حتى الان • وكان حداد المرأة على زوجها حدادا صعبا عسيرا ، عليها في هذه المدة الإمتناع عن الزينة والطيب امتناعا تاما • وكان من عادات الجاهليين ذر التراب على الرأس وترك الشعر ينمو

دون حلق ، وما زالت بعض من هـذه العادات سـارية حتى يومنا هذا ٠
والولولة والنياحة على الميت من التقاليد التي تشدد فيها أهل الجاهلية ٠
وفي الشعر الجاهلي أبيات يحث فيها الشعراء اهلهم ويوصونهم بالبكاء
والنوح عليهم اذا ماتوا ٠ فقد ذكروا أن طرفه بن العبد خاطب ابنة اخيه
معبد بهذا البيت :

فان مت فانعيني بما أنا اهلـــــه
وشـــقي علي الجيب يا ابنـــة معبد

وقد نهى الاسلام النياحـة على الميت فقد ورد في الحديث الشريف
« ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » ٠ وغسل
الجاهليون موتاهم بالخطمي والاشنان وما شابه ذلك من مواد كما وضعوا
الطيب مع الكفن ، فقد ذكر اليعقوبي انه لما مات عبدالمطلب « اعظمت قريش
موته وغسل بالماء والسدر ٠٠ وطرح عليه المسك »

ويحمل سرير الميت الذي وضع عليه على الاكتاف لايصاله الى قبره ،
ويقال له (النعش) ايضا ، ويتبادل الاقرباء والاصدقاء في حمل نعش الميت
احتراما له وتقديرا لشانـــه ٠

ولنستعرض الان استعراضا سريعا بعض العادات والتقاليد المتعلقة
بالوفاة في بعض الاقطار العربية ، فنجد في بعض قرى ومدن فلسطين ان
النساء يلبسن ثيابا سودا عند موت أحد افراد العائلة ويلطخن وجوههن
بالطين ويشققن ثيابهن ويرددن الحانا حزينة يترحمن بها على الفقيد ويعددن
محاسنه وخصاله ، وتشارك الجارات والمعارف في الندب وذلك مجاملة لاهل
الفقيـــــد ٠

اما في الاردن فتتجمع كل نسوة الحي وقد تلففن بالسواد ويذهبن
الى بيت الفقيد ليشاركن أهله في مصابهم وبكائهم ، وقد يعمد البعض الى
افراغ دلال القهوة حدادا على موت شيخ من شـيوخ القبائل أو العشـائر
ويذرفن الدموع ويمزقن الجيوب ويعفرن رؤوسـهن بالرماد والتراب ٠
وتعقد النسوة (مناحات) قد تدوم أربعين يوما ، وقد يخدشن الخدود
ويغسل جسد الميت ويلف بالكفن وتوضع عليه العطور والحناء ، ثم يحمل
الى المسجد حيث يصلى عليه استعدادا لدفنه ٠ وعندما تتم مراسيم الدفن

يتقبل أهل الفقيد العزاء من الجميع ، ويذبح ذوو الميت شاة تطهى وتقدم للفقراء والمحتاجين والمقرئين . وفي بعض المناطق الاردنية ينحر ذوو الميت شاة كل يوم طيلة اسبوع كامل ، ويحيي ليلة الوفاة أحد المقرئين الذين يجيدون تلاوة القرآن ، بينما يستمر العزاء طيلة الليل والليالي الثلاث التالية ، وتتم زيارة القبر صباح كل يوم ولمدة ثلاثة أيام ايضا بالاضافة الى يوم الجمعة من كل اسبوع عصرا . حيث تستمر في العادة اربعين يوما او ربما سنة .

ونجد في **القطر السوري** اذا حضرت أحدهم الوفاة امتنع الاهل عن الصياح ريثما يرتبوا دارهم ولا ينكشف حالهم سوى حال الميت وبعد ان يصلحوا من شأنهم اذن لهم بالعويل والصياح ، فمنهم من يمزق الثياب ويلطم الخدود ، ومنهم من يكفيء قدور السمن وجرار المؤونة وقد يؤذن للمتوفي بالمآذن فيؤذن هؤلاء بعد الفاتحة بنغم خاص . سبحان الاول بلا بداية ، سبحان الاخر بلا نهاية .. فيا أيتها النفس المطمئنة أرجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي .. انتقل الى رحمة الله ورضوانه واسكنه فسيح جناته المرحوم فلان بن فلان .. الخ. ويتوافد الناس الى دار الفقيد لتقديم خدماتهم وبعد ان يتم اعداد ما يلزم لتجهيز الميت كالحناءوالآس المطحون والترابالناعم وماء الزهر وعطر الورد بالاضافة الى القطن والاكفان يتم غسل الميت على أنغام لا اله الا الله محمد رسولالله وقراءة الفواتح . ويسعى أهل الفقيد بتجهيزه بسرعة لان « **اكرام الميت ترجيله** » وبعد ان يسجى بالنعش يتسابق الشباب الى حمله اكتسابا للثواب والاجر من الدار حتى الجامع فالمقبرة ، وهناك ، يؤذن للجنازة وتقرأ لها سبع فواتح . ويقف أهل الفقيد على بعد خطوات من القبر يتقبلون التعازي ، وفي المساء يأتي الناس الى الدار أو الى المسجد حيث تتلى قراءة القرآن وتوزع القهوة المرة وتستمر التعزية ثلاث امسيات متتالية .

اما في **اليمن** فتبدأ مراسيم تشييع الفقيد بابلاغ الاصدقاء وغيرهم بنبأ الوفاة ، ففي بعض المدن الكبرى ترسل مذكرات صغيرة مفتوحة مكتوب فيها الحضور لتشييع الجنازة بعد كتابة نص الآية الكريمة « **كل نفس ذائقة الموت** » . ويقوم الحلاق بتوزيع هذه الرسائل ، وفي المدن الاخرى

يكتفي اولياء الفقيد بابلاغ الاصدقاء عن طريق الحلاق الذي يقوم بالمهمـة شفويا بطرق ابواب منازلهم واعلامهم بالنبأ وعندما يكتمل تجهيز الميت يحمله اقرباؤه والمشيعون على الاكتاف بالتناوب الى المسجد للصلاة عليه ومنه الى مثواه الاخير · ويقف اقرباؤه خلف النعش يتقبلون عزاء المشـيعين ، ثم يوضع النعش على طرف القبر ويقرأ الحاضرون سورة يس وعندما يتم لحد الميت ، يقف اهله واقرباؤه وانسابه في صف طويل لتقبل عزاء من اشترك في التشييع ، ثم ينصرف الجميع ، ويبقى اقرباء الفقيد لسماع رأي اسرته حول العزاء ، هل يطلبون من اقربائهم عدم تكليف انفسهم بالمشاركة في صنع الطعام ام يسكتون ، ومعنى السكوت السـماح لهم والدعوة بالمشاركـة في العزاء ، فيصنع كل منزل من منازل اقربائه طعاما كاملا ، ويذهب افراد الاسرة مع طعام الغداء لتناولـه في بيت الفقيد وعلى اسرتـه ان تقيم طعام العشاء لمن شارك في صنع طعام الغداء ، ويدعى لحضوره الجيران والاصدقاء ومن شارك في غسل الميت وتكفينه · ويخرج الرجال في الايام الثلاثة الاولى قبل صلاة المغرب الى أحد المساجد القريبة من منزل الفقيد ويشترك المصلون في قراءة سورة يس وبعض آيات متفرقة من القرآن الكريم ، ثم الصلاة على الرسول العظيم ، ثم يدعو أمام المسجد او أحد الفقهاء بادعية معروفـة للفقيد ، ويتخلل فقرات الدعاء قراءة الفاتحة ويقوم الخدم برش الحاضرين بماء الورد ، يتبعه شخص آخر يحمل مبخرة يتصاعد منها دخان طيب العود ليدور بها على الحاضرين ·

وفي **القطر العراقي** وفي بعض مناطقه يغسل الميت ويوضع له السدر والكافور ويكفن ، ثم تؤخذ الجنازة الى المدافن حيث يصلى عليه ، وتقام الفاتحـة في دار الفقيد لمدة ثلاثـة أيام ويتردد اليها الاقارب والجيران ·· والاصدقاء وتوزع فيها القهوة المرة ، وقد يجلب بعض المعزين السـكاير والكبريت أو أكياس الرز والسكر او الدهن وفي اليوم الثالث يذبح ديك ان كان الفقيد ذكرا · ودجاجة ان كانت الفقيدة انثى وبه تنتهي الفاتحة · وبعد مرور اربعين يوما على الوفاة ، تصنع « **حلاوة تمن** » وتوزع على الجيران ثم يؤتى بالملة لتقرأ وتندب حيث تأتي صباحا وتبدأ بالقراءة فتبدأ النسوة باللطم ، ويرسل أهل الفقيد الدجاج والرز والخبز والتمر الى الجامع في كل ليلة جمعة سبع مرات حيث يوزع على الفقراء ، وبعد مرور سنة على الوفاة يؤتى بالقارىء حيث يبدأ بتعداد مناقب الميت ومآثره وتذبح ذبيحة بهذه المناسبة ·

ونجد في مناطق اخرى من **العراق** ان الفقيد يحمل على نعش من بيته الى المسجد الجامع حيث تقام صلاة الميت على روحه ، ثم يؤخذ الى المقبرة وعند وصوله يوضع النعش باتجاه القبلـة ويقوم الملا بتلاوة بعض آيات القرآن الكريم على مقربة من رأسه ثم يوارى التراب . ويقام مجلس الفاتحة لمدة ثلاثة أيام أو سبعة ايام بلياليها حيث يقدم الطعام وتوزع القهوة المرة والسكاير . وتقيم النساء مجلس فاتحة خاص بهن حيث تحضر العدادات مرددات اشعار حزينة وتبدأ النسـوة باللطم والنوح ، وجرت العادة ان يبقى أهل الفقيد من الرجال بلا حلاقة للذقن لمدة سبعة أيام ، وبعد مضي مدة اربعين يوما على الوفاة او اكثر يقام « **المولود النبوي** » حيث تقرأ المنقبة النبوية الشريفة بالاضافة الى ترديد الاغاني الريفية الحزينة .

من استعراضنا السريع هذا تتضـح الملامح التراثيـة المشتركـة في تقاليد دورة الحياة العربية ، تلك التي انحدر قسم منها الينا من عصر ما قبل الاسـلام وما بعده وان اختلفت بعض مظاهرها لا اسـسها في قطر عربي عن قطرعربي اخر نتيجة للتعاقب الحضاري وصياغة الملامح القديمة صياغـة جديدة فرضـتها الحياة الاجتماعيـة المتغيرة المتطورة . املا اني استطعت على قدر ما تمكنت من اعطائه صورة تقريبية لهذه الملامح .

ومن الله التوفيـــق ....

مصـــادر البحـــث

١ – القرآن الكريـــم .

٢ – المفصل في تاريخ العرب قبل الاسـلام .

٣ – مجموعة البحوث التي القيت خلال حلقة العناصر المشتركة في المأثورات الشعبية في الوطن العربي ، التي انعقدت في القاهرة ١٣ – ٢٠ تشرين الاول ١٩٧١ برعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٤ – اعداد متفرقة من مجلة « التراث الشـــعبي » .

٥ – في علم التراث الشـــعبي .

تشابه بعض عادات الزواج في بولندة والوطن العربي

د. كريستينا سكارجينسكا

اويمكن ان نجد تشابها بين العادات العربية والعادات البولندية برغم مانعرفه من الاختلافات الاساسية بين الدائرة الثقافية لبلاد الصقالبة – ومن بينها بولندة – والدائرة الثقافية للبلاد العربية ؟

واذا وجد مثل هذا التشابه فمن اى اتجاه ينمو ؟ هذا اذا ما طرحنا جانبا امكانية تأثير بعضها على بعض .

نستطيع ان نعتمد على الراى القائل بان ظروف الحياة والعمل هي التي تشكل رغبات الانسان وامنياته ، وهي ايضا سبب ذلك التشابه غير المتوقع الذى اكتشفناه بين بعض العادات والتقاليد الخاصة بالزواج في البلاد العربية ذات الحضارة الزراعية وبين عادات وتقاليد الزواج في ريف بولندا التي كانت بلدا زراعيا تماما في نهاية القرن التاسع عشر ، ولقد اخترت من المراجع العربية المنشورة (الى جانب بعض شواهد شفاهية ونجربتي الشخصية من رحلة علمية قمت بها الى بلاد النوبة الجديدة) عدة مقالات حول عادات وتقاليد الزواج في المناطق العراقية نشرت في المجلة العراقية القيمة (التراث الشعبي) من عام ١٩٦٣ حتى عام ١٩٧٦ ، وبعض مقالات اخرى متصلة بنفس الموضوع نشرت بالمجلة المصرية « الفنون الشعبية » اما المراجع البولندية فقد اخترت منها كمرجع اساسي ، كنز التراث الشعبي في بولندا ، وهو عبارة عن المؤلفات الكاملة ، تحت عنوان « الشعب ، عاداته وطريقة حياته واقواله واساطيره وخرافاته وموسيقاه ورقصه » . للباحث الفولكلورى العظيم اوسكار كولبير ، (وهو اول المهتمين بالفلكلور في اوربا من سنة ١٨١٤–١٨٩٠) ذلك الباحث الذى عشق التراث الشعبي فاخذ ينقب عنه في مختلف مناطق بولندا الى ان جمع اغلبية التراث الشعبي البولندى ، ولقد قسمت هذه المادة الضخمة الى عدة مجلدات طبقا للمناطق المختلفة . فالمجلد ٤٩ مثلا يضم وصفا للمناطق الشرقية الجنوبية حول مدينة « سانوك و كرسنو » ويبدا بوصف

للريف ثم وصف سكان ذلك الريف ـ من وصف لمظهرهم واخلاقهم ، ثم لباسهم وماكولاتهم وبيوتهم وعملهم في الفلاحة وتربية المواشي وصيد الاسماك .. الخ ، ثم ينتقل الى صناعاتهم اليدوية وتجارتهم واسواقهم من بعدها ينتقل الى عادات وتقاليد الاعياد والمناسبات الدينية والسنوية المختلفة ، مثل عيد المسيح وعيد القيامة وعيد الحصاد وعيد الميلاد القديسين وما يناسبها من الاغاني الخاصة .

ثم ينتقل فيما بعد الى عادات وتقاليد المناسبات العائلية باغانيها واشعارها وخطبها ، فاذا تكلم مثلا عن الافراح اعطانا امثلة دقيقة لافراح منطقة ما معددا اكثر من سبع او ثماني حالات تصل احيانا الى ثمانية عشر وصفا لافراح الزواج في قرى مختلفة .

كما نجد في نفس المجلد جميع المعتقدات الشعبية والقصص الشعبية المنتشرة في هذه المنطقة ، وقد لايكفي المجلد الواحد لضم التراث الشعبي لمنطقة ما بل قد يحتاج الى مجلدين او ثلاثة ، ولقد فاز هذا العمل الكبير لاوسكار كولبير باهتمام باحثي الفلكلور ، ولا يزال حتى يومنا هذا مادة اساسية للبحوث الفلكلورية ، كما يعاد طبع مؤلفاته بصفة مستمرة وتقوم الجمعية الفلكلورية منذ ١٩٦١ بنشر « الملفات الكاملة » له حتى سنة ١٩٧٤ ، والتي تبلغ ٤٩ مجلدا .

ونود ان نضيف هنا ان المدرسة الاتنوجرافية في بولندا قد تكونت في الواقع من تلاحم تيارين، ونقصد بذلك الدراسة الاتنوجرافية الجديدة :

١ — التيار الاول هو تيار الاهتمام العملي بكل ما يتعلق باحوال وثقافة الريف البولندى ، ماضيه ومستقبله ،ويرجع ذلك لاسباب سياسية واجتماعية وثقافية .

٢ — والتيار الثاني هو التيار النظرى الجامعي وهو الذى يبحث من خلال الثقافة الشعبية عن نماذج لنظريات تطور الثقافة . (١)

ولقد تم فعلا جمع المادة الفولكلورية في بولندا في نهاية القرن التاسع عشر ، كما انتهى تنظيمها وتحليلها اما الآن فأن باحثي الاتنوجرافية البولنديين يركزون اهتمامهم على المشاكل النظرية ، ويقومون باعداد عمل كبير هو تركيب الاتنوجرافية البولندية .

وعلينا ان نلاحظ ان العادات والتقاليد في الريف البولندى المعاصر قد تغيرت او (اضمحلت في بعض المناطق ولم يبق منها الا بعض عناصرها في بعض الاحيان . ويرجع ذلك الى اسباب عدة لعل اهمها الاصلاح الزراعي وانتشار التعليم والثقافة المدنية والتعليم العالي ، الى جوار انتشار

المصانع قرب المناطق الزراعية مما تسبب في تطور الفلاحين الىطبقة جديدة هي الفلاحين ــ العمال .

ومن اجل ذلك قررنا في بحثنا ان لانعتمد على بقايا العادات والتقاليد الموجودة حاليا ، بل على صورتها في نهاية القرن التاسع عشر ، وهي على كل اساس وعمدة التقاليد التي لاتزال باقية الى يومنا هذا .

يقول « ماتشين جيرفينسكي » الباحث الاجتماعي البولندى عن قوة تأثير شعائر المناسبات التي لها اهداف خاصة ان الجانب الرمزى للشعائر عامة في تكراره « تمثيلية المناسبات » قد اعطى الفرد امكانية انسجامه وتضامنه التام مع ماضيه وحاضره في تفاعل اجتماعي بحكمة وقوة » .(٢)

اننا نتلمس في شعائر وتقاليد الزواج ، وهي من اهم احداث الحياة العائلية في جميع انحاء العالم ، اهدافا خاصة ، وتكرار هذه الشعائر والتقاليد يمنح الفرد نوعا من الطمانينة والاحساس بانسجام موقفه مع المجتمع واستحسانه له .

ويمكننا ان نلاحظ ان صلة الفرد في البلاد العربية بمجتمعه الريفي اشد في وقتنا الحاضر منها في بولندا المعاصرة ، بل لقد كانت هذه الصلة في بولندا اكثر شدة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ؛ كما يبدو ان هذه الصلة سوف تضعف في البلاد العربية على اثر تطورها ، ولذلك فان هذه اللحظات هي اللحظات الاخيرة التي يمكن فيها تسجيل الفلكلور بكل دقة وبكل تفاصيله عن طريق البحث الميداني الفنكلورى .

ولقد درست باهتمام المادة الفلكلورية المنشورة في مجلة التراث الشعبي العراقية ومجلة الفنون الشعبية المصرية ولا أظن أن ما فيها هو كل التراث الشعبي الموجود في العراق او في مصر . واتمنى ان يقوم باحثو الفلكلور في البلاد العربية بجمع وتنظيم هذه المادة الضخمة التي تمثل ثروة عظيمة قبل ان تتلاشى وتضيع معالمها . ولعلنا نستطيع الآن ان نشاهد ونميز بعض الملامح المتشابهة والمتكررة في كل من مجتمع الريف البولندى القديم ومجتمع الريف العربي المعاصر ، وربما كانت هذه في حقيقتها هي الملامح الانسانية العامة التى تتمثل في مظاهر متقاربة سواء في الشعائر او العادات او الرموز .

واولى هذه الملامح التي تبدو عند الزواج هي رغبة اسرتي العروسين ورغبة كل المجتمع الريفي في تامين الحياة السعيدة للاسرة الجديدة ، ونعني بالحياة السعيدة :

١ — الحياة المادية .
٢ — تطور الاسرة بما يعني انجاب الاطفال .
٣ — سعادة الاسرة النفسية ، (وان كانت هذه النقطة غير محددة بوضوح باستثناء بعض الرموز) .

وحتى تتحقق هذه الاهداف تستخدم :

اولا — الوسائل المادية المعتمدة على الواقع .

ثانيا — الوسائل الرمزية التي تجلب الحظ السعيد وفقا للمعتقدات الشعبية .

اولا) الوسائل المادية :

يظهر اهتمام اسرتي الزوجين بالناحية المالية في الزواج في مراسم الخطوبة (او الشبكة او النيشان) ، والهدف منها سواء في بولندا او في البلاد العربية هو الحصول على موافقة اهل العروسين على الزواج والاتفاق المالي بين الاسرتين الذي يتصل بتكوين الاسرة الجديدة .

والصفة الثانية المتشابهة بين مجتمعي الريف في بولندا والبلاد العربية هي مشاركة المجتمع الريفي ذاته في مراسم الزواج ، فالزواج امر يخص المجتمع الريفي باسره لا الاسرة فقط ، وهذه المشاركة الفعلية من جانب المجتمع الريفي تزيد من قيمة العرس وترفع من شان العروسين .

وفي بولندا تبدأ مشاركة اهل الريف عند الخطوبة ، بينما تبدأ في البلاد العربية عند اختيار العروس عندما تذهب النساء مصاحبة ام الفتى للبحث عن « بنت الحلال » ، اما في بولندا فان الشاب هو الذي يقوم باختيار عروسه سواء كان ذلك في الماضي او في الحاضر ، على اساس من معرفته السابقة لها وعلى اساس حبهما المتبادل ، اما الفرق الكبير الثاني بين مجتمع الريف في بولندا وفي البلاد العربية هو مايسمى الزواج « من الداخل » اى الزواج من داخل الاسرة ، حيث ان هذا الزواج كان محرما قانونا من ناحية الكنيسة الكاثوليكية .

وفي كل من البلاد العربية وبولندا يذهب اصدقاء والد الفتى من شيوخ القرية واعيانها بصحبته الى اهل العروس عند الخطوبة ليشاركوه في المحادثات الخاصة بالزواج والمهر والجهاز .. الخ . وهم بذلك يمثلون اهل الفتى من ناحية ويعدون شهودا من جانب المجتمع الريفي من ناحية اخرى على ان كل شي قد سار وفق مايرام . وبالطبع فان تفاصيل واجبات اهل العروسين تختلف في بولندا عنها في مختلف الدول العربية ، هذا اذا

ما اعتمدنا على مقال جميل الجبوري تحت عنوان « تقاليد الزواج في القرية » (وسط وجنوب العراق) « حيث يقول » الاتفاق على المهر . وهذا امر مهم خاصة عند الفلاحين الذين يفرضون على الخاطب ان يدفع المهر لعائلة المخطوبة وان يجهز بيته الجديد » .(٣)

ونفس العادة نلاحظها في المغرب « وهناك على العريس دفع النقد (المهر) وجهاز البيت واللباس (٤) ، اما في النوبة فان على العريس ان يدفع المهر والجهاز وهدايا العروس ومنها الاساور وعقد من الذهب(٥) ، وهذه العادة منتشرة في كل البلاد العربية .

فاذا ما انتقلنا الى بولندا في منطقة « سانوك وكروسنو » ، وهي المنطقة الشرقية الجنوبية ــ نجد ان ابوى العروسين يدخلان في مناقشة وقت الخطوبة مع اهل الفتى حول جهاز ابنتهم الذى هو التزام عليهم ، وعادة ما يعطون ابنتهم ملابسها كاملة داخل صندوق احمر(٦) مع لحاف وبعض المخدات وبعض المواشي ، بقرة مثلا او بقرتين او عجل او بعض الغنم والدجاج والاوز .. الخ) ، وعلى العريس ان يكون مالكا لقطعة من الارض ولبعض المواشي كذلك وان يكون مجتهدا في عمله بالفلاحة ورشيدا في ملكيته كي يستطيع ان يؤمن معيشة زوجته واولاده في المستقبل ، ولا يكتفي ابوا العروس فيما يختص بهذه النقطة بما يسمونه من الراى العام لابد ان يذهبا بنفسيهما بصحبة خمسةمن اعيان الفلاحين (اى يصبحون سبعة اشخاص لانهم يتفاءلون بهذا الرقم ويعتقدون انه يحمل الخير) لزيارة دار وحقول الخاطب ، وهي في الواقع ليست زيارة وانما هي نوع من التفتيش على مزارعه ومباني المواشي والدار والاثاث فاذا ما اطمأنوا على كل ذلك وافقوا على العرس .

فاذا ماحدث ان الفتى هو الذى سيسكن مع اهل الفتاة ، وهي التي تملك ارضا ، فان التفتيش يتم عكسيا اى ان اهل الفتى هم الذين يفتشون على ممتلكات الفتاة ، ثم يأتي الفتى الى بيت العروس بمواشيه وبالجهاز والمال .(٧)

ونستطيع ان نعدد الامثلة على اهتمام اهل الريف بالناحية المادية للزواج ذلك الاهتمام الذي نجده سواء في ريف بولندا او في ريف البلاد العربية ، واذا كان الفلاح العربي يهتم بتأمين مستقبل ابنته عن طريق المهر المقدم والجهاز وعلى الاخص المهر المؤخر اذا ما وقع الطلاق ، فأن الفلاح البولندى (الطلاق لم يكن مسموحا به قانونا في القرن التاسع عشر) كان يهتم بتطور الاسرة الجديدة بما يعني تطور ملكيتها ، واهم هذه الملكية هي الارض والمواشي والنقود ، وهنا ترد نقطة هامة وهي ان المجتمع الريفي

يشارك بدوره في ذلك عن طريق الاسهام في مصروفات العرس بواسطة الهدايا النقدية التي يقدمها المدعوون سواء كان ذلك في الدول العربية او في بولندا (بواسطة الهدايا العينية كالدقيق واللحوم والحلويات ، ولن نتوقف طويلا عند هذه الوسائل المادية بتفاصيلها بل سوف ننتقل الآن الى الوسائل الرمزية القادرة حسب معتقدات اهل الريف ــ على التامين المادى والروحي للاسرة الجديدة .

ثانيا : الوسائل الرمزية :

ولسوف نتناول هنا تلك الرموز المختارة الموجودة في كل من البلاد العربية وفي بولندا ، والتي لها معنى واحد وهدف واحد ، ولقد نستفيض في سرد الامثلة البولندية حيث ان المادة الفلكلورية في بلادنا اكثر توفرا ، ربما لاننا لم نصل بعد الى كل المواد الفولكلورية في البلاد العربية .

ونلخص هذه الرموز المختارة في الآتي :ــ

الخبز ، وهو يتمثل في خبز الفرح او خبز الزواج وترتبط به حلة العجين الخشبية ، الشلالة ، والحبوب ، والماء والسكر والحلويات ، والشموع ، ثم بعض الافعال ذات الدلالة كربط اليدين بالمنديل .

ويبدو انهم يعتقدون ان تامين حياة الاسرة الجديدة من الناحية المادية قائم على رموز الخبز والحبوب والماء واللبن ، بينما تامين السعادة والحب قائم على التيجان والسكر والحلويات والشموع .

ولنبدأ بالرموز التي تتصل بالناحية المادية .

الخبـــــز :

ونبدأ من اعداد كعك الفرح او « الزواج » ، ولقد وجدنا هذه العادة عند المسيحيين في منطقة الموصل « وقبل يوم العرس يخبزون عند اهل الختن خبزة الزواج ، ولهذا العمل ترتيبات خاصة واعراف وتقاليد » .(٨)

ومع الاسف فان المؤلف لم يصف لنا هذه الترتيبات او التقاليد . ولقد وجدنا نفس هذه العادة عند اليزيدية في بحزاني « تقوم عائلة الفتى بخبز كمية كبيرة من الخبز ، وفي هذا اليوم يأتي المطربون وصاحب الطبل والزرناى ويعزفون الاغاني المتنوعة ، ومن كل عائلة من العائلات التي دعيت الى حفلة الزواج تخرج امراة او فتاة وعلى يدها صحن من السكر او بطل (قارورة) عصير تأتي الى بيت الفتى وتشارك كثيرا او قليلا نساء البيت في خبز بين التصفيق والهلاهل » .(٩)

ولم ترد هذه العادة في وصف مراسم الزواج في القرى العراقية الاخرى ، ولا في مقالات اخرى متصلة بعادات وتقاليد الزواج في البلاد العربية .

اما في بولندا فان عادة خبز خبزة الزواج عادة منتشرة في كل المناطق البولندية وفي اغلبيتها تشارك في هذا العمل نساء وفتيات . ففي منطقة « سانوك » مثلا ، فانهم يقومون بخبز خبزة الزواج في بيت العريس قبل الزواج ، وتقوم الخاطبات والمدعوات الى الحفل بعملية الخبز تحت اشراف شيخ الفرح ، ويتم هذا بين ترديدهن لاغان خاصة بهذه الخبزة ورقصهن ، على حين يقوم شيخ الفرح بادخال الخبزة واخراجها من الفرن .

ويصنع هذا الخبز من دقيق القمح ويزين بجدائل من العجين ، وبتماثيل حيوانات صغيرة تصنع من العجين ايضا ، واضافة الى هذا فانهم يزينونها بنبات الآس او نبات « الحي العالمي » وبالفواكه والزهور الملونة .

وفي اليوم التالي للعرس يحمل العريس معه هذا الخبز ، اثناء ذهابه وسط موكب العرس الى بيت عروسه لاصطحابها الى بيته، ثم يقوم بتوزيعه على المدعوين مع هدايا اخرى في نفس الوقت (١٠) .

اما في منطقة « لوبلين » فان خبز الزواج يكون هدية من الاشبينة وعليها تكاليفه ، ويقوم بخبزه اما في بيت العروس واما في بيت العريس ، ثم يقوم بتوزيعه على الضيوف بعد العرس(١١) .

وفي قرية « بوبركا » في منطقة « سانوك » فان صديقات العروس ياتين بالدقيق ويخبزن الخبز في بيت العروس وهن يغنين ويرقصن .(١٢)

ولم تذكر لنا المقالتان الخاصتان « بحفلات الزواج الموصلية » «ومراسيم الزواج عند اليزيدية» متى وكيف تؤكل خبزة الزواج التي تخبز مع ترتيبات خاصة وبمشاركة الصديقات والصاحبات ، اما الخبزة عند الشعب البولندى فانها تنفرد بنظام خاص في اكلها ، فهي اما ان تؤكل بعد عودة العريس والعروس من الكنيسة عقب عقد الزواج ، واما في يوم الصباحية بعد ليلة الدخلة ، وفي الحالة الاولى كما في قرية « ليشجوفاته » يقوم شيخ الفرح بتقسيم الخبزة ويوزعها على كل المدعوين والحاضرين الذين ياكلونها بشغف ويشكرونه ، واذا ما تغيب واحد من المدعوين قام شيخ الفرح بارسال قطعة له .(١٣)

اما في الحالة الثانية كما في قرية « هولوشكوف » فانهم ياتون بخبزة الزواج من منزل العريس الى منزل العروس في موكب صغير يتقدمه شيخ الفرح حاملا الخبزة على راسه والكل من ورائه يطربون ويغنون .(١٤) ثم ياكلون الخبزة في الصباحية .

وفي قرية « فولتوشوفا » (منطقة سانوك) فان ام العروس تخبز الخبزة بمفردها ، ثم تخرجها في المساء من الفرن ، وتزين سطحها بصورة يد يمنى وبسكين تصنعان من العجين ، ثم تخفيها في صندوق كي لا يراها احد ، وفي يوم الصباحية تخرجها وتحملها الى بيت العريس وتوزعها على اهل البيت مع بعض الهدايا كالمناديل الملونة والعقود والشرائط والنقود .(١٥)

ويشير هذا المثال الاخير الى معنى رمزي لخبزة الزواج ، فاليد اليمنى المرسومة على سطحها ليست الا يد الزوجة الجديدة صاحبة البيت الجديد ومعها السكين لتقسم الخبز على عائلتها ، اما الام فقد قامت بخبز الخبزة في المساء حتى لاتراها اعين الحساد ، والخبز هو رمز طعام الانسان الاساسي .(١٦)

ولقد شاهدت في عام ١٩٦٦ حفلة زواج في قرية توشكا في النوبة الجديدة بمنطقة كومومبو بمصر حيث كنت اشترك في رحلة علمية نظمها مركز الفنون الشعبية في القاهرة ، ودعيت الى هذا الحفل ، وعند العشاء قدموا لنا خبزا ابيض ناعما على انه عيش الفرح الخاص ببركة العروسين، ولقد اكلنا منه كما اكل جميع الضيوف بعد ان دعونا الله ان يبارك فيهما.

ومن هذا نرى ان الناس تعتقد في الدول العربية مثلها مثل بولندا ان في اعداد خبز الزواج بركة للاسرة الجديدة وتامينا لمستقبلها من السحر ، وهم يعتقدون في بولندا عامة ، الى جوار بركة خبزة الزواج ، في بركة اى نوع من الخبز .

فعندما يعود العروسان مثلا الى بيتهما عقب عقد القران الرسمي او الديني في الكنيسة يباركهما ابواهما برغيف من الخبز وملح يقدمانه لهما على عتبة البيت ، ولا تزال هذه العادة قائمة الى يومنا هذا ليس في بولندا فقط بل حتى في المدن البولندية عامة . كما انه من بين العادات القديمة ايضا تلك العادة التي نجدها في قرية « جارين »(١٧) ، حيث يقود شيخ الفرح العروسين عقب عودتهما من الكنيسة ، الى مائدة وضع عليها رغيف من الخبز وسمك يضعان يديهما عليه ويقبلانه حتى لاينقص من عددهم ابدا .

واثناء عودة الزوجة الجديدة في « منطقة بوزنان » بالموكب الى بيتها يسرع الاشبين والشباب على ظهر الخيول الى القرية ، ثم يعودون الى الموكب مرة اخرى حاملين معهم حلة العجين الخشبية ، ورغيف وملحا وشلالة (شلة) وماء مباركا ، فيوقفون الموكب ، ثم ياخذون العروس من العربة ويجلسونها على ظهر حلة العجين الخشبية ، التي صنعت فيها

عجينة الخبز وتخمرت فيها ؛ (وترمز هذه الحلة الى النمو والخصب) ثم يعطونها الرغيف والسكين ، وعليها ان تقسم الخبز بين الحاضرين كي لاينقص من عند احد ؛ ثم تقوم النساء المتزوجات برشها بالماء المبارك كي يباركها الله في عملها المنزلي ، اما الشلالة فانها ترمز بدورها الى اهتمام الزوجة الجديدة بملابس الاسرة .(١٨)

وفي قرية (سيلاوى) بمنطقة بوزنان يأتي الاشبين للعروس في الموكب بشلالة وبجرة من الماء ، فيقدم لها الشلالة ويضربها بالسوط حتى تكون رفيقة طيبة للشلالة ولا تتركها ، ثم يشرب في صحتها من جرة الماء .(١٩)

وترمز الشلالة الى الاعمال المنزلية والمهارة فيها ؛ وهذا هو المعنى المباشر ، اما المعنى الرمزى الخفي وهو الاكثر عمقا فهو رمز بداية الحب الجنسي وخصب الطبيعة .(٢٠)

الحبــــــــوب

ان بعض العادات في كل من بولندا والبلاد العربية متصل بالاعتقاد الشعبي بان العروس هي بنت الحلال التي تاتي بالخصب والخير والبركة الى بيت زوجها . وقد لاحظنا هذا في دورها عندما تقسم الخبز ، وسوف نرى ذلك ايضا في العادات المرتبطة بالحبوب ، ثم العادات المتصلة بالماء .

ونبدأ العادة المعروفة في بولندا في منطقة سانوك بقرية « بوبركا » حيث تذهب العروس في موكب الى بيت زوجها بعد الزواج وحفل العرس، فتقدم لها امها حلة مملوءة بحبوب القمح تقف في منتصفها شمعة مشتعلة ، وتزين كل من الحلة والشمعة بنبات يسمى « الحي العالمي » ، وتحمل العروس هذه الحلة الى بيت زوجها حيث تخفيها الى ان يحل الربيع ، وعندما تبدأ في زراعة الارض تخلط البذور بحبوب القمح هذه حتى ينمو الزرع جميعه نموا طيبا ، لما في هذه الحبوب من البركة التي جلبتها العروس .(٢١)

وفي قرية « جيلوشكوف » بنفس المنطقة تقوم العروس بعد دخولها الى بيت زوجها حاملة هذه الحلة بالقاء الحبوب في الغرفة .(٢٢)

اما في بلاد النوبة فأن العروس تقوم عندما يدخل زوجها الى غرفتها بالقاء الحبوب (حبوب الذرة) عليه ثم يعود هو فيلقيها عليها .(٢٣)

وحبوب القمح والشعير تمثل البركة طبقا للمعتقدات في افريقيا الشمالية ،(٢٤) وحبوب الذرة تمثل الخير والخصب وفقا لما جاء بقاموس الرموز(٢٥) .

وقريب من تلك العادة ما كان يتم في بعض قرى المنوفية بمصر ، حيث كانوا يضعون سنابل القمح على راس العروس على هيئة اكاليل او تاج .(٢٦)

ويبدو ان هذا راجع الى اعتقاد اهل الريف بان الحبوب ـ القمح والشعير والذرة ـ ليست محدودة على خصوبة المزارع فقط ، انما تتوسع لتشمل خصب الطبيعة عامة وخصوبة المراة خاصة ، بانجابها الاطفال للاسرة الجديدة .

ونستطيع حتى يومنا هذا ان نلاحظ في بولندا عادة القاء الحبوب على كل من العروسين عند خروجهما من الكنيسة بعد عقد القران .

هذا يحدث حتى في المدن حيث لا يفكرون بطبيعة الحال في خصوبة المزارع بل في نسل مبارك للاسرة الجديدة ، وهم ان كانوا لايزالون يفعلون ذلك فانما يفعلونه على سبيل المزاح ودونما اعتقاد ما .

وفي قرية « ليشجوفاته » في منطقة سانوك توجد عادة اخرى مشابهة ، فعندما تخرج العروس في الموكب من دارها الى دار زوجها ، تستقبلها ام الزوج بالقاء البذور عليها ـ القمح وغيره ـ وعلى من معها في الموكب ثم تقوم برش الماء المقدس عليهم .(٢٧)

المــــاء :

وربما كانت اهم العادات هي تلك المتصلة بالماء ، فهو في العالم كله رمز للحياة ، وفي معنى اخر وسيلة للتطهر ، ويعبر الماء في الشرق الادنى على النمو والحياة ، وهو رمز الخصب ايضا ، ومن العادات المتصلة بالماء كرمز للخصب سواء في البلاد العربية او في بعض مناطق بولندا ، ما تستخدم بغرض جلب الخير والبر للاسرة الجديدة بواسطة العروس ، وهو امر مشترك بين بولندا والبلاد العربية ، كذلك العادات المتصلة بالاستحمام في ماء البئر او النهر بقصد التصفي ويقصد ان يستمد العريس والعروس من الماء عن طريق الاستحمام قوة الاخصاب .(٢٨)

ويتم هذا الاستحمام عادة قبل وبعد ليلة الدخلة .

فـــي العـــــراق

ولنبدأ من العادة العراقية ، « عند وصول العروس الى بيت العريس تعلو الزغاريد وتطلق العيارات النارية للاكرام ، وعلى مدخل الدار تجد العروس قدرا كبيرا مملوءا بالماء فترفسه برجلها وتدخل الدار ، وسكب اناء من الماء على عتبة الدار يعنى ان البركة جاءت في اعقاب الزوجة ،

والزوجة تكرر هذه العملية بشكل اخر في مساء اليوم السابع لزواجها ، حيث تذهب مع جمع من النساء ، (نساء القرية) الى نهر او بئراوعين لتملاء جرتها وتاتي بها لتسكب ماءها على عتبة لبيت .(٢٩)

في ليبيـــا :

وعند الحضر في ليبيا ياتي واحد من اصدقاء العريس ويكسر على العتبة جرة من الماء عند دخول العريس الى غرفة عروسه كي تحل البركة والحب بين العروسين .(٣٠)

في بولنـــــدا :

وفي بولندا ــ فقط المنطقة الشرقية الجنوبية ، في قرية بوبركا يمسك شيخ الفرح بعد الافطار في يوم الصباحية بمنديل ابيض ويمسك العروسان بطرفي المنديل ، ثم يقودهما الشيخ الى النهر او الى جدول ما حيث يرسم الاشبين علامة الصليب بالبلطة على سطح الماء ، ثم ياخذ بها قليلا من الماء ويقطربه على كفي كل من العروسين ، حيث يغسلان بتلك القطرات وجهيهما وايديهما . ثم تقوم العروس بعد ذلك بملء جرتها بالماء حيث ترش عقب عودتهما كل زوايا الدار وكل الغرف ، ثم تضع الجرة فوق المائدة ، وفي هذه اللحظة تبدأ عادة اخرى تختص بها بولندا فقط ، وهي وضع قبعة الزواج فوق راس العروس ، بما يعنى انها اصبحت امرأة متزوجة ، وانها قد ودعت حياة العذارى(٣١) .

ونفس هذه العادة نجدها في قرية « ليشجوفاته » حيث ترش العروس كل المبنى والحظيرة والنار .(٣٢)

اما في قرية « بروتيسنه » فان العروس عقب رشها الدار والباني وحظيرة المواشي وصحن الدار تدخل الى الغرفة حيث تسكب الماء على يدى والدى العريس ، فيغسلان وجهيهما وايديهما ، ثم تسكب بقايا الماء تحت المائدة داخل الغرفة .(٣٣)

وهذا المثال الاخير قريب جدا من العادة العراقية بمظهرها وبمعناها الرمزى ، حيث تمثل العروس نفس دور صاحبة الدار والزوجة وام المستقبل التي تاتي الى بيت الزوجية بالبركة والخصب .

اما الاستحمام في بولندا فهو يحمل معنى رمزيا فقط على ماذكرنا انفا عندما تاخذ العروس الماء من النهر ، الا ان هذه العادة ــ عادة الاستحمام ــ اكثر انتشارا في البلاد العربية .

ففي ليبيا تذهب العروس قبل الزواج بصحبة صديقاتها الى البئر لتستحم ، ثم تضع قليلا من الحنة على يديها.(٢٤) ومن المعروف ان للحنة ايضا معنى رمزيا ، فهي وسيلة للتطهر والدفاع ضد عين الحسود(٣٥) .

ويبدو ن استحمام العروس بالماء الى جانب مايعنيه من التطهر يحمل معنى اخر وهو حصول العروس من الماء على الخصب عندما تستحم قبل ليلة الدخلة .

وتوجد عادة الاستحمام ايضا في بلاد النوبة ، حيث يستحم العريس في النيل ثم يعود من النهر بصحبة اصدقائه ليقدم هدايا من البلح وحبوب القمح والذرة ، ويقرا القرآن لسبعة من اصدقائه الجيران يدخل بعدها الى بيت العروس .(٣٦)

وتبدو هذه العادة غريبة بالمقارنة مع ماذكرناه انفا من الامثلة ، حيث ترتبط صفة البركة والاخصاب هنا بالذكور لابالاناث . فالرجل هنا هو محور الاهتمام ومركز المسئولية في الاسرة الجديدة ، اى المسئول عن تطورها ونموها ، وجدير بالذكر هنا ان نضيف ان العريس في بلاد النوبة يذهب ايضا بعد الزواج للاستحمام في ماء النيل سبعة ايام متوالية مبتدئا بيوم الصباحية عقب ليلة الدخلة .(٣٧) وهذا الاستحمام يتم بغرض التطهير من جانب الانس او الجن .(٣٨)

السكر والحلويـــات

وهي ترمز الى البر والسعادة في الحياة الزوجية والى الحب بين الزوجين ، وتنتشر هذه الرمزية في البلاد العربية اكثر مما في بولندا ، وان كنا نجد لها مثالا ايضا في هذه الاخيرة .

ففي القرى العراقية مثلا نجد انه(٣٩) في ليلة الحنة تضع النساء امام العروس (صينية الشموع) ويضعن فوقها الشموع والحنة والحلوى ومرآة ومصحفا مفتوحا ، وبعد ان تخضب العروس بالحناء ، يضعن في فمها قطعة من السكر ، ثم يرسلن هذه القطعة الى الزوج ليرسل بدلا منها مبلغا من النقود هدية لعروسه ، وتبادل الحلوى مع الزوج يرمز الى الانسجام الحلو المنتظر .

فاذا ما انتقلنا الى بولندا في قرية « ليشجوفاته » نجد ان العروس تقوم عند خروجها من الكنيسة عقب عقد القران بتقسيم قطعة من الخبز مغطاة بالعسل والسكر الى نصفين تعطى احدهما للعريس ، ثم ياخذان في اكل قطعتيهما سويا .(٤٠)

ويبدو مظهر هذه العادة ومعناها في بولندا قريبا جدا من العادة العراقية ، فالسكر والعسل اللذان ياتيان من عند العروس الى عريسها يرمزان الى السعادة واللذة والحب في حياتهما الزوجية .

وهناك عدة عادات مشابهة مرتبطة بالصباح الاول بعد الزواج اى بعد ليلة الدخلة ، ففي النوبة مثلا يقدمون للعريس في الصباحية لبنا محلى بالسكر .(٤١) وفي سيوة تخرج العروس في الصباحية لتنثر حولها البلح الجاف والنقل والحلوى كرمز للسعادة والبركة .(٤٢) وعند اليزيدية في بحزاني(٤٣) قبل ان تدخل العرس الدار يرمي العريس على راسها بالحلويات وبالجكليت ، وتبدو هذه العادة رمزا لاستقبال العروس بالحب والمودة .

ومن الاشياء البسيطة التي تحمل معنى رمزيا في كل من البلاد العربية وبولندا (الشموع) فهي تستعمل دائما في مختلف مناسبات الزواج خاصة في المواكب التي تذهب فيها العروس الى بيت زوجها سواء في بولندا او في العراق او في بلاد النوبة ، ففي العراق يستخدمونها في ليلة الحناء حيث يضعون امام العروس صينية مملؤة بالشموع ، اما في بولندا فيستخدمونها بطريقة خاصة عندما تدخل صديقات وصاحبات العروس الى غرفتها ممسكات بالشموع ويقمن بنزع التاج الاخضر من على راسها الذى يرمز الى العذرية ليضعن بدلا منه قبعة المراة المتزوجة .

كما تستعمل الشموع ايضا في بولندا ساعة عقد القران في الكنيسة ، فاذا ما ارتفع لهبها في ذلك الحين ، اعتقدوا ان الزواج سيكون سعيدا .(٤٤)

وفي البصرة(٤٥) ، تشعل الشمعة في ليلة الزفة وتبقى مشتعلة حتى الصباح ، ويجب الا تطفأ بالماء ، وتوضع في مشربة حتى لاتنكسر لان كسر الشمعة ينذر بالشؤم .

ولهب الشمع هو رمز الحياة الجديدة التي تتقدم وترتفع ، وهو في ذات الوقت رمز الصفاء والحب الروحاني(٤٦) ، ويمكننا ان نذكر في هذا المجال نبات الاس او ياس او المرسين الذى يستخدم لزينة الاشخاص والاشياء بمناسبة احتفالات الزواج ، ففي العراق يضعونه في صينية الشموع بينما يستخدم في بولندا في عمل تاج للعروس وباقات صغيرة تعلق و (تشبك) فوق صدر العريس واصحابه ، ويبدو ان هذا النبات يرمز الى الفرح والسعادة والنمو لخضرة لونه .

فاذا ما انتقلنا بعد ذلك الى العادات المتشابهة ، وجدنا ان من اهمها عادة ربط يدى العريس والعروس في بولندا ، اما في العراق فقد وجدنا عادة متشابهة وهي شبك يد العريس بيد وكيل العروس ، يجلس العريس

او وكيله قبالة وكيل العروس ويبدأ رجل الدين بتلقينهما محتوى عقد الزواج بعد ان يكونا قد شبكا يديهما (يد العريس على يد وكيل العروس) .(٤٧)

وفي مصر يتم نفس التقليد الذي يتم في العراق الا انهم يضعون منديلا يقدمه العريس فو ق يديهما المتشابكتين ثم يقدم هذا المنديل عقب انتهاء الاجراءات هدية الى رجل الدين (المأذون) .(٤٨)

وهذه العادة منتشرة في انحاء عديدة من بولندا ، ففي قرية « فزدوف » مثلا يشبك العريس والعروس يديهما فوق المائدة حيث تربطهما الخاطبة بمنديل ابيض قبل ان يتوجها الى الكنيسة لعقد القران .(٤٩)

ويضع العريس والعروس في منطقة « مازوفشا » يديهما المتشابكتين على رغيف من الخبز ، فيقوم شيخ الفرح بربط يديهما بشريط(٥٠) وتوجد ذات العادة في منطقة « كراكوف » .(٥١)

وجدير بالذكر هنا ان نضيف ان القسيس في بولندا كلها يقوم بربط يدى العروسين بشريط ابيض عند عقد القران ، وهذا جزء هام من الشعائر الدينية نفسها .

والمعنى الرمزى لربط اليدين ، هو تامين العقد واعطاؤه القوة القانونية للارتباط وتحمل المسؤلية(٥٢) والكفاح المشترك من اجل مستقبل الاسرة الجديدة .

وتشترك كل هذه الرموز التي وجدناها في مراسيم الزواج في انها جميعا لها معنى رمزي بسيط وقريب من واقع المجتمع الريفي الزراعي .

ولا جدال في اننا اذا ما واصلنا البحث سوف نجد عادات وتقاليد لدى الامم الاخرى باستثناء بولندا والبلاد العربية متشابهة الى حد كبير اذ ان هذا التشابه ليس الامولودا طبيعيا وشرعيا لأمنيات الانسان واهدافه الطيبة ، والانسان هو الانسان في جميع انحاء المعمورة مهما بعدت الشقة ومهما اختلفت الجنسيات او تنوعت اللغات . والامنيات والاهداف الطيبة قريبة دائما الى قلب الانسان .

١- انا موتشيبا بوينازوفا ((الاتنوجرافية البولندية بعد ثلاثين عاما ، الجمهورية البولندية الشعبية ، مجلة الاتنوجرافية البولندية مجلد ١٩ ، عدد ٢ سنة ١٩٧٥ ، ص٢٦ .
٢ - مارتسين تشي فينسكي ، السحر والوهم والخيال ، وارسو ١٩٧٥ ، ص٤٧
٣ - التراث الشعبي ، ١٩٦٣ ، اكتوبر عدد ٢ ، ص ٢٨
٤ - التراث الشعبي ، ١٩٦٤ ، عدد ٨ ، ص ١١٠
٥ - الفنون الشعبية ، ١٩٦٠ ، عدد ٢ ، ص٨٧
٦ - ولقد وجدنا نفس الصندوق الاحمر عند العروس المسيحية في الموصل انظر : اسحق عيسكو ((حفلات الاعراس المسيحية الموصلية)) التراث الشعبي ، ١٩٧١ ، عدد ٨\٧ ص١٢٣ .
٧ - اوسكاركولبيرك ، المؤلفات الكاملة ، مجلد ٤٩ سنة ١٩٧٤ ، والزواج في قرية ((بروتيستة)) ص٣١١ - ٣١٣ .
٨ - اسحق عيسكو : حفلات الاعراس المسيحية الموصلية ، التراث الشعبي ، ١٩٧١ ، عدد ٨\٧ ص ١٢٣ .
٩ - ممتاز حسين سلمان الخلو : مراسيم الزواج عند اليزيدية في بحزاني ، التراث الشعبي ١٩٧٥ ، العدد الرابع ص٧٥ .
١٠ - كولبيرك ، مجلد ٤٩ ، ص٥٠٧
١١ - كولبيرك ، مجلد ١٦ ، ص ١٣٧
١٢ - لولبيرك ، مجلد ٤٩ ص ٢٤٣
١٣ - كولبيرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٢٤٩ و ٤٠٦
١٤ - كولبيرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٤٤٠
١٥ - كولبيرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٤٥١
١٦ - قاموس الرموز ، م . برليوى باريس ١٩٧٤ ص ٢٤٨
١٧ - لولبيرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٣٧٤
١٨ - لولبيرك ، مجلد ٩ ، ١٩٠ ، ١٩١
١٩ - كولبيرك ، مجلد ٩ ، ص ١٩٠
٢٠ - قاموس الرموز ، م . برليوى باريس ، ١٩٧٤ ، جزء ٤ ، ص٧٧
٢١ - كولبيرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٣٤٩
٢٢ - كولبيرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٤٤٣
٢٣ - عادات وتقاليد الاسرة في النوبة ، الفنون الشعبية ، القاهرة ١٩٦٠ عدد ٢ ، ص ٨٥ - ٩٦
٢٤ - 24/Westermarck, Survivances paionnes dans la civilisation mahometan, Paris, 1935, page 135.
٢٥ - 25/M. Berlovi, Dictionaire des symboles, Paris 1974, vol. III, page 172.
٢٦ - على اساس شهادة الاستاذ احمد عبد العال المصري .
٢٧ - كولبيرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٤١٠
٢٨ - 28/M. Berlevi, Dictionnaire des symboles, Paris, 1974, Vol. I, Page 158.
٢٩ - جميل الجبوري ، تقاليد الزواج في القرية العراقية ، التراث الشعبي ، ١٩٦٣ ، عدد ٢ اكتوبر ، ص ٢٣
٣٠ - حسن الافناوي ، عادات وتقاليد الزواج عند الليبيين ، الفنون الشعبية ، ١٩٦٠ ، عدد ٢ ، ص ٨٣ .

٣١ – كولبيرك ، مجلد ٤٩ ص ٢٥١
٣٢ – كولبيرك ، مجلد ٤٩ ، ٤١٥
٣٣ – نفس المرجع ، ص ٢٢٩
٣٤ – حسن الاغناوى ، عادات وتقاليد الزواج عند الليبيين ، الفنون الشعبية ، ١٩٦٠. ، عدد ٢ ، ص ٨٣
٣٥ – 35/Westermarck, op. cit. page 136.
٣٦ – عادات وتقاليد الاسرة في النوبة ، الفنون الشعبية ١٩٦٠. ، عدد ٢ ص ٨٥ – ٩٦
٣٧ – المرجع السابق
٣٨ – 38/Doutte, Magie et religion dans l'Afrique du Nord, Alger 1909, page 41.
٣٩ – جميل جبوري ، تقاليد الزواج في القرية العراقية ، التراث الشعبي ، عدد ٢ ، ١٩٦٣ ، ص ٢١
٤٠ – كولبيرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٤٠١
٤١ – عادات وتقاليد الاسرة في النوبة ، الفنون الشعبية ١٩٦٠. ، عدد ٢ ، ص٨٥ – ٩٦
٤٢ – تسجيلات من مرسي مطروح وسيوة ، الفنون الشعبية ١٩٥٩ ، عدد ١ ، ص٤٢ – ٤٦
٤٣ – مراسيم الزواج عند اليزيدية في بحزاني ، التراث الشعبي ١٩٧٥ ، ص٧٧
٤٤ – كولبيرك ، مجلد ٦ ، ص ١٤
٤٥ – بثينة الحلفي ، لمحة عن تقاليد الزواج الشائعة في البصرة ، التراث الشعبي ١٩٧٤ ، عدد ٢ ، ص ١٨١ .
٤٦ – 46/Dictionnaire des Symboles, Vol. I, page 231
٤٧ – جميل الجبوري ، تقاليد الزواج في القرية العراقية : التراث الشعبي عدد ٢ اكتوبر ١٩٦٣ ص
٤٨ – على اساس شهادة الاستاذ احمد عبد العال المصري
٤٩ – كولبيرك ، مجلد ٤٩ ، ص ٤٨٢
٥٠ – كولبيرك ، مجلد ٢٤ ، ص ٢٢٢
٥١ – كولبيرك ، مجلد ٦ ، ص ٢٠
٥٢ – 52/Dictionnaire de symboles, Vol. III, page 124.

تقاليد الزواج في الموصل

سعيد الديوه جي

دور الخطبة ومايعقبها

دور الاستعداد

الابن ـ البنت

١ ـ الابن

اول ما تهفو اليه الام هو (ختان) ولدها المدلل ، فاذا ما كان يوم الختان ، فان المباركين(١) والمباركات يدعون لها : الله يحفظ المدلل ، ان شاء اللهْ يومْ التفرحينْ بزواجه ، انت وابوه وكل العائلة ، واشوفين اولاد اولاده : **مالْ ونيمّالْ** ٠

ثم ان الأم بعد هذا تـُمـَني ً نفسها باليوم الذي يبلغ ولدها فيه مبلغ الرجال ، فتخطب له وتزوجه ، وتفرح باولاده ، وعلى هذا فانها اذا ما رقـّصـَتْ طِفِلها غنت له :

جِينـَا على عشْ الكَطـَا تحِتْ حايطْنا كَنْ لطا(٣)
يانَاسْ احفظـُوا بنتكـمْ عيَنْ إبِنـَّا بَلَطـّه ْ

فهي توهم نفسها ان ابنها قد بلغ سن الزواج ، وصار يتردد تحت حيطان الدور ، يترقب رؤية من تقع بقلبه لتكون زوجته ٠

ونرى الأم ايضاً تتوقع اليوم الذي : تِجْبِلْ الحِنِي، وتْحَضِّرْ الحَلاَوِي – لليلة حنته ، فتقول له اذا رقصته :

قِربانْ طِيرِكْ دا ٓشتري لُو واوي(٥)
وأجْبِلْ الحِنِي، وأدْعَكْ الحَلاَوِي

وتغني له مترقبةً جلب عروسه :

قِربانْ طِيرِكْ داَشتري لُو جِنْجِلْ
واجيبْ عروسَكْ علْ الفرسْ تِهَنْكِلْ(٦)

وهكذا يكون الغناء له اذا ما رقص ، والدعاء له في التهاني والاعياد ، وفي كل ملاقاة مع الاهل والصديقات بان ترى أمه يوم زواجه فتفرح بـه وباخوته واولاده .

واذا استصحبت الأم طفلها الى حفل او زيارة ، فانها تمزح معه بان يختار له بنتاً من البنات اللاتي يراهن ، .

واذا زارتهم امرأة ، ومعها بنت او اكثر ، فان الأم تحث ولدهـا ان يمعن النظر فيها ، علها تكون منيشنته(٧) .

وهكذا اكثر ما يكون كلام الأم مع ولدها عن الخطبة والـزواج ، والدعاء له بان يسهل الله له بنت حَلالْ ، تلمه وتريحه وتسعده وتكون له ستراً في الدنيا فيكون نعم الخلف لنعم السلف **(يبقى باب دار والـده مفتوحاً) عامراً بالاولاد – لا يكون كورْ او جَاغْ)** (٩) **ينسـد البـاب وينطَفي الضوء بعد وفاة والده .**

– ٢ – البنت

وأم البنت اكثر ما تغني لها بما يفصح عما تتوقعه لابنتها من خـير وسعادة في زواجها ، وان لها من الجمال والدلال ما جعلها فريدة العصر ، فاذا ما بكت رقصتها وغنت لها :

لاتِبْكـينْ لا تِبْكـينْ بلا زوجْ مـا تِبْقِـينْ
لو اشتِرينـو مْشْتَرَاةْ لـو ادينو بالـدين

فبنتها من الجمال والدلال والأصل والفصل ما جعلها مطمح الانظار ، بحيث ان شيخ شَمَّرْ تقدم لِخطبتها ، فابى ابوها ان يزوجهـا منـه فتغني لها :

بِنَـانْ مِـنْ حَلاهـا كـذايلهـا وراهـا(١٠)
خطبهـا شَيخْ شـمَّرْ ابـوهـا ما عطاهـا

هذا الجمال الفائق ، والدلال التي عليه ، جعلها مطمح انظار ابنـاء البلد ، بحيث ان بعضهم طلق زوجته عندما رآها ، عَلَّه يحظى بزواجها، فتغني لها :

اسْومهْ مــن حلاهــا طَلْكَــتْ نِســوانْ
والعبــدة وصــيفهْ والعبــد مرْجــانْ
لويدري الباشا بحسنها دَزْلَبْوهــا خصَــانْ

وعلى هذا فان خطبتها ليست سهلة فقد يتقدم اليها عدد من الوفود ولكن اباها لا يوافق على زواجها ، حتى التجار فانهم لم يتزوجوا بها، فتغني لها أمها عندما ترقصها :

كِنْ جو التجّارْ يخطبوها إشليلي لو لو لبسوها
معمــورْ بيتْ الأبوهــا إمعَلّمــي على الــدلالْ
عشــرهْ خطبــوهــا وعشرهْ طلبــوهــا
وعشرهْ وقفــوا علْ الباب لمِنْ جـا ابــوهــا

— ٣ —

ويحرص الوالدان على تعليم اولادهم وتوجيههم الى الحياة العملية • فاذا شب الطفل ارسلوه الى المَلاّ ، ليتعلم القراءة والكتابة ، والقرآن الكريم ، ومبادىء الدين ، فاذا شذا صار يتردد الى عمل والده ، ليخلف اباه في عمله ، ويعتمد على نفسه في كسب الرزق • فاذا استقل في عمل، وصار يعتمد على نفسه في المعيشة ، وكان حسن الاخلاق ، طيب المعاشرة، متمسكاً بدينه ، فان الناس ينظرون اليه بالاحترام ، ويرغب الكثير منهم ان يتقدم لخطبة ابنته ، (لانه ولد مَستَوْرْ ، مُتَديْنْ ، إبِنْ اوادِم ، حلالْ زادَهْ ،(١١) مترفع عن كل ما يشينه •)

وان امه تطمح الى زواجه، لعلها ترى اولاده قد ملأوا الدار، فتتباهى بهم وتلاعبهم •

— ٤ —

اما البنت : اذا بلغت سن الخامسة ارسلتها امهــا الى الملاية تعلمها القرآن الكريم ، ومبادىء الدين ، ثم بعد هذا ترسلهــا الى (الاسْتَادي) — الاستاذة — مع بنات المحلة فتتعلم عندها الخياطة والنقش والتطريز والتخريم وهذه الامور تؤهلها ان تعد جهاز زواجها بنفسها •

واذا عادت الى الدار فان امها توجهها الى كنس مرافق الدار، وشطف السرداب(١٢) ، ومسح الشبابيك ، ثم الى العجن والخبز ، ومساعدة امها في الطبخ ، بحيث تكــون في المســتقبل (أم بيت) : عجّانِي خبّازي طبّاخَهْ ، غزّالي خيّاطه نقاشي ، تتقن كافة اعمال الدار ، فتسعد زوجها وتعينه في تهيئة اثاث البيت ، وثياب العائلة •

— ٥ —

يفضل المَوّاصيلةُ البنتَ العاقلة المدَبرة ، الاصيلة المصنصلة على غيرها(١٣) ، حتى ولو كانت فقيرة الحال — كما أهــل البنت يفضلــون

الاصيل الفقير الحال على الغني غير الاصيل ، ويقولون : خذ الأصيل ، ونام على الحصير .

فهم يطلبون الكفاءة في الزواج ولا ينظرون الى حاله ، بل الى مكان اسرته في البلد ، وحسن سمعته واخلاقه ، ومعاملته مع الناس .

ويفضلون ابن البلد على الاجنبي – حتى ان بعضهم كان يغالي في هذا فلا يزوج ابنه من محلة بعيدة عن محلته – وقلما كنا نجد موصلية تزوجت من غير موصلي ، اللهم الا اذا كان سكن الموصل مدة طويلة ، وعرف بحسن الخلق والدين ، ومن اسرة معروفة في بلده ، ولها صلات مع اهله – كان هذا قبل اليوم .

ويفضل المواصلة ابنة العم على غيرها ، فاذا ما ولدت ابنة لعم ، ورغب اخوه بها فانه يسميها باسم احد ابنائه ، فلا يتقدم احد لخطبتها .

وقد تكون المرأة بديلة بين ابناء العم ، او بين رجلين ، فيتزوج كل منهما اخت الثاني ، ويسمى هذا الزواج (كِصّه بكِصّه(١٤)) واكثر ما يكون هذا في المحلات التي هي اقرب الى البداوة منها الى الحضارة – وقد تكون عند أهل المدينة – ايضاً

– ٦ –

اما الزواج من الارملة فانهم كانوا يتشاءمون منه ويقولون : أعزب دَهر ، ولا ارملة شَهر . أي كن اعزباً مدة الدهر ، ولاتتزوج بامرأة قد ترملت قبل شهر .

على ان بعضهم كان يقدم على الزواج بارملة، اذا كانت غنية، جميلة، وكان هو عاطلاً عن العمل، لكي يستفيد مما عندها ، ويقولون عن هذا :

خُذ الارملة واضحَك عليها ، واخرِج من جيبها ، واصرِف عليها .

– ٧ –

اذا استقل الولد في عمل وصار – غِجّال – أي رجلاً،فان الأم تفاتحه في الزواج بصورة عرضية ، فتصف له بعض البنات ، وما هن عليه من الحياء والخفة والعدالة ، وحسن الادب والطاعة ، وانها «بنت بيت» (١٥) ما تطلع الا ومع امها ، لا تزور ولا تزار الا لضرورة ، فهي «خاتون بنت خاتون» وكل من ياخذها ينسعد – يسعد – فيها ، لانها تريح قلبه ، وترتب بيته ، وتلمه بحسن تدبيرها ، خاصة وانها بنت فلانة ، وهي معروفة بين العشيرة بحسن الخلق والتدبير ، كما انها – أم بنين – وزوجها مسعود بها ، يقول المثل : «إكسِر البَصَلي واشتَمها – شمها – ، والبنيت تِطلَع على أمها » ، عيني ويقول المثل ايضاً :

«خذ بنت العَمَّال،ولا تأخذْ بنتْ المالْ» . لان بنت العمال ــ العمل ــ تعمل وتعمر ، وبنت المال تكسل وتبذر . كل هذا تصف به بنتاً من اهلها .

اما الاب فانه يفضل بنات اخوته واهله، فابوها مِنّا والمثل يقول : الطِينْ مِن هَلْ الطِينْ ، والكَعكي مِنْ هَلْ عجين(١٦)

والمستور هو الذي لا يريد ان يتعب نفسه فيأخذ من المجربين ، واحسن مجرب هم الاهل ، «خبزنا لا يحتاجْ الى إيدامْ» ، «اكلنا تحت راسنا » لا روح ولا تعالْ ولا دوخةْ راسْ ولا طق نعالْ .

ولدي تعرف انت ؟ البنتْ تريد لها بَخِيتْ ، والرجل يريد له سبعْ بُخُوتْ(١٧)، لان الرجل لا يعرف شيئاً عمن يتزوجها ، فاما ان تطلع بنت اوادمِْ مستَورهْ ، او تطلع بنت كِليبْ(١٨) مفضوحة .

هذا الكلام من الأم والاب يكون في اكثر الامسيات ، كل واحد يجر النار الى قرصته ــ خاصة اذا زارتهم احدى البنات مع امها ، وقد زينتها امها وعطرتها ، لعلها تقع في قلب (الشابْ الغَشِيق(١٩)) واذا دخلت البنت الدار ، انزوت في زاوية من الغرفة مع احدى اترابها ، وتكلمت بصوت خافت وهي ملتفة بازارها ــ كما ان الشاب يفعل هذا ويسترق النظر اليها ، عله يسمع صوتها ، او يحظى بنظرة منها .

هذا الفصل عن الزواج يندق في اكثر الامسيات،فاذا كان الشابقدقنع بالزواج من احدى قريباته ، فانه يصغي الى حديث امه او ابيه ولا يعترض ، وان هو لن يرغب باحدى قريباته ، فانه يقاطع كلامهما ، مبدياً عدم ارتياحه من هذا الكلام الذي يتكرر في كل امسية ، وانه لا يرغب بالزواج من التي يصفونها له . فتثور ثائرة الام ، مبينة له خطأه وتقول له : ابني اِتْعَكّز(٢٠) على مغة الوحشي، ولا تقف على غوس الاملاح لان الاملاح عندنا مجهولات السيرة والسريرة ، واما بنت خالك هذه ، (او بنت عمك) فانها معلومة عندنا ، فهي بنتنا ، من دمنا ولحمنا يقول المثل :

والمِنا ياخِذْ من مِلتنو يموتْ بغيرْ علتو(٢١).

واذا صرح لهم انه رأى بنت فلان : وهي جميلة جداً وانه يرغب بها ، فعندئذ يصير هُوسَه(٢٢) في البيت ، يعاون الام بناتها واخواتها، ويكون هجوماً قوياً على الولد : هذه بنت من ؟ بنت فلان ؟ لاتناسبنا ولا نناسبها ، من هي ؟ لا أصل ولا فصل ، چماقة أم ازقاقات(٢٣) ، خَطّافة الشباب ، امها لما تزوجت شندلت حال(٢٤) اهل زوجها ، كل يوم فصل(٢٥) ، وتنقلب الِدنيِ على راسهمْ ، واخيراً اضطر زوجها ان يطلع من عند أهله ، هذا نتيجة اليأخذ مامن أهله بلا أصل، اما سمعت اليأخذْ

الماعندُو أصلْ ، كل يوم يصيرْ بالبيتْ فَصلْ .
هذه لا تصير لنا ابدا ،

ولما تيأس من تزويجه من احدى قريباتها ، تعرض عليه احدى بنات عمه وتقول له : «بنتْ العمْ تَلِمْ ، وبنت الغريب غَمْ » وهكذا يدور الدولاب ولا ينتهي الغزل .

— ٨ —

وبعد هذا تلتفت الى الجيران والصديقات اللاتي يدارينها ، ويتقربن اليها ، وتستدعي البنات الى دارها لاشغال مختلفة ، وهن متزينات بما عندهن من ثياب جميلة ، ويساعدنها في اعمالها المختلفة مثل : يوم تقطيع الرشتة ، سلق البرغل ، عمل الكليجة ، فرش البيت في الخريف ، شلع البيت في اواخر الربيع ، وغير ذلك ، فيتسابق البنات في المساعدة ، وكل واحدة تحاول ان تظهر عدالتها ومهارتها امام اهل البيت ، لعل هذا يكون شفيعاً لها عند ابنهم . فاما ان (تَصيدْ المْصَيَده[٢٦]) اولا .

وان الام في المساء تردد على سمع ابنها ، ما كان لفلانة من خفة وشطارة ، وهي التي شالت[٢٧] الشغل على راسها ، ولا عجب في هذا فهي بنت فلانة جارها ، ونحن نعرف اهلها وعشيرتها ، فهم مثلنا في الاصل والفصل والستر «**يا مثْلنا تعَالوا عِنْدَنا**» .

يا ولدي ماسمعت المَثل يقول : «**دَحّقْ بعباتها ، واخطب بناتْها**» [٢٨] فامها معلومة عندنا في حسن الاخلاق واتقان العمل .

— ٩ —

وهكذا تستمر المساجلات حول فلانة ، وفي اكثر الايام يأتيها ابنها بخبر جديد عن أهل البنت : عن امها واخواتها وعماتها وخالاتها واخوتها ، وكل من له صلة بأهلها ، وأمه تفند ما يقوله ابنها وتقول له : عيني هذا الحكي ما من عندك ، هذا ما قالته لك فلانة جارتنا ، لانها تريد تحشك[٢٩] بنتها عندنا ، ما سمعت : البغْضَةْ بالاهلْ والحَسَدْ بالجيرَانْ ، والله تطلع روح هل أم الفتن ، ما آخذ بنتها ، واخليها تدخل دارنا ، تريد تْسَوّي حيطانْها مع حيطانِنا[٣٠] ، هذا شيء ما يكون ما دمت بالحياة، بنتها مثل امها، ما أحد يعرفها اشْونْ وحدي؟ تشتغل صَنْطه بَصنْطَه[٣١] اكوتِينْ مطبّقْ واكوُ جُوزْ مْقَشْقَش»[٣٢] .

— ١٠ —

واذا فشلت هذه المحاولة ، فان الأم تستعين بالدلالة تفتش **لها عن** بنت تكون «بِنِتْ اوادِم[٣٣] ، تناسبنا ونناسبها ، مستورة ، **معدلي**

شاطرة(٣٤) ، بنت بيت ، تحسن تدبير الدار ، وتعين زوجها ، والمهم ان تعيش معنا طَيِّبْ ، لاكِلْ يومْ هَوْسَة(٣٥) ، وكل يوم قوغه، والناس تتْطَمَّشْ علينا ، ونصِيرْ مثل بيتْ قَشْقَوان(٣٦)

والدلالة مجربة ، تسهل الصعب ، وتقرب البعيد ، وتجعل من العبدة كرجية(٣٧) ، ومن الحقة وقية ومن الجيفة معدلة ، چَمَّاقة تـلق ابواب ، وتجمع راسين على مخدة واحدة .

هذه الدلالة تحمل معها وسائل التجميل للنساء : مشط ، حَكَاكي، تِكَّاكي(٣٨)، حمرة واخطاط ، اسبيذاج ، دِيَرم(٣٩)، كحل ومكحلة ، ملقط ... الخ وتقصد البيوت لبيعها على النساء اللاتي قلما رأين السوق ، وخلال ترددها تتصل بالامهات ، وتسألهن عن البنات ، هل يرغبن بتزويجهن ، اذا ما سهل الله ابن حلال ، وتقف على رأي الام بالزوج الذي تبغيه لابنتها ، اذا كتب الله لها النصيب ، وهل هي مجهزة مكملة اذا ما تقدم اليها شاب يريد ان يتزوج ؟

عندئذ تنشط الام لهذا الكلام ، وتنبسط للدلالة ، وتقدم لها «غَدْوِيَّة دهينة مع ماء بارد(٤٠) ، وتطلب اليها ان تستريح عندها ، تشتري منها ما يلزمها وما لا يلزمها ، وتؤكد عليها ان تكثر التردد ، وتسر اليها ان ابنتها مجهزة ومكملة ، اذا ما جاء نصيبها ، وان الامر لا يستغرق اكثر من اسبوع واحد . وهكذا تجري المفاوضات الاولية مع الدلالة .

تقصد الدلالة الدور التي فيها شباب يريدون الزواج ، وتسرد لهم ما عندها من بنات ، وتنسب من تراها «يليق به ، من حيث الغنى والسن والاصل والفصل ، وتهيل وتكيل(٤١) باوصافها ومناقبها وانها مضرب المثل في كل شيء وقد تقدم الكثير لخطبتها ولكنهم ردوا ، لانهم لم يكونوا أكفاء لها

- ١١ -

اما الام فانها لا تصغي الى هذا الكلام ، بل تجمع الاهل والاقارب وتعرض عليهم الاسماء كلها ، وتقول لهم محذرة ان يطعَنَّ بينت لان هذا من اكبر الخطايا ، وتقول لهن - على ما نقلته لها جدتها - ان امرأة دخلت النار ، لانها كانت قد خطبت بنتاً لابنها وقالت له : كان عقجينها وسخ - اي قلنسوتها وسخة - فان هذا مما ينقص قيمة البنت فاتقين الله وقولن الصدق . وبعد ان تقلب الام الاسماء تبدأ بالسؤال عن كل واحدة : اصلها ، جمالها ، عدالتها خلقها . وتبدأ بعرض الاسماء واحداً بعد الاخر ، وتتوقف عند كل اسم ، تسأل الجالسات عنه .

فتنهال الاجابات المتباينة من محبات ومبغضات وحاسدات ومنافسات ٠

ما رأيكن في فلانة ؟ فتجيب احداهن : كنيها جاكُون[٤٢]، ضعيفة كومة عظام ، تشبه سغبس[٤٣] مكسر — عيني هذه ما تصير لك — وتقرأ مع نفسها :

قومي دانم ياكومة العظام حسرات قلبي على البيض والاسمان

فتقول الأم : وفلانة بنت فلان ؟ فتنبري امرأة اخرى وتقول : **هذه كنيها برمه ، عرضها اكثر من طولها** ، بطيخة لقوقه ، ما تحيط ولا تشيل ، ترفيش تمشي وتفيش[٤٣] ٠

فتقول الأم : وفلانة بنت فلان ؟ فتجيب ثالثة : ما أعرف اشـجبتي لنا ؟ **هذه مثل امها جمَّاقة** أم إزقاقات ، ما تستقر بالبيت، ياباب اشكم ويا باب اركم ، ويابيت ما تسأل عليها؟[٤٤] وفلانة بنت فلان ؟ تقول رابعة **هذه لما تزوجت امها شنذلت**[٤٥] أهل البيت ، كل يوم قتال وصياحات ، وبالتالي **جعلته يطلع ويتبرأ** أهله منه — عيني هذه فضاحة ما تصير لكم انتم مستورين ٠

وفلانة بنت فلان ؟ **فتقول اخرى** : **هذه** كنيها قبْع الشيطان، عوراء والعياذ بالله ٠

وفلانة بنت فلان ؟ فتقول اخرى بهدوء : هذه اخلاق اهلها ما املاح — استغفر الله —

وفلانة بنت فلان ؟ فتقول احداهن عوع عليها كنيها شادي برو[٤٦] ، ما اعرف اشلون خلقة ، **والله انت اتكسبينا خطية بهل المساء**، وجعلتينا نبين عيوب الناس ٠

وفلانة بنت فلان ؟ فتقول احداهن : هذه امها كبّست زنفيتها[٤٧] ، وطاشت بعد الكدي[٤٨]، وتشرب من الغيم ماي ، مدحوش وما شاف اكروش ، والمثل يقول : **العياذ بالله من جوعان شبع ، وراعي اكتسى — كورمش كور مامش عجبا اولمش**—[٤٩]

وفلانة بنت فلان ؟ فتقول احداهن هذه خالها فلان ، وانتن تعرفن **افعاله القبيحة** ٠

وفلانة بنت فلان ؟ فتقول احداهن امها تجيب بنات ، ونخاف **الله يبليه بمثلهم** ، كل سنة وتتكندر علينا واحدة ، وتعال ياعم دبر ٠

وفلانة بنت فلان ؟ فتجيب اخرى : هذه خاتون ، امها ام البنين **حبّالي جبّابي ، اذا قامت زينت** ، واذا قعدت بينت ، هذه تمام على

راسي – ولكن عجباً يرضون بابنكم؟ فتجيب عمته : عيني ليش ابنا اش بينو ؟ امدلل وابن هل الكرم ، وامه هل الخاتون ، اش ما تعرفين تحكين ، اسكتي اسكتي ، اكرمينا بسكوتك احسن ، ابنا غني وجميل وعاقل ومتدين وكاسب وما به لولا ، بنت الباشا تعشقه وتموت عليه .

فتقول الأم : نرسل الغسّالة وناخذ رأي اهلها في الولد .

ولما تفاتح الغسّالة امها ، فان امها تقول للغسالة : كثيرون هم الذين خطبوها وردوا ، فالبنت خزمة باب،(٥٠) كل من يجي يدقها، ولكن الباب يفتح بتسهيل الله للناس الطيبين امثالكم ، ونحن نفضل تزويجها بشاب من اسرة معلومة ، بان يكون كاسباً ، يعتمد على الله وعلى نفسه ، لان المثل يقول : زوج بنتك بصاحب صنعته ، لا بصاحب قلعه'(٥١) .

صاحب الصنعة يعيش من تعب الكتف وعرق الجبين «والصنعة خاتم ذهب بيد صاحبها .

المفاتحة بالخطبة

– ١٢ –

فاذا قنع الولد ، ورضي وأهله بالبنت ، فاتحوا الدلالة ان تعلم اهل البنت بالامر ، وان يعلموا والدها واعمامها بما عزموا عليه ، تعود اليهم الغسانة ، وتعلمهم بالقبول . يذهب اهل الولد بزيارة عرضية ، ويدخلون على اهل البنت من غير موعد ، كأن يسألونهم عن بيت ما ، او عن دار خياطة ، ويحاولن خلال هذا رؤية البنت ويمعن النظر فيها ، ويسألن الأم – كأنهن لن يسمعن عنها – فيما اذا كانت مخطوبة او منيشنة،(٥٢) فيكون الجواب بالنفي .

فاذا عدن الى الدار – وقد رضين بالبنت – وصفنها لابنهم وجعلن : رقبتها كِلبِنْدان ، وعيونها عيون الغزلان وفمها خاتم سليمان، والشفاه قيطان ، وانفها لوزاية ، وخدودها جنبد ، واسنانها لؤلؤ ، وقوامها شِطِب ريحان وشعرها يخط الارض ، ونهداها شِمّام ، وصدرها بيض نعام ، اذا تكلمت تناثر اللؤلؤ من بين شفتيها ، واذا مشت فانها لا تؤلم الارض ، لفتاتها لفتات الريم وحياؤها قد جللها من فوق الى تحت ما تشيل رأسها اذا حكت ، ولا تكاد تسمع صوتها اذا نطقت ، تتعثر باذيالها من كثرة حيائها وهي بنت من نعرف اهلها بحسن الخلق ، وطيب الاصل في البلد .

فان وافق الشاب على خطبتها ، فان أهله لا يباغتون أهل البنت بهذا ، خشية ان يطمعوا بينا ، فيتعززون علينا ، فيرسلون الغسالة

او الدلالة فتذكر لاهل البنت : ان بيت فلان يريدون زيارتكم ، لان لهم نية تزويج ابنهم ، فهم يفتشون عن بنت مناسبة كبنتكم .

يرحب اهل البنت بهذا : ينظفون الدار ، ويعدون غرفه للاستقبال فيها اجمل المفروشات ، كما يحضرون – شرابْ الحرير – (٥٣) ان كان الفصل صيفاً، وتلبس البنت أجمل ثيابها، وما عندهامن ذهب وقَصَبْ.

ولما يحضر أهل الشاب ، فان البنت تكون في غرفة لها تشتغل بالخياطة او النقش والتطريز ، وتنشر بجانبها بعض القطع التي نسجتها، فاذا استقر بهن المجلس ، جاءت البنت تمشي على استحياء، حاملة «تَبسْة الشربَت»(٥٤) وتقدم لهم مطرقة راسها ولا تتكلم . فاذا تناولن المشارب منها ، وقفت في العتبة ، ولا تجلس الا بعد ان تأمرها امها ، فتجلس منكسة رأسها تنتظر المشارب – وتدعو الله بالفرج .

وفي خلال هذا تأخذ بعض القريبات بالثناء على الفتاة : كل وقتها بالنقش والخياطة والتخريم ، مكبوبْ راسها على الشغل ليل ونهار ، قد اراحت امها ، كل شغل البيت عليها ، مع العدالة والترتيب ، فهي بنت امها ، وانتن تعرفن امها وعقلها وثقلها ولكن في هذا الزمان : تساوت القفعاء وام الشعر – اي ذات الشعر مع من لا شعر في راسها ، اما البنت فتبقى مطرقة ساكتة ، فيحاول النساء مفاتحتها بالكلام،فيسألنها عن عملها، وان تطلعهن على نماذج مما انتجته ، ولكنها لا ترد الكلام وتبقى مطرقة .

وبعد ان تلح عليها امها تأتي ببعض القطع التي انتجتها ، ويسألنها خلال هذا عن كيفية العمل ومدته ، وممن تعلمته ، يحاولن حملها على الكلام ، ليتأكدن من حسن منطقها ، وطلاقة لسانها ، وتحاول بعضهن النظر الى يديها ، وما فيها من حلي لتتأكد سلامتهما من امراض جلدية ، وفيما اذا كانت سمينة او ضعيفة ، لان السمن كان من اهم مظاهر الجمال ، فالضعيفة عندهن : كومةْ عْظامْ ، واما المرَخرَخةْ السمينةْ فهي المقبولة ، واخرى تفحص رجليها وساقيها كانها تنظر الى الحجل الذي فيهما ، وثالثة تمعن في صدرها ، وهكذا يتم الفحص في دقائق معدودة، ويكون التقرير النهائي عنها اذا ماعدن الى الدار. فان رغبن فيها – وكانت ضعيفة الجسم مثلا – فانها بعد الزواج والحبَل والجَلب تِنتْلي لحم . ، (٥٥) ويعتدل جسمها وتصير مثل امها ، وفلانة يوم خطبناها كانت «سُوسَاي(٥٦)» والان صَارت غَفيش(٥٧) ، ما تطيق تتحرك من السمن – كنها مطرح ريش –

وهكذا يبررون كل نقص يرينه فيها ، والشرح المتواصل يكون امام الشاب وابيه واخوته ، وتشتد المناقشة ، وتكثر الاسئلة عنها – وبعد ايام يرسلن جماعة اخرى من نساء المحلة العاقلات المحايدات وبعض

قريبات الشاب ، فيقمن بنفس العمل ، ويعدن التأمل في اعضائها واحداً بعد الاخر ، خاصة الاعضاء التي لم يتفق الاهل في وصفها ، وربما استمر ارسال الوفود عدة مرات ، حتى يكون التقرير النهائي ، بموافقة الشاب على فتاة لم يرها ، وقد ملأ اهله دماغه باوصافها ، فهي ربة الحسن والجمال والاصل والكمال فريدة بين اترابها .

- ١٣ -

يرسل اهل الشاب الغسّالة الى بيت اهل البنت ، ويعلموهم انهم يرغبون بخطبة ابنتهم ، فيضربن يوماً للحضور .

يهيء اهل البنت الدار،ويحضر عندهم القريبات العاقلات المعروفات بحسن التدبير ، ويتشاورون فيما سيتكلمن به - ويستصحب أهل الشاب عماته وخالاته وبعض الصديقات ، فاذا وصلن كان الاستقبال حاراً ، والابتسام طافح على افواههن .

فاذا فاتحن اهل البنت بالخطبة ، يكون الجواب : والله بَعِدْ وقِتْ على زواجها ، لانها صغيرة السن مدللة ، ويصعب علينا فراقها ، هي شَمعة الدار وعموده ، وان امها تتعطل ، لانها قد اعانتها ، فهي في الحقيقة - على صغر سنها - الكل راض عنها ... والزواج نصيب ، دَنْشُوفْ أش الله كتبْ يصيرْ ، وان شاء الله مايصير الا الخير .

وتأخذ أم الختن وممن معها في ذكر مناقب الشاب : شاب رشيق، اخته تعشقه لجماله وخلقه ودينه ، ابن حَفْنَةْ سنين(٥٨)، عين القلادة ومفتاح باب الدار ، لمن جانا شابت الحانا ، على غاس كومةْ بنات(٥٩)، أمربى على الدلال وهو ريحان العشيرة . نريد له بنت مثله ، وتقدم الكثير من الاصدقاء الى ابيه وقدموا له بناتهم ، ولكن النصيب يعرف ، ولا يكون الا ما كتب الله .

فتعود أم البنت وتعدد منزلة ابنتها : ان بيت فلان وبيت فلان تقدموا لخطبتها ، وبذلوا الاموال ، ووسطوا الرجال ، ولكن ابوها ما وافق ، وما احد يعرف فكره لمن سيعطيها . فترد عليها احدى قريبات الشاب : عيني بيت افلان وافلان مثلنا ؟ نحن وينْ وبيت فلان وين؟(٦٠) كل اصابعك سَوَى ؟ يا مثلنا تعالوا عندنا ، كلْ تخمْ يعرفْ تخمه،(٦١) ولازم تعرفون الذي يروحْ لا يعودْ ، نحن بيتْ معمورْ،ودارْ مشهور.. وتذكر ماهم عليه من الترف والنعيم بغير حساب،وعلى هذا قالوا : اكذبْ من خَطّابة .

وينتهي الكلام : عيني نحن ننتظر الجواب النهائي ، والتسهيل بيد الله ، ونسلم عليكم .

فيجيبهن أهل البنت : عيني مع الالفْ سلامي ، حلتْ البركة(٦٢).

على عيننا ورأسنا جيتكم ، نسأل الله ان يهدي ابوها لما فيه الخير ، ومـا فيه السرور جميعاً ، بعد كَمْ يومْ نخبركمْ ان شاء الله ٠

وبعد ايام تأتي الغسالة ، فتلاقى باكرام وحفاوة ، وبعد ان يستقر بها المجلس ، تذكر لهم ان فلانة تزوجت من فلان و ٠٠٠٠ ولا ندري ايْ يومْ نفرحْ بزواجْ ابنا بهذه الحبابة ، فيبدي اهل العروس بعض التمنع المصطنع ، وانهن قد اخبرن والدها بالامر ، فلم ينطق بكلمة ، انتظروا لعل الله يجعل الفرج قريباً ٠

يتكرر تردد الغَسّالة او بعض قريبات الشاب الى بيت أهل البنت، وفي كل مقابلة يعلمونهن بالتسويف ، واخيراً يعلمونهم : انكم طولتموها يا تعطوها ياما تعطوها ونريد ان يكون بعد غدٍ الجواب ٠

وربما تقول لها احدى القريبات : **عيني اشْصـارْ ، فلانة لمـا خطبناها تَقَطَعتْ بوابيجنا ، وسافتْ جزمنا وتشققت ازرنا**[63] **ونحن نروح ونرجع وعلى كل ان شاء الله يكون الخير ٠**

وبعد ايام تأتيهم الغسالة فيعلموها بالموافقة فتعود الى اهله بالبشرى٠

ـ ١٤ ـ

على ان بعضهم كانوا يترفعون عن تزويج بناتهم ، ويريدون زوجـاً نزل من السماء ، فاذا مضى عليها سنوات وجاوزت سن الزواج ، ورأت اترابها قد تزوجن وسعدن عند الزوج ، عندئذ تندم على ما بدر منهـا ، وعلى هذا يقول عنها الناس : لمِنْ خطبوها تَدَلّلَتْ ، غاحوا ـ راحـوا وخلوها تندمت ، وصارت تقول :

يَمّا صَيَنحيهِمْ وتوسلي بيهِمْ
واحنِيني غَدْيهِمْ بَلكِي يريدوني[63]

وتستدعي الدَلاّلة وتكرمها وتحثها أمها على ان تذكرها عند مـن يناسبها ممن ينوي الزواج ، لعل الله تعالى يحل عقدتها ، ويجعل الفـرج على يدها ، ونحن ما ننسي تعبك ٠ والمضى مضى ، ونحن نعض يداً ونشمر اخرى ٠ واذا سألوا امها عنْ سبب عدم تزويجها قالت : تدللنا تدللنا ، ضيعنا المليح وما رضينا ٠ ابو جُبّـهْ ما نلقـاه ، وابو عَبَايـهْ مـا نَرْضَاه'[65] ولماذا لا تزوجيها اليوم ؟ فتقول : حصل بيدنا زوج ومـا زوجناها ؟ نحن ضَرَبْنا عيبلي ، واليوم نرضى بكل من يتقدم لخطبتها، عيني ما سمعت : **زوج من عودْ ولا بالبيتْ قعودْ ٠**

السياغات

ـ ١٥ ـ

كانت بعض الاجتماعات معرضاً للبنات اللاتي لم يتزوجن مثل :حمام العليلْ ، والسياغاتْ ـ المنتزهات التي حـول المدينـة ـ والحفـلات

المختلفة .. الخ

فحمام العليل – حمام علي – يقصدها الناس في الصيف للاستشفاء بمائها المعدني ، ويسكنون في «العرازيل» – العرائش – وتطلق لهن بعض الحرية في التنزه الى ساحل النهر ، والذهاب الى الحويجة – الغابة – ، والصعود على تل السبت وغير ذلك .

يجتمع النساء والبنات في الاماسي قرب ساحل النهر ، ويعقدن حلقات سمر وغناء اذا كان المكان خالياً ، ويقصد الشباب هذه المواقع ، ويتطلعون عن بعد ، يسترقون الانظار الى البنات ، فاذا راق لاحدهم بنتاً ، اقتفى أثرها عند عودتها الى عريش اهلها ، ثم يتردد قرب العريش لعله يحظى منها بنظرات ، وربما بادرته هي الابتسامات ، فيكون هذا فاتحة خير .

وبعض البنات يصعدن على تل السبت المشرف على حمام العليل ، فيتنزهن ويغنين ، فان كانت قد جاوزت سن الزواج ، فانها تقول لتل السبت : ياتَلْ السَبات ، جيناكْ اليوم بنات ، ونجيئك في السنة القادمةْ متزوجاتْ ، وترمي عباءتها او إزارها في الفضاء ، فان انفرج تفاءلت خيراً بان الله سيسهل لها ابن حلال ، والا تشاءمت وعادت كسيفة البال .

ومن لم يساعدها الحظ بسفر اهلها الى حمام العليل ، اوصت صديقاتها المسافرات الى الحمام : اذا ما ذهبن الى الاستحمام بالعين صباحاً ، ان يرمين بصلة فيها ، فان هذا ربما ادى الى سفر اهلها ، وعلى هذا يقول سليمان بك مراد بك الجليلي من قصيدة فكاهية :

باللهْ عليكمْ ياخلقْ سَلْمُوا على حَمّامْ علي
وان كانْ رحتمْ للسبحْ ومن الصبحْ وبعَجَلي
والعينْ بالعينْ التقتْ بالعينْ زتّوا بَصَلي(٦٦)
الرحتمْ لتلْ السَبتْ هـزّوا المَهدْ لا نبتلي

اما السياغات – المنتزهات – فهي كثيرة ظاهر مدينة الموصل مثل : ميدانْ الاخضر(٦٧) ، الشيخ فتحي – الفتحْ الموصلي – قضيبْ البانْ وأرض الصينية(٦٨)، الغزلاني(٦٩) ، بشر البنات(٧٠) ، البنجة(٧١)، وادي الدير(٧٢)، .. الخ

يخرج النساء بعد الظهر حاملات معهن «الزَمْلة» والجَرَزْ» فترى ظاهر المدينة – في الربيع – يموج بالالوان الزاهية ، ويبدين زينتهن ومرحهن ، وهذا ما يدفع الشباب ان يتطلعن اليهن ، وربما كان داعياً لزواج بعضهم ببعض

كما ان حفلات الافراح : الختان ، جلب العروس ، نقل الحمالة ، ليالي الحنة ، الموالد النبوية ، كل هذه من دواعي اظهار الزينة والتطلع بعضهم الى بعض .

فاذا زارت النبي يونس مثلاً ــ وقد عسر أمر زواجها ــ نذرت له وخاطبته :

يانبـــي جيتــــك زائره شكَتْ عباتي طائـره
كل البنات ازوجـت وآنــــي ظليـــت حائـــره

واذا سجرت التنور لتخبز فيه ، فانها تعلق شمعة بالتنور بعد ان تخفت حرارته وتخاطب التنور :

يـــاتنـت ياتنتـــــان يا المـــــزوع بالبســـــتان
اريـــد منك شـــاب المليح فـــلان ابن فـــلان
عل عجلي عل عجلي

كل هذا يفعله البنات اللاتي تأخر زواجهن ، ولم يتقدم اليهن ابن حلال مناسب .

القطوع

ــ ١٦ ــ

وهو من الايام المذكورة عند الطرفين ، في هذا اليوم يحدد مقـــدار النقدية والنيشان

والنقدية : هي الصداق ، كانت تحدد بعدد الاكياس ، يكـون في الكيس الواحد خمس ليرات ذهب عثمانية (والليرة الواحدة تساوي ١٠٠ قرش صاغ)

والنيشان : هو حلي ذهبية تلبسها العروس ، لتعرف ان فلان قد تنيشن عليها ، فلا يتقدم احد لخطبتها ، ويحضر مجلس القطـــوع ــ القطع ــ : العاقلات والصديقات من الطرفين ، وبعـــد ان يستقر المجلس تبدأ أم الابن ، اوجدته وتقول لام العروس : عيني انت تفصلين ونحن نلبس ، لسانك معيارك ، الحمدلله حالنا طيب والله المسهل . تاخذ أم العروس فتذكر لهن ما اخذته هي ، واختها ، وخالتها وعمتها من نقدية ونيشان وهي ياعيني مثلنا مع ان الزمان تبدل ، والاشياء قـــد ارتفع سعرها ، ومع هذا فالذي اراه ان تكون النقدية والنيشان مثل بنت فلان ــ وهي مثلها في الاصل والغنى .

وبعد جدال وقيل وقال ، تحدد النقدية والنيشان .

ثم يبدأ أهل الختن فيذكرن ما بدارهن من اثاث وحلي وجواهر ، يبغين من هذا ان تكون (الحمالة) تناسب ما عندهم ، وهو ما يجب على

البنت ان تضعه — تحمله — معها . وبعد جلســة عنيفة يســتقر رأي الطرفين على : النقدية والنيشان والحمالة .

اما النقدية : فكانت لا تتجاوز بضعة أكياس ، الا الغنيات المترفات فان نقديتها قد تصل الى مئة ليرة ذهب ، وهذا يكون مضـرب المثـل ، غيني فلانة كانت نقديتها عشرة اكياس ، قابل نحن مثلهم ؟ اما النيشان فيكون قطعة او اكثر من حلي ذهب ، تصاغ حسب رغبة أهل العروس ، مثل : حجل ، قايش(٧٣) ، جرجر ، كردانة ، منتشي ، سوار حبل الجسر ، مكطع ، قامي ، مفردات ... الخ — انظر الملحــق — أ — عن مطاليب بعض الامهات .

اما الحجل : فهو اهم الحلي التي كان النساء يعنين به، ويستحسن ان يكون ثقيلاً — ثقيل الوزن — وتلبسه العروس بعد النيشــان ، ولا تنزعه ما دامت متزوجة ، ويتشاءمن من نزعه ، فان نزع الحجـل يؤدي الى موت الزوج — وان بعضهن اذا ما اصبن بمصيبة تستدعي حزنهــا ، فان الحجل لا تنزعه الا بموت زوجها .

الحماله — الجهاز —

— ١٧ —

اما الحمالة : وهي ماتحمله الزوجة الى دار زوجهــا — فتعقــد جلسات في تحديد مفرداتها فأم الابن تطلب كل شيء حتى المستحيلات ، كما ان أم البنت تريد ايضا ان تظهر حمالة ابنتها بمظهر يناسبها ، كاملة بل متفوقة على غيرها ، خاصة اذا كان لها اخوات اصغر منها ، فان حمالة اختهن تحمل الناس على خطبة اخواتها ،..

واكثر مفردات الحمالة تكون البنت قد اعدتها قبل هذا : فكانت في فراغها تعاني غزل القطن والصوف، وترسل الغزل الى الحائك، ينسج لها : مناديل ، سجادات ، احرامات ، خام شـَلـْتَــه ، ســتانـر ، ريزا ... الخ

ثم تعاني نقش مفردات حمالتها وثيابها : منـاديــل حريــر ، والسجادات ، واطراف قمصان النوم ، وفتحات الثياب ، والتكك وغـير ذلك .

ثم اذا تقدمت في السن اخذت تعاني النقش بالتيل والســرمـه ، فتنقش غطاءات المنامات ، والمخاديد ، والحافات وغيرها .

وتحشي المنامات من الخام الذي نسجه الحائك وهي : مطــارح ، لحافات ، مخاديد ، جودليات ، وتكون هذه فوق الصندوق .

وتقتني امها بعض قطع من الاقمشة الجميلة الحريرية التي كانت ترد الموصل من حلب ، ومناديل حرير ، وطاقات ابريسم مثل : الجبلية، والبتة ، والبيش رنك ، وكتان جيني ۰۰۰ الخ اما الثياب الداخلية والغلالات ، فانها كانت تنسج من غزلها الدقيق الذي تفاخر به ، وكان النساج يعني بدقه وتنظيفه من كل شائبة ، وقصره ، لانه سيكون في جهاز بنت أخيه ، اذا ما كتب الله لها نصيباً • وهكذا كل هذه الاشياء تكون جاهزة ، بعضها في الصندوق ، وبعضها في الصندلية مجموعة في «بقچ» مختلفة الانواع وبعضها منقوش او مطرز ، وتوضع المنامات فوق الصندلية، وهكذا تكون البنت قدهيأت اكثر ما تحتاجه من مواد الحمالة۔ وهو من انتاجها ، ويقولون عن مثل هذه البنت «مْحَمَّلِي مْكَمَّلِي اي كاملة من كل شيء •

ومعدل ما يكون في الحمالة :

المنامات : اربعة لحافات واربعة مطارح ، وثماني مخاديد ـ وقد تكون اثنتان منهما محشوة بريش القطا ، ومطرحان صغيران للجلوس عليهما خارج الغرفة ، ويتبع المنامات : جواجيم واحرامات[٧٤] وجودليات[٧٥] وچراچف ـ وان كانت غنية حملت معها محفوزة ـ طنفسة ـ او اكثر لغرفتها •

٢ ـ **صندوق من خشب الجوز** ، مزخرف بمسامير نافرة في ظاهره ، يوضع تحته تختة من خشب الجوز ، يكون في الصندوق ثياب العروس ، وان كانت غنية حملت معها صندلية لغرفتها •

٣ ـ **ميز ـ منضدة ـ** : يوضع في عتبة الغرفة ، وعليه مرآة كبيرة ، وبضعة مشارب قاعدتها من فضة وفناجين قهوة ، ومزهريتان وكلبدانان[٧٦] ومبخرة وقد تكون هذه الثلاثة الاخيرة من فضة •

٤ ـ **ابريق جميل مع طشت وصافوي للوضوء** •

٥ ـ **ادوات المطبخ والاكل** : قدور مختلفة ، صحون مختلفة ـ عميقة ومسطحة ـ ويكون مع بعضها قپغات ـ اغطية ـ سكاكين ، صافوي ، لگن[٧٧] ، طشوت مختلفة الحجوم ، ملاعق ، شوبك ، نشابه ۰۰۰۰ الخ

٦ ـ **لوازم الحمام** : مناشف ، قَبْقَادي ، سلبچه، طاسات مختلفة الحجوم ، معدسي ، كيس وقد يكون مذهباً ، قبقاب ، فوطه ، بعضها من حرير مفرش مع بساط ، ۰۰۰۰ الخ

٧ ـ **لوازم التجميل** : مكحلة ، حكّاكي ، ملقط ، عقدة صغيرة فيها : حمرة ، اخطاط ، اسبيداج ، ديرم ۰۰۰۰ الخ

٨ ـ حبل يعلق فوق العتبة توضع عليه الازر والعبايات ومناديـل الوضوء ٠٠٠ الخ ، وقد يكون هذا الحبل زنجيلا من فضة او حبـلا مـن قطن وحرير ٠

٩ ـ عدة سلال منسوجة من قصل ، مزخرفة بالـوان متنوعـة ، توضع فيها الثياب عند النسج ، واحدها يسمى «المَشْلَحْ» ٠

١٠ـ وكان بعضهن يعملن «نشرة» وهي عبارة عن شبكة مستطيلـة عرضها يزيد على القدم قليلاً ، تخاط فيها اشياء مختلفة مصغرة عن كـل ما في الحمالة مثل : ابريق ، سطلة ، بابوج ، مثلث ، قبقاب ، سن الذيب، ودع ، تمائم مختلفة ، لعابات صغيرة لحيوانـات مختلفـة ، عفصـه ، خضرم وودع ٠٠الخ

تحف هذه النشرة باعلى الغرفة من ثلاث جهاتها تكون تحت «الشبثة» اي محل استناد السقف على الجدران ٠

١١ ـ ادوات النقش والتطريز والنسج : وهي الادوات التي كانت تستعملها في بيتها ٠

١٢ ـ وتحمل للزوج : قوطية للسكاير ـ وقد تكون مذهبـة ـ وسجادة للصلاة مع عدة مناديل ، ومرآة صغيرة ، وفرشة للثياب ، ـ وقد تكون مذهبة ـ ابريق للحلاقة مع كأس من بلول ، ـ مشط للحيتـه ، ان كان عنده لحية ٠

١٣ ـ الخلع : وهي الهدايا التي تقدمها لافراد اسـرة زوجهـا ، وللخدم ، وللغسالة ، وللسقاء ٠٠٠٠ لخ ، كل واحد تحمل اليه ما يناسب سنه ومقامه ٠

هذا مجمل ما تحمله العروس من الحمالة ، وقد يستغرق تحضـير بعضها وقتاً طويلاً ، لان الاشياء لا تباع الا بعد ان يوصي عليها ، فتـرى اهل العروس في ذهاب واياب ، وتردد ولوم وعتاب ، هـذه تذهـب الى الصائغ ، واخرى الى الصفاغ ـ الصفار ـ ، وثالثة الى النجار وغيرها الى الحائك والنقاشة والخياطة حتى تتم الحمالة ٠

واهل الختن يترددون الى اهل العروس كل بضعة ايام ، ويفحصون ما قد اعدوه ، ويقترحون تعديلات وتبديل ، على ما يرغب به اهل الختن، او ما يرغب به الختن نفسه ، اوما يناسب مقام العائلة ، وتكون مناقشات حادة بين الطرفين ، ويقول اهل العروس ، ليش ما خبرتونا قبل هذا ٠ كل يوم حَدَّلْ بدَّل واحد ايروح واحد يجي ٠

ويحث اهل الختن اهل العروس في الاسراع بتكميل الجهـاز ، لان

الختن «قد شَعَلْنا»،كل يوم يتقاتل ، يدخل زعلان ويخرج زعلان،ونحن نعرف سبب هذا كله .

فتجيبها أم العروس : اختي ، اش دَعْوِى ، اش صارْ ؟

فتقول لها ام الختن : **قالوا له عروسك مبارك ، قال الا الليلـــهْ** ، ونحن نقول له : ياولدي لا تستعجل طول الليل عشاء . ولكن ما ينفـــع الحكي ، فهو مستعجل في كل اعماله .

حفلة النيشـــان

ثم جهاز العروس والعَقِدْ

النيشـــان

- ١٨ -

وهو اليوم الذي يحمل فيه أهل الختن الحلي الذهبية والثيـــاب الثمينة ، التي يقدمونها لعروس ابنهم ، وقد يحمل معها النقدية ايضاً ، او ربما حملت فيما بعد .

ويعني الطرفان بيوم النيشان ، لانه اول يوم يجتمعون فيـــه ، على خير قدره الله ، ويظهرون فيه الفخامة في المظهر ، والتـــرف في الصـــرف والانفاق ، خاصة اذا كان الشاب «ابن دَلالْ» وكانت البنت اول بنت يزوجونها ، ولها اخوات اصغر منها ، ومن المستحسن ان يظهروا بمـــا يستهوى الغير ، ان يتقدم لخطبة بناتهم .

بعد ان تحضر «الحوائج»(٧٨) عند الاهل ، فانهم يعرضونهـــا على الاقارب والاصدقاء ، وكل من يشاهدها يصلي على النبي صلى الله عليـــه وسلم ، ويدعو لهما بالخير والسعادة ، وراحة البال ، وطيب العيش .

وربما ارسل اهل الختن الحوائج الى اهل العروس، ليطلعوا عليها، قبل يوم النيشان ، لعلهم يبدون ملاحظات عليها قبل تقديمها .

يتفق الطرفان على اليوم الذي يكون فيه النيشان ، ويقـــدم أهـــل الختن اسماء عدد المدعوات من جانبهم ، لكي يستعد اهل العروس لمـــا يلزمهن .

وقبل ايام يهب اهل العروس لتنظيف مرافق البيت ، وتنضيـــد اثاثه ، وتجديد القديم منها ، وربما طلبوا من الجيران والاهل ما يكمـــل مظهر دارهم ، ويعدون الواناً من الطبيخات : دولمة ، كباب ارز ، كبـــب برغل ، عَلِي بْخَارا ، قِيسِي ، محلبيَّة ، كاهِي ، سنبوسكْ وغـــير

ذلك من المخضرات التي تكون في موسمها ، ومن الحلويات : بقلاوة ، حجي باده ، شكرلمه ، حلاوة من السماء وغير ذلك .

يشارك في اعدادها الجيران والقريبات ، المعدلات المعروفات بالاناقة والترتيب ، ويشتغلن عدة ايام في اعداد ما يرغبن به ، ويعهد الى كل ما تحسن او تقترح عمله ، من «الأكلات» التي تباغت بها اهل الختن ، حتى يعرفوا عدالتنا وشطارتنا .

خالي أمّونه[٧٩] : انتِ تعملين الشكرلمة ، لانك مشهورة فيها، الله يخليك كثّري فيها الهيل ، وماء الورد ، حتى تصير طيبه .

عمّي عشو[٨٠] : تعمل الحَجّي بادا ، بشرط تكون احسن من التي عملتيها يوم نيشان ابنتك ، اشقد اكلنا عند غيرك ، ما رأينا اطيب منها .

أما الكبب فلا يدعبلها احد مثل أسّومه ، كثري فيها اللوز والكشمش ، واجعليها رقيقة .

اما فطّومة[٨١] : فعليها تحضير القيسي ، وانعلي بخار ، ولا تنسي اللوز المقشور فيه .

اما خديجة : فهي معدلة بعمل المحلبية ، بالله عليك كثري فيها ماء الورد .

وهكذا يتقاسمن عمل الاطعمة التي تحضر قبل يوم او اكثر .

اما البقلاوة ، فان هذا من شغل «شدادة البقلاوة»[٨٢] : وهي اكثرما تكون من اهل تلكيف ، ويرسلون اليها امرأة توكد عنيها ان تحضر قبل ثلاثة ايام على الاقل ، حتى تتمكن «شدادة» البقلاوة من اعدادها قبل يوم النيشان .

يتوجه أهل الختن الى بيت اهل العروس قبل الغداء ، ويكون المدعوات عند اهل العروس والصديقات قد اخذن مجالسهن،وفي كل بضعة دقائق تخرج احداهن الى باب الدار ، وتنظر فيما اذا كان اهل الختن قادمات ، فاذا مابدا لها اول الموكب ، ركضت الى اهل الدار ، واعلمتهن ان يستعدن لاستقبالهن فتتقدم ام العروس،ومن هي في درجتها من الاهل والصديقات الى الباب ، فيدخل اهل الختن في زغردة وهلاهل ، ويجاوبهن اهل العروس بمثلها ، ويأخذن ازر اهل الختن ، وتمشي الام امامهن الى المكان المعدة لهن ، وبعد ان يأخذن مجالسهن ويتبادلن الترحاب ، ويقدم لهن شراب الحرير ، يسألن عن العروس ، وهي في غرفتها مع مثيلاتها من الصديقات ، فتدعوها امها ، فيأتي بها الصديقات في غناء وهلاهل ، وبعد ان تقبل يد ام الختن ، ومن في سنها يجلسنها على كرسي بجانب ام الختن ، فتلبسها «حوائج النيشان» وسط هلاهل متتالية ، فتجلس العروس

مطبقة الرأس لا تلتفت يميناً ولا شمالاً ، والعرق يتصبب من وجهها .

ثم يكون الفصل الاول ــ قبل الغداء ــ فيأتين بالنَّقاره والرقّاصة ويقضين وقتاً بالغناء والنقر والرقص .

وقد يأتي اهل الختن معهم بنقارة ومغنية معلومة ، هذا اذا لم يتمكن اهل العروس من احضارهما . وقد يشارك بعض صديقات العروس في الرقص ، لانه يوم النيشان لصديقتهن . وبعد ان يستمر هذا ساعة او بعض ساعة ، يكون اهل العروس قد هيأن الطعام ، فتتقدم ام العروس الى ام الختن وتعلمها ان الطعام حاضر .

فتأخذ العروسة معها ، وتجلسها بجانبها وتطعمها ، والعروس تظهر الاستحياء ، وتأكل قليلا قليلاً ، والنساء يمزحن معها : ان تكثر من الاكل ، حتى تسمن ، لان الختن يحب السمينة ولا يريد امرأة ضعيفة .

وبعد الانتهاء من الاكل يتناولن الحلويات ، وتعود ام الختن الى مكانها ومعها كنتها ، فاذا ما استقر المجلس بالمدعوات بدأ الفصل الثاني في القصف والغناء والرقص ، ويكون مدة هذا اطول من الفصل الاول ، ويرقص النساء بالتوالي ، وقد ترقص ام الختن ابتهاجاً بزواج ابنها ، كذا عماته وخالاته واخواته ، حتى انهن يكلفن العاجزات «ولو تقوم جدته وتُفنِّها فَنّه»(٨٣) واحدة » فتقوم جدته وتهز جسمها ، وبيدها كفية تومىء بها الى العروس وتشتد الهلاهل والراقصات حولها ، فتعود الى مكانها وقد انهكها التعب وذكرها بيوم زواجها يوم رقصن لها .

واكثر من يغني ويرقص ويهلهل هن : الغسالة ، والدلالة ، والخادمات ، فكلما فتر الغناء فان احداهن تبدأ بالغناء والرقص وتهلهل وتصيح باعلى صوتها : سامعْ الصوت على من يهلهل(٨٤) ، اليوم نيشان المدلل والمدللة ، وهكذا يستمر الهرج والمرج الى قبيل المغرب ، فيتهيأ اهل الختن للعودة ويتقدم اهل العروس لتوديعهن ، وتقول ام الختن لام العروس : اعطيناكم محمد ، واخذنا منكم حمدية ، والحمد لله على هذا . وتتقدم ام العروس ومعها ابنتها تودع المدعوات ، وتعتذر لهن فيما اذا بدر منهن تقصير ، وام الختن تثني عليهن وتدعولهن بالخير والبركة .

وبعد العودة من حفلة النيشان ، يرجع اهل الختن باحاديث طريفة عما شاهدن واكلن في بيت العروس ــ وقد يكون الختن بانتظارهن ــ فتبادر الام بوصف الحفلة وما سادها من مرح وطرب ، وكرم اهلها ، وجودة طبخ طعامها .... الخ وتقص عليه ما عليه منيشنته من جمال ، فانها كانت تَضْوي على كل البنات ، مثل الشمعة ، عقل وثقل ، وحسن هندام ، وجمال قامة ، وتناسق اعضاء ، ما احلاها اذا رفعت اللقمة بيدها

ووضعتها في فمها الصغير ، فاذا التفتت رأيت جيد ريم ، وزندها قَرَعَ اسْلاحِي[٨٥] ، واذا نظرت سحرت الجالسين ، والنساء يمعن النظر فيها ، وكل منهن تدعو من الله ان يسهل لها كنة مثلها ــ الحمد لله على هذا، عيني الله يعطي كل واحد على نيته ــ اي سلامة قلبه .

ثم يأخذن الى وصف المدعوات وما يرتدينه من ثياب وحلي ، وينتقلن الى وصف الحفلة ، وما جرى فيها من دعابات ومساجلات ، وغناء ودق ورقص ، وفلانة كانت تغني من كل قلبها ، لانها «خوشْ مَعَا» اي امرأة طيبة . وفلانة كانت تنظر شزراً الى من ترقص ، لا يطيب لها هذا ، لاننا لم نأخذ ابنتها . **وفلانة كانت تُوَشْنوِشْ ــ تتكلم بهدوء ــ فلانة ، لانها ام دُودِي[٨٦] ما تقعد راحة . شنْبرتْ دُودِتها ، خل تموت بعلتها .**

ويجتمع اهل العروس بعد انتهاء الحفل ، ويثنين على عقل ام الختن، وهدوء أهله ووقارهن،لم يدوخونا بكثرةالمعزومات ــ المدعوات ــ والحقيقة كانوا يمدحوننا على ما قدمنا ، ويدارون المعزومات ، كانهم من اهل العروس : الاوادمْ تعرفْ الاودامْ ، نعم الجدود ونعم ما خلفوا .

اعداد الجهاز

ــ ١٩ ــ

تجهيز البنت : هو ان يعد اهلها ما تحمله معها الى بيت الختن ،من اثاث وفرش وادوات طبخ وادوات زينة ، ولوازم حمام ، وكل ما يكون في الدار ، وثياب مختلفة ، وخلع تقدم لاهل الختن ومن معهم .

كما ان اهلها يكرمونها بصياغة بعض «الحوائج» الذهبية ــ حلي ــ اضافة الى ما عندها ، حتى : **لاتطلع مثل المكادي ، ما اكو باذنها الا المَغَاوِد ــ الاقراط ــ** ويقولون لمثل هذه : **طلعوك اهلك بطَرْكْ المغاوِدْ تِلَقلَقْ باذانكِ ــ وابوك الله يرحمه ــ** ويكون هذا معياراً لها ولاهلها .

ويضيف اهلها اليها انواع الثياب المتنوعة ، والتي تحتاجها في اختلاف الفصول ، بحيث يمضي على زواجها بضعة سنين ، ولا يشتري لها زوجها شيئاً ، لانها جاءت «مكملة» من بيت ابيها ، ويقولون لمن يقصر اهلها في تجهيزها : طلعت بطرك الفِستْانْ والايزار ، والبابوجْ يصفق برجليها . وعلى هذا فان اهل العروس كانوا ينفقون على ابنتهم اضعاف «النقدية» ــ الصداق او المهر ــ ويحرصون على ان تخرج من عندهم «محملة مكملة» لا ينقصها شيء ، **ويجعل رأسها مرتفعاً عند اهل الختن .**

كانت الغسالة تتردد الى بيت اهل العروس ، تحمل مقترحات واضافات وتعديلات ، مما يرغب به الختن واهله ، وربما استمر هذا

عدة اشهر ، كما ان بعض نساء اهل الختن كانت تتردد الى اهل العروس وتطلع على ما اعدنه ، وربما اعترضت على تبديل بعضه او تعديلـــه ، وهكذا حتى تكمل الحمالة والجهاز .

وان اهل العروس يعرضون على الصديقات الحمالةلكي يبدين رأيهن في مفرداتها ، وما ينقصها وغير ذلك . فاذا تم الجهاز ارسلوا خبراً الى اهل الختن ان الحمالة حاضرة ، وعليهم ان يعينوا يوماً لنقلها .

وقبل النقل بيوم واحد يحضر البنات والصديقات في بيت اهـــل العروس ، ويَجِرْنُون المطارح واللحافات والمخاديد اي يثبتـون عليهـــا الاقمشة الجميلة المنقوشة بالحرير ، او التيل ، او السِرْمة . وقد يكون لحاف العروس والختن منقوشاً وجهه – اعلاه – بقطع ذهبية صغيرة تثبت فيه ، واكثر ما تكون على شكل نجمة يحف باعلاها هلال . ويسمونها : نجمة وقمر

وبعد ان يكمل البنات ما ينقص الحمالة من خياطة بسيطة ، يبدأن بتنضيدها ، ويعرضنها في غرفة كبيرة ، او في ايوان ، بحيـث يســهل الاطلاع على كافة اقسامها ، فتأتي الصديقات والقريبات ويشاهدنهـــا ويقدمن التبريكات والتهاني لهم .

أيام الجلـلَـبـات°

وما يعقبها من أيام نقل الحمالـه

– ٢٠ –

يكون نقل الحمالة الى بيت الختن في يوم الاثنين او الخميـــس ، ويحضر اهل الختن الحمالين ، والجمال المزينة اعناقها بقلانـــد حريـــر واجراس مختلفة في رقابها ، وفوق اقتابها جواجيم ملونة ، وقطع قماش جميلة ، ويكون مع القادمين : شباب المحلة ، واهل الختن والصديقات ، والغسالة والدلالة والجِنْجَانات°(٨٧) والخدامات والمغنية .

يرتدي الشباب اجمل ثيابهم ، ويحملون الرماح والسيوف ، وقد زينوا خيولهم بأجمل الرخوت – السروج – وعقدوا مناديل من حرير في رقاب خيولهم ، وهم يسيرون امام الموكب وحوله . اما النساء فتتقدمهن المغنية والغسالة والدلالة ، فاذا اقتربن من بيت العروســ اخـــذن في التصفيق والغناء والهلاهل ، ويُهَوّسْن الشباب برماحهم وسيوفهـــم ، فيستقبلهم اهل العروس بهلاهل ، ويدخل الشبان والنساء ، فتتقـــدم احدى النساء العاقلات مع الغسالة ، وتسلم الحمالة الى اهل الختن .

فيحملون المنامات على الجمال ويجللونها بقطع حريرية ملونـــه ،

ويعقدون في عنق كل جمل قطعة من قماش ، وفي عنق احدها طاقة ثمينة من حرير ، هدية للجمال الذي تبرع بنقل الحمالة ، وتكـــون القطـــع الحريرية الاخرى هدية لاولاده او من يشتغل معه لان الجمال لا يتقاضى اجرة على نقلها ـ بل انه كان يترقب يوم زواج ابن اخيه لكي يقوم بهذه الخدمة الواجبة عليه ، ويضعون الثياب في «بقج» حرير جميلة تحمل كل بقجة امرأة ممن تقدمن مع اهل الختن • اما القطع المحلاة بالذهب فتنضد في صينية جميلة ، بحيث يسهل مشاهدتها، وتحملها الغسالة او الدلالة•

اما لوازم الحمام : فوطة ، قبقاب ، مشط ، حِكَّاكِي ، كِيسْ حمام ، فاكثر ما تكون هذه القطع مزينة بقطع ذهبية ، وتوضع في صينية خاصة •

وكذا ما يوضع فوق ميز غرفة العروس من اكواب ومشارب مـــاء وفناجين الشاي فانها تكون كل قطعة منهـــا داخل قاعـــدة مفضضـــة وتوضع في تبسة ـ صينية ـ من فضة او غالية الثمن • وهكذا يحمـــل من قدم مع اهل الختن كافة مفردات الحمالة ، بحيث يسهل رؤيتهـــا على من يمرون عليه •

ويسير الموكب بهدوء يتقدمه الشباب وهم يهزجون ويصفقـــون ، والنساء يهلهلن ويغنين، وكلما مروا بدار صديق او قريب فانهم يسكبون عليهم ماء الورد ، ويشاركونهم في الغناء والتصفيق ، يستمر السير بهدوء، وتوقف عند كل معارف يخرج اليهم ويشاركهم في الرقص بالســـيوف والخناجر ، الى ان يصلوا دار الختن ، فيدخلون بالحمالة ويضعونهـــا في فناء الدار ويأخذ الشبان بالرقص والغناء حول الحمالة ، يشاركهم بهذا النساء ، فيتقدم اهل الختن اليهم شاكرين لهم اخلاصهـــم لصديقهـــم ويقولـــون لهم : يُــومْ الذي نجيبْ حمالتْكمْ ان شاء الله نجازيكـــم بالخير والسعادة • هذا ما كنا نتوقعه منكم ! هذا يوم اخوكم ، وان شاء الله نجازيكم بمثله •

وبعد هذا ينتهي الهرج والمرج ، ويخرج الاصدقاء ، فيتقدم اهـــل الختن بنقل الحمالة وتوزيعها في اماكنها •

وبعد يوم يأخذ اهل الختن بتفقد مفردات الحمالة ، فاذا وجـــدوا فيها نقصاً ، اعلموا اهل العروس بذلك ، فيتدارك اهل العروس النقص بسرعة •

على ان بعض الامور لا يمكن تداركها ، لان اهل الختن لم يفصحوا بكلام واضح في طلبها ، او ان الغسالة نسيت هذا ، او تكون التي قـــد اشرفت على الجهاز قد قصرت ـ لذا تقول المرأة التي يعهد اليها بتجهيز بنت : **امْشيِ في جَنَازهْ ولا امشيِ في جهازَهْ** • اي ان الســـير وراء

جنازة ، اسهل من السير في اعداد جهاز ، وما سيتبعه من لوم وعتاب وتقريع .

المواسم ـ الهدايا ـ

ـ ٢١ ـ

بعد النيشان يقدم اهل الختن هدايا للعروس واهلها بمناسبات في المواسم والاعياد ، اما المواسم فيعنون بها ما ينزل الى السوق من فواكه وأثمار او لبن وخَسّ وغير ذلك مما يستجد في فصول السنة ، ويسمون هذا «دِشِين»(٨٨) ، فاذا كان الربيع اهدوا في اوله زقاً او زقين من اللبن، مع طبق كبير من القشفه ـ القشطة ـ واذا كان وقت الخَسّ قدموا لاهل العروس سربالاً ـ سلة كبيرة ـ من الخس ، ويجعلون في مؤخر كل رأس من الخس «جنبدة» وردة من الورد البلدي ذي الرائحة الزكية ، ومعه باقة كبيرة من هذا الورد .

وهكذا يهدون من التفاح والخوخ والاجاص واللوز الاخضر والتين والعنب .. الخ كل فيموسمه . وفي جمعة الخضر(٨٩) يهدون اليهم حلاوة تعرف «بحلاوة الخضر» يحشونها بالجوز واللور ، ويزينون اقسامها بقطع ملونة من السكر ... الخ

اما في الاعياد : عيد الاضحى، وعيد الفطر، وأول يوم من رمضان : فكانوا يقدمون الى العروس حاجة ذهبية تلبسها اياها ام الختن .

واذا طالت مدة النيشان ، فان الهدايا تكثر على العروس واهلها ، وكلها ليس لها علاقة بالنقدية ـ المهر ـ وعلى هذا كانوا يقولون : **الفْ هَدِيّهْ ما تْوفيْ نقيْديّهْ** ، لان الهدية لا تدخل في حساب النقدية .

العقـــد

ـ ٢٢ ـ

قد يكون العقد بعد النيشان بعدة ايام ، وبعضهم يؤخره الى ما قبل اخذ العروس بأيام ، واكثر ما يكون العقد في يوم الخميس ، تيمناً بليلة يوم الجمعة ، او يكون يوم الاثنين ، وجلب العروس يوم الخميس،وهذان اليومان من الايام التي يكثر فيها : جلب الحمالة والعقد وجلب العروس.

يدعى الاهل والاصدقاء الى دار الزوج ، بعد صلاة العصر ، والانتهاء من الاعمال ، ويحضر اهل العروس «الوكيل» عن ابنتهم وشاهدين ، ويرسلونمعهم منديل حرير منقوش ـ وربما كتبوا حوله اية الكَرسي ـ وبعد ان يستقر المجلس ، يقدم لهم شراب الحرير ـ ان كان الفصل صيفاً ـ ثم تقدم القهوه .

ويحضر القاضي في غرفة قد جلس فيها وجهاء المحلة والاقرباء ، ويتقدم وكيل الزوجة ويجلس امام القاضي ، يقابله وكيل الزوج ، وقلما

كان يحضر الختن بنفسه عند مسك العقد ، بل كان يجلس مع طائفة من اصدقائه في غرفة ، ويوكل عنه احد اصدقائه يقوم مقامه ، فيتصافح الوكيلان امام القاضي «او العالم الديني» ويضع على يديهما الكفية التي قدمها اهل العروس ، ويبدأ القاضي باستماع الشاهدين : ان فلانة بنت فلان ، قد اوكلت على عقدها فلان ابن فلان ، على صداق قدره كذا مُقَدَّم وقد قبض ، وكذا مثاقيل ذهب نيشان وقد قدمت ، وعلى مهر مؤخر قدره كذا ، ويعترف الوكيل بذلك ، ثم يعترف وكيل الزوج بما قرراه ويشهد على ذلك شاهداه ويتلو القاضي دعاء العقد ، ويشهد الله والجماعة الحاضرين على ذلك . فاذا انتهى من هذا اعقبه النساء بالهلاهل ثلاث مرات ، ويعقب هذا تلاوة عشر من القرآن الكريم ، كما انهم يستفتحون العقد قبل حضور الوكيلين بتلاوة عشر من القرآن الكريم .

ويقدمون للقاضي الكفية التي كانت على يدي الوكيلين ، مع بضعة كفافي داخلها سكر،ثم يوزعون على المدعوين ما حضروه للعقد،فان كان غنياً قدم لكل شخص كفية حرير ، داخلها ظرف مملوء بالسكر ، وان كان حاله دون هذا ، كانت الكفافي من غزل ، وربما اقتصروا على ظرف داخله سكر .

ويرسل اهل الختن بعد هذا عدداً من الكفافي التي وزعوها على المدعوين الى اهل العروس ، لكي يوزعها اهل العروس على اقربائهم ومحبيهم .

كما كانوا يرسلون عدة رؤوس من سكر الكلَة ــ سكر القند ــ ويكسرون احدها ، ويقدمون قطعة منها للختن فيأكل منها ، ويذهبون بما يتبقى من هذه القطعة الى العروس ، ويطلبون اليها ان تقضم بأسنانها من المكان الذي أكل منه الختن ــ حتى تكون حلوة في عينه ــ

وان بعض العرائس كانت تستحي من قضم السكر ، فكانوا يتشاءمون من هذا ، ويقولون لها : فلانة امتنعت عن الاكل فكانت غير حلوة في عين زوجها . وفلانة طلقها زوجها ... الخ

الجَلبَات

ــ ٢٣ ــ

يعنون به يوم جلب العروس ــ نقلها ــ من بيت اهلها الى بيت الختن ، ويسمونه ايضاً « **يوم الزَفاف** » . ويسميه اهل العروس «**يوم النَقْشي ــ النقشة**» اي انهم يهيؤون العروس ويزينونها، ويسمونه ايضا «**يوم النَقْلي**» اي انها تنقل من دارها الى دار زوجها . ويسبق هذا اليوم عدة مناسبات :

فقبل ايام تتسابق صديقاتها بدعوتها الى الحمام ، ولكل صديقة يوم ، تدعو اهل العروس وصديقاتها الى الاستحمام في حمام المحلة ، ويكون هذا في الضحى ويستمر الى ما بعد الظهر، ويقولون عن الحمام : ان بيت فلان قد ضمنوا الحمام هذا اليوم ، فلا ترتادها الا من دعيت • وعند الاستحمام يغسلن العروس بصابون مُطَيَّب ، اي فيه طيب – كان يؤتى به من حلب – وربما خلطوا معه ماء الورد ، وقليلاً من ورد الجنبد(٩٠) المجفف ، لكي تكون رائحتها طيبة • يتخلل هذا نقر ورقص وهلاهل ، وتجلى العروس باغاني مناسبة •

وبعد الاستراحة من الاستحمام ، يقدم لهن الطعام ، فيتناولن غداءهن في الحمام، ثم يوزع البَخشيش ويسمونه(٩١) ايضا بالبخيشش – نقود توزع على من في الحمام – : الحمامية ، والقائمة ، وطواية الازر ، والغسالة ، وخدم الحمام ، حتى الوَقّاد ، والزَبّال ،(٩٢) وعطّاي المايْ – اي الذي يدير الماء على الاحواض ، والسقاء،(٩٣) وغيرهم ممن يعمل في الحمام •

ويعقب هذا دعوة اخرى من احدى صديقاتها ، وربما توالت الدعوات •

ليلة الحنة

– ٢٤ –

هي الليلة التي تسبق يوم الجلبات ، وتكون الحَنيي – الحنة – في بيت اهل العروس للنساء ، وفي بيت اهل الختن للرجال •

ففي بيت اهل العروس تجتمع الصديقات والقريبات ويأخذن في النقر والغناء والرقص ، وربما سبق هذا «مَوْلِديَّة» اي تلاوة المنقبة النبوية • يعقبها الغناء والرقص •

وفي بيت اهل الختن تتلى المنقبة النبوية ايضاً ، وبعد انتهائها يكون «الفَصْل» اي الغناء والرقص ، وبعد ساعة او اكثر ، تتقدم الغَسَّالة ، تحمل اناءاً جميلاً فيه حنة مجبولة ، وطاسة ماء قد نثروا فيه زهر الجنبد – الورد البلدي – وصينية فيها عدة شموع ، وتحني كف الختن اليمنى ، تسود هذا هلاهل متصلة ، واغاني ودبكات واصوات مرتفعة متتالية «بالوَردَحاق»(٩٤) ثم تتقدم الغسالة الى الشبان فتحني اكفهم اليمنى ، وكلما حنت واحداً رمى كمية من النقود في الطاسة ، والغسالة تقول له : ان شاء الله احنيك ليلة حنتك ، مبارك عليك •

وبعد انتهاء هذا الفصل ، تذهب نساء من اهل الختن مع عدد من الصديقات الى بيت اهل العروس ، تتقدمهن الغسالة ، وهي تحمل صينية

فيها عدة شموع ، ومقداراً من الحنة المجبولة ، وعدة اكياس من الحنة ، وهن يصفقن ويغنين،فاذا قربن من دار اهل العروس ، هلهلن فيستقبلهن اهل العروس بهلاهل ·

وبعد ان يجلسن سويعة يشاركن في الغناء والرقص ، يكلفن «مَسْعُودِي» احدى المسعودات ، ان تتقدم وتحني كف العروس تيمناً بسعادتها ، لعل الله يجعل العروس مثلها · واما الاكياس التي اتين بها فان ام العروس ، توزع ما فيها من حنة على الصديقات والمحبات ، لاجل «المُرَاد» حتى يكون بركة لمن تتحنى ولم تكن متزوجة ـ بَلْكِي الله يعطيها مرادها وتتزوج ـ

وبعضهم يُبَدّلون للعروس في هذه الليلة ، ويلبسونها ثياب الزفاف ، ويكون التبديل على يد احدى المسعودات ايضاً ، وكلما غيرت قطعة دعت لها بالبركة والسعادة وراحة البال ، يعلو هذا غناء وهلاهل ·

ويأتون مع الحنة «**بالنَقُوط**» وهو مبلغ يناسب مقام اهل العروس ، يعطي منه : للخياطة التي خاطت ثياب العرس ، وللنقاشة ، ولحشاية المنامات ـ المنجدة ـ وربما قدم بعضهم حلي ذهبية مع المبلغ ·

ويرسل اهل العروس عدة صواني من : الشكرلمه ، والحجي باده، والبقلاوة ، ومَنْ السماء ، وذلك قبل ليلة الحنة بيوم واحد ، لكي يقدم منها الى المدعوين في ليلة الحنة ، والى الحفلات التي ستقام في بيت الختن·

الزفـــاف

ـ ٢٥ ـ

قبل يوم نقل العروس يهب اهلها في الصباح الباكر ، ويعنون كثيراً في تنظيف كافة مرافق الدار ، وتنضيد محلات الجلوس بأجمل قطع الاثاث ، ويضعون كرسياً كبيراً في صدر الايوان ، وبعد الظهر تأتي «الحَفّافي» ـ الحفافة ـ وهي التي تحف الشعر ، ثم تتقدم الماشطة ، فتمشط شعرها ، وتتخذه «جنَايل» في نهاية كل جذلة (جذلات من ذهب) ، ويجعلن في مقدم شعرها معقوفاً ويسمونه «اليكَصّه» ويثبتون طيات الشعر بمشط مذهب ·

ويأتي اهل الختن قبيل العصر ومعهم فرس مجللة بالحرير ، منقوش لجامها ، يقودها عبد من عبيد اهله ، يحف به عدة رجال مدججون بالسلاح ـ هذا ان كان مترفاً ـ وان كانت من متوسطي الحال اركبوها على حَسَّاوِية(٩٦) مزينة ، والا نقلت الى دار زوجها مشياً على الارجل ·

يدخل اهل الختن دار اهل العروس بجلبة وهلاهل ، ويقضين

وقتاً في الغناء والرقص ، ثم تتقدم اخت الختن الكبيرة وتصطحب معهـــا العروس ، يحف بها النساء يغنين ويصفقن ، واذا ما خرجت من دارهـــا، تسلمها محارم الختن ، فيحملونها على الفرس ، ويحفون بها عند سيرها، يكون امامها كوكبة من النساء يغنين ويصفقن ، وكلما مروا على حـــي ، استقبلوهم بالغناء والهلاهل وسكبوا عليهم ماء الورد ، وهكذا يستمر الموكب حتى تصل باب الدار ، وقد حف بها عدد كبير من الناس .

ويكون في سطح الدار امرأة تحمل في يدها اناءاً ، فيه عدة قطع من النقود ، والسكر والنقل ، فترمي هذا وراء العروس ، فيتهافت الاطفـال والاولاد على التقاطه ، وينفضوا من حول العروســـ ، فتدخـــل الدار بهدوء .

فتستقبلها أم الختن ومن في سنها على عتبة الدار ، ومعهن صينية فيها قرآن كريم ، وخضرة ــ وكثيراً ما تكون الكرافس ــ فتقبل العروس القرآن الكريم ، ثم تنثني فتقبل يد أم الختن يبادر الاهل الى تقبيلها .

اما اذا نقلت العروس ماشية ، بان كان دارهم قريباً ــ فان امرأتين يلتزمانها واحدة من اليمين ، والاخرى من الشمال ، وهي تسير بهـــدوء «مَشْيَةَ العروسْ» واذا اسرعت جذبتاها لكي تبطيء في مشيتها .

تجلس العروس على الكرسي المعد لها ، وبعد ان تأخذ راحتهـــا وتستريح ، تتقدم احدى النساء اليها ، وتعنى بتخطيطها وتحميرها،(٩٧) ووضع بونة على خدها ، وتصفف شعرها ، وترتب ثيابها ، وتوصيها ان تقعد منتصبة ، غير هَيَّابة ولا خجلة ــ كل هذا والدواخ(٩٨) فـــوق رأسها ، لا تتحرك ولا تلتفت ــ وعلى هذا اذا عيروا امرأة بقلة الحركـــة قالوا لها : كأنك عروس مُدَوَّخَةْ . ويستمر الغناء والرقص الى قبيل المغرب ، ثم ينصرف كل المدعوات ، ولا يبقى في الدار الا بعض الاقرباء .

وبعد المغرب تأخذ أم الختن العروس الى الطعام ــ وقد يكون مـــع العروس عمتها او خالتها ، ويؤكدن عليها ان تأكل بلا اســـتحياء ، لان هذا الدار هو دارها ، وانها مقبلة على حياة جديدة سعيدة ، مع شخص يناسبها وتناسبه .

وبعد صلاة العشاء ينقلون العروس الى غرفتها ، وتلازمها الغسالة فتجلس قرب كرسي العروس ، ولا تترك الغرفة الا اذا دخل الختـــن ، وقدم للغسالة مبلغاً من المـال .

ليلـة الدخلـة

ــ ٢٦ ــ

اما الختن ، فيلازمه رفاقه قبل يوم او يومين ، يقضي معهم الوقت، ويتناول الغداء عند احدهم ، وبعد تناول العشاء ــ هذا اليوم ــ يذهبون

معه الى الجامع ، ويؤدون صلاة العشاء ، ثم يعرجون به الى داره ، يحف به الاصدقاء والاقرباء الذين دعوا الى حفلة العشاء معه ، وهم يصفقــون ويغنون، وكلما مروا على دار صديق ، استقبله النساء بالهلاهل، ويخرج الرجال ، ويهوسون مع الجماعة ، وينادون «بالورد حاق» ثلاث مــرات، وبعد ان يرشوا عليهم ماء الورد ، يواصلون سيرهم وهكــذا ، حتى اذا وصلوا داره ، كان على باب الدار والده واعمامه واخواله ، فيدخل الـدار وسط الهلاهل والوردحاق ، ورفاقه يستنهضون همته ・

على ان بعضهم كان يخلي الدار من الزوار ، ويدخل اهل الدار كل الى غرفته ، ويسود الدار الهدوء والسكينة عند دخول الختن ، ولا يبقــى في فناء الدار الا امه وابوه ، وبعد ان يقبــل يــدى والديه ، يتوجــه الى غرفته بهدوء وسكينة ، فتنقطع الحركة في الدار ، فلا يتكلمون الا همساً، خشية «ان يَنْبِـطْ ـ يفز ـ الخَتَنْ» «ولا ينفع شيء»

وكانت بعض الامهات توصي ولدها ـ عند دخوله على العروس ـ ان يطأ بقدمه اليمنى قدم العروس بخفة ، فان هذا يجعله مسلطاً عليها طول الحياة ・ وبعضهن توصيه ان يضربها برفق على رأسها قبل ان يكشــف الدواخ ، لكي يبقى مسلطاً عليها ・

اول ما يتقدم بعمله ، هو ان يصلي ركعتين شكراً لله تعالى على مــا انعم عليه ، ويسأله ان يجعل الزواج مباركاً مقروناً بالسعادة والهنـــاء ـ وربما صلت هي خلفه ـ

ثم يتقدم الى العروس «ويكشف الدواخ» اي الطاقة التي فــوق رأسها ، ويضعه فوق الصندلية ، ويجلسان جنباً الى جنــب ، ويبدآن بالسمر الى وقت السحر ، ويتناولان ماقد اعد لهما من نقل وحلويــات ـ وهي ليلة العمر ـ يتغنى بها المرأة والرجل ، ويذكرونها في كل حفــل زواج يحضرونه مهما بلغا من العمر ، ولذا قالوا : «ان ضاقَتْ اخلاقْكُمْ اذكروا ليلةَ دَخْلاتْكم» اي ان ساء خلقكم اذكروا ليلة دخلتكم ・

على ان بعض العرائس كن يستقبلن الختن بخوف وحذر ، ويحــق لها هذا ، فانها تخلو بشخص لا تعرفه ولا يعرفها ، حتى انها لم تسمــع صوته ـ ويقال : ان عروساً ضرطت عندما دخل الختن ، ولكنها تداركت الامر فضربت الغسالة على رأسها ، كأنها هي التي ضرطت ، فقال اهــل الموصل : ضِرْطَتْ العروسْ كَفَخَتْ اليِنْگه.(٩٩) فصار مثلاً لمــن يأتي بقبيح ويتهم به بريئاً ・

الصبحية

- ٢٧ -

تستيقظ العروس في الصباح ، فيقدم اليها الختن «الصُبْحيَّة» وهو مبلغ من النقود ، او حلي ذهبية ، وبعد ان تتناول فطورها ، وتلبس ثيابها - بدلة اول يوم - (١٠٠) ويرجلون شعرها ، تأتي اليها ام الختن ، وتأخذها الى والد الختن - الذي صار عمها - فتقبل يده ، ويقبل هو رأسها ، ويدعو لهما بالخير والبركة «ويقدم لها » صبحية ، تناسبها ٠

ثم تنقلها امه الى غرفة منضدة، وقد اجتمع بها اهل الدار فيتقدمون اليها ، ويقبلونها وتقبلهم ، ثم تأخذ مكانها بينهم ٠

وقبيل الظهر يتوافد على زيارتها بعض اهلها : كعماتها وخالاتها ، وبعض الحبايب من قريبات الختن ، يقدمن لها الصبحية : مبلغاً من النقود ، او حلي ذهبية ، او قطعة قماش ثمينة ، او طاقة حرير ، او غير ذلك ٠ ويبقين عندها الى الظهر فيتناولن الغداء ، وبعد الظهر يغنين وينقرن في«القَعَّادَة» ويتناولن النقل الى قبيل العصر، ثم ينفض الجمع٠

اما الختن : فان رفاقه «شبابْ الخَتَنْ» يحضرون الى داره صباحاً ، وربما تناولوا الفطور معه ، ثم يصطحبونه الى المنتزهات والمقاهي ، ويتناول الغداء عند احدهم ، اما في البيت ، او في ظاهر المدينة - ان كان الفصل ربيعاً - ويبقي معهم الى قبيل المغرب ، فيعودون به الى داره وهكذا يكون معه - شبَابْ الخَتَنْ - الى اليوم الثالث ، وبعضهم الى اليوم السابع ، وفي كل يوم يدعى عند احدهم ٠

وفي «ثاني يوم» : يحضر عندها صديقاتها وقريباتها من البنات ويبقين معها الى الظهر ، وبعد تناول الغداء يجلسن في غرفة خاصة يغنين ويصفقن ، ويقضين النهار مع العروس ، لكي تستأنس ، وتزول وحشتها

وفي ثالث يوم تحضر البنات ايضاً ، ويكون اكثر ازدحاماً من «ثاني» يوم ، ويقدمن فيه «الصبحية» ويغنين ويمرحن الى قبيل العصر ٠

الأربعة أيام

- ٢٨ -

يدعى اهل العروس والصديقات في هذا اليوم ، ويكون من اكثر الايام ازدحاماً بالمدعوات ، وقد اعد اهل الختن انواع الطعام والحلويات والفواكه ، يسود هذا اليوم الوقار والهدوء ، وتجري احاديث طريفة عن الزواج ٠

واول المدعوات هي ام العروس وقريباتها ، ولها الصدارة في هذا ، ومما يدور الكلام عنه رأي اهل الختن في العروس عن : طاعتها ، عدالتها، سلوكها ، فان كانت ممن وقع اختيارهن عليها ، جعلن منها عروساً

مثالية في العقل والثقل والعدالة والنظافة والخفة وحسن الادب مع الكبير والصغير • وان كان الولد قد اختارها من غير رضى اهله • كان الجواب : بعد ما بَيَّنْ - بان - خيرها من شرها ، الزواج نصيب ، سنرى مـــاذا كتب الله ، ان شاء الله ستكون على ما نأمل •

واكثر ما يقام في هذا اليوم تلاوة المنقبة النبوية ، ويستمر هذا الى قبيل الظهر • ثم يوزع عليهن النقل ، وبعد استراحة قليلة ، يتقدمـن الى تناول الغداء •

وبعد تناول الغداء ، يعود الفصل الثاني من غناء ورقص وقصـف ويكون شديداً يشارك فيه كل الحاضرين ، وتتقدم المغنية «وتجليـي العروس» اي تجلوها ، كما انها تجلو من معها من اترابها ، وتنهال الخلع والهدايا على «المغنية الجَلاّية» فتكون : بدر نقود ، او طاقات ثمينة ، او قطع حرير او غير ذلك ، كل ذلك اكراماً للختن والعروس ، فاذا انتهت الجلوة ، عاد النساء الى مجالسهن • وتتقدم ام العروس ، وتأمر احـــدى قريباتها باحضار «الخِلَع» - الهدايا - التي تقدم لاهل الختن ، وكـل خلعة في «بقچة» ، فتأخذ اولاً هدية والد الختن ، وتفتح البقچة ، وتعرض ما فيها على الحاضرات ، واكثر ما تكون هذه الهدية : سجادة للصـــلاة مطرزة ، او منقوشة ، ومنديل للوضوء ، وبعض قطع الثياب •

ثم تفتح هدية الام ، واكثر ما تكون كهدية الاب ، وتقدمهـا الى ام الختن • وكلما قدمت هدية اعتذرت فيما اذا كانت قليلة لا تناسب المقام، وان ام الختن ترد عليها : هذا كثير ، والبركة من الله ، ونحن نشكركم على هذا • وهكذا تقدم الهدايا «الخلع» الى افراد العائلة فرداً فرداً ، حتى الخدم ومن له علاقة بهم : كالغسالة ، والسقاء ، وسائس الخيـــل ، والقهوجي - مقدم القهوة - ••• الخ•

وقبل ان تنفض المدعوات ، يقدمن «الصبحية» التي جاءوا بهـا الى ام الختن ، فتعطيها الى العروس ، وربما اجتمع عندها مبلغ كبير مـــن (ليرات الذهب) ، وقطع قماش ثمينة ، وطاقات ثقيلة ، وحلي ذهبية ، وكلها تكون للعروس •

وأن بعضهم كان يهدي للختن هدايا ذات قيمة : كان يهديه فرساً او حصاناً ، او بندقية ، او غير ذلك كل ذلك اكراماً لاهل الختن •

- ٢٩ -

ثم تتوالى الزيارات على العروس بعد هذه الايام حتى اليوم السابع، وفي هذا اليوم ، تدعو أم العروس بنتها واهل الختن والصديقـات ، الى حمام المحلة للاستحمام بها ، وفي اثناء الاستحمام تجلو المغنية او الغسالة العروس وسط هلاهل وغناء ، ثم تجلو صديقاتها اللاتي بجانبها •

وبعد الظهر يتناولن الغداء في الحمام ، ثم توزع أم العروس الهدايا على اهل الحمام ، ومن يعمل فيها ، وينتهي هذا السماع فتعود كل الى دارها .

وبعض اهل العروس يدعون العروس واهل الختن واهل العروس الى الاستحمام في حمام محلتهم ، وذلك في اليوم الخامس عشر وتسمى الدعوة (حمام الخمسة عشر)

اما العروس فلا تزور أهلها قبل مضي شهر او اكثر على زواجها، وبعد هذا يأتي احد أهلها ويصطحبها الى دارهم ، وتسمى هذه «زيارة العروس» اي انها تزور أهلها «اول زيارة بعد زواجها ، وتمكث عندهم يومين او اكثر ، ويقدم لها ابوها وامها واخوتها هدية مناسبة ، مبلغاً من النقود،أو حلي ذهبية وتسمى هذه هدية «الزِيَارَة» وخلال مكوثها عند أهلها ، يحتفي بها أقاربها ، فيدعونها لزيارتهم في دارهم . فتجيب دعوتهم بالمناوبة ، وقد تتناول عندهم الغداء او العشاء . ويدعون معها صديقاتها ، وعند انصرافها يقدمون لها هدية «الزيارة» .

وبعد انتهاء الزيارات يأتي الختن الى بيت أهلها . ويتناول عندهم العشاء ، ويمكث عندهم مدة ، ثم يصطحبها معه الى بيت أهله .

وهكذا ينتهي فصل الزواج «فَصْل السَمَاع يابيت الاحْمَا».(١٠١)

وبعد مضي أيام على حركة الزواج ، واستقرار أهل الدار ، فان والد الختن يدعوالرجال منأهل العروسالىحفلة عشاء،فيأتي ابوها واخوتها واعمامها وابناء عمها ، ويتناولون العشاء مع أهل الختن .

فاذا حضر والدها فانها تقبل يده ، ويد من هو أكبر منها سناً من أقاربها ، كما ان زوجها يقبل يد والدها ، الذي صار «عَمَّه» .

فيتعارف الطرفان وتسود بينهما المحبة . وترفع التكاليف .

وبعد عدة أيام قد يدعو والد العروس أهل الختن الى حفلة عشاء ، لتوثيق أواصر الصداقة والتعارف بينهم ــ وهكذا تستمر الدعوات والزيارات فيما بعد .

(١) هم المهنئون ٠
(٢) النمال : اولاد كثيرون بعدد النمل ٠
(٣) الكطا : القطا « الطائر المعروف » لطا ٠ يلطى : اي لازم التردد ٠
(٤) بلطه : يقول الواصلة لمن ينظر بغير استحياء : عينه بليطه ٠
(٥) تكنى الام عن سوءة ابنها بلفظ « طير » ٠
(٦) الجنجل : الجلجل ، تهنگل : تهمجل ، من الهمجلة ٠
(٧) اي خطيبته ٠
(٩) لفظ تركي بمعنى ينطفىء ناره - اي يكون بلا خلف ٠
(١٠) الكذايل : جمع كذله ٠ جدله ٠
(١١) اي كسبه حلال ٠ وهو تعبير تركي ٠
(١٢) شطف : غسل المرمر بالماء ٠
(١٣) يقول الواصلة (اصيل مصنصل) اي طيب الأصل ، خاليا من كل ما يشينه ٠
(١٤) الكصه : مقدم الراس فوق الجبين ٠
(١٥) اي تحسن ادارة الدار ، والا فهي « بنت زقاقات » اي كثيرة الدوران في الشوارع ولا تستقر في دارها - فهي« طراره ام ابواب » ٠
(١٦) هل : بمعنى هذا ٠ وقد تكون بمعنى « ال » للتعريف ٠
(١٧) البخت : حظ ، نصيب ٠
(١٨) كليب : جمع كلب ٠
(١٩) الرشيق ٠
(٢٠) اتعكز : اي اتخذها عكازا لك ، ولا تنظر الى غيرها - الاملاح : جمع مليح ، ومليحة٠
(٢١) من لم يتزوج من اهله وقومه ، يموت من غير داء ٠
(٢٢) الهوسه : هرج ومرج - الهوشه ٠
(٢٣) جماقة : كثيرة الدوران في الشوارع ٠
(٢٤) فرقت ٠
(٢٥) الفصل : حفلة موسيقية (چالغي) ويكنون بها عن القتال والانزعاج ٠
(٢٦) المصيدة التي يصاد بها الفيران ٠
(٢٧) حملت ٠
(٢٨) انظر الى عباءتها ، هل هي ثابتة في محلها ؟ كناية عن عدم رغبة صاحبتها بترك الدار٠
(٢٩) تدخل ٠
(٣٠) اي تجعل نفسها مثلنا ٠
(٣١) اي بهدوء ٠
(٣٢) يكنى بهذا عن ان بعض الناس يكتمون اعمالهم ، وبعضهم يصرحون بها ٠
(٣٣) بنت اسرة معروفة ٠
(٣٤) معدل : تتقن اعمال البيت ، وعكسها : جيفي ، والشاطرة : خفيفة الحركة -نشيطة-
(٣٥) اي هوشة ٠
(٣٦) القوغه : القتال ، تتطش : تتفرج ، بيت قشقوان : عائلة عرفت بكثرة القتال ٠
(٣٧) اي جميلة كالتي يؤتى بها من بلاد كرجستان ٠

(٣٨) حكاكي : حجر بركاني أسود ، تحك به المرأة أسفل رجليها عند الاستحمام ، والتكاكي : خشبة طولها نصف قدم منقوب احد طرفيها ، يدخلون به تكة السروال اذا ما ارادوا ادخالها في بيت تكة السروال •

(٣٩) الديرم القشر التي تكون فوق الجوزة قبل جفافها ، وهي اذا وضعت فوق الشفة اكسبتها حمرة •

(٤٠) غداءاً دهنيا •

(٤١) اي تكيل جزافا •

(٤٢) قضيب •

(٤٢) السفبس : آلة من قصب يلف عليها الحائك غزله ، ويشبهون به المرأة الضعيفة•

(٤٣) البرمة : برنية صغيرة متخلفة • لقوله : اي بطيخة غير صالحة للاكل ، طرفش : كثيرة السمن • تفش : تفسو •

(٤٤) جماقة : كثيرة الدوران في الازقة ، يا باب •• يضرب هذا للتي تكثر الخروج من دارها •

(٤٥) فضحت وفرقت •

(٤٦) عوع : كلمة استهجان ، وهي كالقرد •

(٤٧) اي ارتفعت •

(٤٨) بعد فقرها دهشت •

(٤٩) قول تركي يراد به : لمن تعدى طوره فاصبح غنيا بعد فقر •

(٥٠) مطرقة •

(٥١) اي جندي •

(٥٢) المنيشن والمنيشنه : تسمى البنت بفتى ، فتكون منيشنته ، فيلبسها حلة ذهبية وهي النيشان اي العلامة •

(٥٣) شراب يتخذ من السكر ويضاف اليه ماء الورد ، يكون لونه احمر •

(٥٤) تبسة الشربت : صينية توضع فيها اكواب الشروب •

(٥٥) تنتلي : تمتلىء •

(٥٦) ضعيفة كنبات السوس •

(٥٧) غفش : نوع سمين من السمك يسمى (رفش) •

(٥٨) عدة سنين •

(٥٩) عدة بنات •

(٦٠) شتان ما بيننا من فوارق •

(٦١) كل جماعة تناسب من تعطيها وتاخذ منها •

(٦٢) حلت عندنا البركة بقدومكم •

(٦٣) تمزقت ازرنا •

(٦٤) يما : اماه ، احنيني : طعام يتخذ من تمر يقلى بالدهن ، ثم يضاف اليه بيض يقلى أيضاً بالدهن وتسمى في الموصل « حنينية » •

(٦٥) كان التجار ووجهاء البلد يرتدون الجبة ، واكثر السوقة والعمال يرتدون العباءة •

(٦٦) زت : رمى • واما سليمان بك فهو ابن عبدالله بك الجليل (١٢٨٠-١٣٢٦هـ) كان احد علماء الموصل وادبائها يتقن العربية والتركية والفارسية ، ودرس في المدرسة الخليلية في جامع الاغوات ، وله شعر رائق في الفصيح والعامية ، وله عدة تنزيلات تتلى في حفلات المولد النبوي •

(٦٧) الارض الممتدة من قره سراي الى باب سنجار وفي الجانب الغربي منها قبر الفتح الموصلي • انظر عنه : الموصل في العهد الاتابكي : ١١٦ ، ١٦٠ •

(٦٨) الشيخ ابو عبدالله الحسين بن عيسى (٤٧١-٥٧٣هـ) منهل الاولياء : (٢:١١٦-١٢٩)

(٦٩) الشيخ محمد بن علي الموصلي المتوفى سنة ٦٠٥هـ منهل الاولياء (٢:١١٠-١١١)

(٧٠) يقع مقابل معمل النسيج لنجيب الجادر على يمين الذاهب الى نينوى •

(٧١) وتسمى پنجة الامام علي ، ويسمى مشهد الطرح - يقابل مقر رئاسة جامعة الموصل (منهل الاولياء : ٢ : ٢٢٥-٢٢٦) •

(٧٢) اي دير مار ايليا ويعرف بوادي الدير ، والدير الغربان (الموصل في العهد الاتابكي : ٧٢) •

(٧٣) حزام على شكل سير من ذهب ، تحزم به المراة ، والجرجر : عدد من ليرات ذهب انجليز (انكروزى) او عثمانية تنضد في زنجيل ، يكون في عنق المراة ويتدلى على صدرها • والكردانه : زنجيل ذهب ، يثبت به عدة دلايات من ذهب يكون في عنق المراة - الكرد - العنق - ، والمنتشى : عدة سلاسل ذهب تثبت في قطعتين من ذهب وتكون على صدر المراة بعد ان يثبت طرفاها بكلابين من ذهب يكونا في كتف المراة ، والمكطع عدة قطع ذهب تثبت في زنجيل ويلبس تحت ابط المراة - والقامة : عدة قطع اسطوانية الشكل ، تحشى بالشمع ، وتنضد في زنجيل ذهب ، وتكون تحت ابط المراة - كما تحمل القامة (سكين يحمل في الحرب) والمفردات : جمع مفرد سوار دقيق جميل الصنع ، يلبس عدد منه في زند واحد -

(٧٤) الجاجيم : كساء من صوف يستتر به ، وتشتهر الموصل بجواجيمها ، والحرام : يكون كالجاجيم الا انه ينسج من غزل القطن •

(٧٥) الجوديله : تشبه المطرح الا انها تحشى قليلا ، وهي سهلة النقل ، يجلسون عليها صيفا ، وفي المتنزهات •

(٧٦) اناء يحفظ به ماء الورد •

(٧٧) اللگن : طشت صغير ، وبعضه يستعمل كاناء يجمع به ماء الوضوء بعد الغسل فيسمى « لگن تغسيل » •

(٧٨) يطلق اهل الموصل على قطعة « الحلي » اسم حاجه ويجمعونها على « حوائج » •

(٧٩) امونه ، امو ، مصغر آمنه • والشكرلمه : حلوى تصنع من الطحين والدهن والسكر

(٨٠) مصغر عائشة : حلوى تصنع من الطحين واللوز المطحون والدهن ، وتتخذ اقراصا تشوى بالفرن •

(٨١) مصغر فاطمة : والقيسي محشى مجفف يطبخ بالسكر - والعلي بخارا : اجاص مجفف يطبخ بالسكر •

(٨٢) لا يخلو فرح من تقديم البقلاوة ، وهي تتخذ من عدة ارغفة رقيقة تشبك بالنشاء ، وتوضع في صينية قد دهنت بدهن الغنم ، ثم يضعون جوزا مطحونا مع السكر فوق الارغفة المسبوكة ، ثم يضعون فوق هذا ارغفة اخرى • وقد تبلغ ارغفة الصينية الواحدة بين ٥٠-١٠٠ رغيف ، وهذا يدل على مهارة شدادة البقلاوة ، ثم يضاف اليها الدهن وترسل الى الفرن ، وبعد ان تشوى وتبرد ، يضاف اليها « شيرة » اي سكر مذاب بالماء ومغلي فوق النار •

(٨٣) اي تهز جسمها هزة واحدة •

(٨٤) كل من تسمع الصوت تهلهل •

(٨٥) نوع من القرع - اليقطين - يكون رقيقا ابيض اللون ، تشبه به الزنود الجميلة •

(٨٦) يكنى المواصلة عمن يغار انه : أبو دودي ، وهي ام دودي • شنبرت : اي ظهرت دودتها وامتدت •

(٨٧) الجنجانه : وجمعها جنجانات : بعض النســاء يشاركن في الافراح والغنـــاء ، او التعازي والنوح ، ويقدم لهن بعض الشيء - فهن يغنين لكل واحد ، وينحن على كل ميت -

(٨٨) الجديد ، ويقول المواصلة لمن لبس ثوبا جديدا : دشنه ٠

(٨٩) جمعة الخضر : اول جمعة تكون في الربيع ، يخرج فيها الناس للنزهة ، ويصنعون قبل يوم حلاوة تسمى « حلاوة جمعة الخضر » يبيتونها عند راس المدلل من اولادهم وفي الصباح يوزعونها على الاقارب والجيران ٠ ويتخذون سويقا فيقلون الحبوب : حنطـــة ، شعير ، ذرة ، حمص ، الخ ٠٠ ويطحنونها (بالمدار) ويضيفون اليه « سعدا » يابسا ، او قشور البرتقال ، ويضعونه في اكياس صغيرة تخاط له ، وفي الكيس قصبة يمتص منها الطفل السويق ، ويكون في داخله قطعة من الحلاوة ، ويفرح الاولاد به ، ويثبتونه بخيط في اعناقهم ٠

(٩٠) في الموصل نوع من الورد تكون رائحتهزكية يسمونه «جنبد بلدي» - ورد جوري - يتخذون منه ماء الورد ، ويستعملونه في اغراض كثيرة ٠

(٩١) لفظ فارسي من « بخشيدن » وهو الهبة والاحسان : دريهمات تعطى كهدية ٠ وهو لفظ شائع الاستعمال في العراق - (كلمات فارسية - ١٥) ٠

(٩٢) الوقاد : الذي يوقد آتون الحمام ٠ والزبال : الذي يجمع الزبل الذي يوقد في آتون الحمام ويسمونه الكرخانچي ٠

(٩٣) وهو الذي يستقي ماء الحمام من البئر ٠

(٩٤) اصطلاح تركي معناه : حصلنا مرادنا ، يعيش الجميع ٠

(٩٥) بدل الشياب : اي لبس ثيابا غير التي كانت عليه ٠ فيلبسون العروس اجمل بدلاتها التي جهزها به اهلها ٠

(٩٦) الحساوي ومؤنثه الحساوية : حمار ابيض اللون يستعمله الناس للركوب عليه في تنقلهم داخل المدينة ، يكون غالي الثمن ، ويضعون على ظهره سرجا جميلا ٠٠

(٩٧) الخطاط : يخططون وجهها وعينيها ويتخذن نونة سوداء بين عينها ، وشامة على خدها الايمن ، والحمرة : قطعة من قطن احمر ، يحمرن بها خدودها وشفتيها ٠

(٩٨) طاقة حرير ثمينة يقدمها اهل الختن ، توضع على راس العروس ٠

(٩٩) الينگه : زوجة صاحب العمل ، فان الصناع ينادونها : ينگه ، احتراما لها - اي يا بنت العم ٠

(١٠٠) من ثياب العروس التي تعد لزواجها : بدلة ليلة الدخلي ، بدلة اول يوم ، بدلة ثاني يوم ، وبدلة يوم « الاربعة أيام » وكلها ثمينة ٠

(١٠١) انتهى الزواج يا اهل العروس ٠

مراسيم دورة الحياة في كربلاء

سلمان هادي الطعمة

الولادة

تستعد عائلة المرأة الحامل خلال الشهر السابع من الحمل بتجهيز ملابس الطفل واللوازم المعدة له ، وتشمل : المهد[1] (الكاروك) والفراش وغطاء قماش ململ والدولاب (الكنتور) حسب امكانية العائلة . وقد تنعدم هذه الوسائل لدى بعض العوائل الفقيرة .

وحين تشعر المرأة الحامل بآلام الولادة يرسل على القابلة في المحلة، ويطلق عليها الجدة أو المولدة ، لكي تنضم الى افراد العائلة ساعة الولادة ، فتأخذ موضعا منفردا عنهن .

تشتد الآم لدى المرأة الحامل في منطقتي البطن والظهر بين لحظات واخرى ، ويعبر عنها انها «تطلگ» اي انها تتحسس بخروج الجنين حتى تحين الولادة . وفي خلال هذه الفترة تهيأ بعض الادوية والعقاقير الطبية كورد لسان الثور والزعفران والهيل ، فيكون خليطاً تشربه المرأة الحامل ، فتسرع في اسقاط الجنين . وفي الوقت الحاضر تحبذ بعض العوائل ارسال المرأة الحامل الى مستشفى المدينة وذلك دفعاً للخطورة التي تصاب بها .

وعند قرب موعد الولادة تجتمع النساء من اقارب وجيران في الغرفة المعدة لهن ، وفي خلال تلك الساعات يفور للمرأة الحامل ورق البطنج حيث تشرب ماءه لدفع الغازات ، ثم تشرب ماء الزعفران ، وبعدها تتناول بيضاً ليناً ممزوجاً صفاره ببياضه اي انها «تصرف البيضة» .

وبعد ذلك بفترة وجيزة تشرب سبع عرقات تخلط بحب أسود يعرف عندما (بالانكو) يوضع كله في كاس فتشربه كمقوي . ثم تجلس على طابوقة حارة لتسهيل عملية الولادة،ويؤتى بمنقلة صغيرة توضع فيها جمرات النار ، ثم يُبخّر الحرمل .

بعد خروج الجنين تقوم المولّدة بقص سرته اي الحبل السري (الميسّر) وتغسل المولود وتصلي على النبي محمد (ص) ويبقى قسم من المسر معلقا بالسرة قدره نصف اصبع ، ويلف هذا بقماش حتى يسقط تدريجياً بمرور الزمن . ومن الطريف ان الامهات يرمين القطعة الساقطة هذه بعض الحوانيت لكي يصبح الطفل صاحب عمل في المستقبل ، أو في ساحة مدرسة لكي يصبح موظفاً في الدولة اعتقاداً منهن . ثم ترمى المبالغ المتعارف عليها على المسر ، فمنهن من ترمي دينارا واحداً واخرى نصف دينار كل حسب استطاعتها ان كان المولود ذكراً ، وان النقود احياناً قد تبلغ العشرة دنانير عدا الاكرامية (البخشيش) . ثم تقوم المولّدة بغسل الطفل بالماء الفاتر والصابون الرقي ، وتدهن مفاصله وتقمطه بقطعة قماش وتسلمه الى امه . وتعم الفرحة في ارجاء الدار ، وتزغرد النسوة (تهلهل) وينادين : صلوات .. صلوا على محمد وآل محمد .. ويقدّم للمولدة المنشفة (الخاولي) والصابون كهدية نقدية .

وبعدها تطبخ العائلة العصيدة (وهي خليط من الطحين والسكر والسمن) لمدة ثلاثة ايام متتالية تقدم للمرأة النفساء (النفسه) كما وتذبح لها دجاجة صغيرة (فرّوجة)، وتعطى للمولدة دجاجة . وفي حالة صراخ الطفل يفور له (زعتر الهوه)(٢) مع الكمون والورد وأضافير الجن ، فيشربه ويهدأ روعه . أما اذا كان المولود انثى ، فان النساء تقع عليهن (خمادة) اي تخمد انفاسهن ، وبعد ان يصلين على النبي محمد ، يخاطبن النفسه : الحمد لله على السلامة . ثم يرمين على المسر المبالغ حسب الامكانية ان كانت المولودة الاولى (البجر) اضافة الى المبلغ المتعارف عليه (البخشيش) وهو دينار واحد أو يزيد عنه . وقد يحصل تعسر شديد أو نزيف قوي لدى الولادة أو عدم عناية المولدات مما يسبب موت النساء.

ثم تقوم المولدة بثقب اذنيها لكي يلبسها أهلها الاقراط (التراچي) في المستقبل . وكذلك المولود (الذكر) فقد كانت تثقب اذناه وأنفه

ويلبس الذهب للتجميل وذهاب الحسد عن الاعين ٠٠ ثم تضع المولّدة اصبعها في سقف فم الطفل (ذكراً كان أو أنثى) وتلوثه بتربة الشفاء(٣)، حيث تثبت لهاته خوفاً من نزولها على اللسان اي (تلهد) ثم تؤذن في أذنيه لألقاء شهادة التوحيد والاسلام ٠ ويعصب الطفل بعصابة بيضاء أو تلبسه أمه (الكاووريه) في رأسه خوفاً من اصابته بمرض٠ ومن الطريف ان كل من لديها طفل رضيع تأتي به ساعة الولادة لكي يشم رائحة كريهة (زفر) حال خروج المولود الجديد ٠ فان لم تجلبه فهي لا تستطيع التردد على المرأة النفسة ٠وبعدها تقوم المولدة بدور آخر ، حيث تأخذ الطفل الى الاسواق للتجوال به في الاسواق كسوق القصابين وسوق البزازين وسوق العطارين وينتهي بها المطاف في دكان صباغ الملابس ، حيث يلون قطعة قماش ينقطها بالوان مختلفة ويضعها على وجه الطفل (يبرگعه) ثم تدفع له مبلغاً قدره مائة فلس ، فتعود به الى أهله ٠ كل ذلك لكي لا تؤثر الالوان على المولود فيقال حينذاك (ينچبس) اي انّ لونه يتخذ لون القماش الذي ينظره فيصاب بنتيجة ذلك بالمرض ٠ وتوضع تحت وسادة ام الطفل سكينة ومقصّ لمدة ٧ أيام دفعاً للشر ٠كما يجب ان لا تبقى الام وحدها في الغرفة دون ان يشاركها شخص آخر من افراد العائلة ، وذلك لكي لا يمسها الجن بأذى كما يعتقدن ٠

تبقى الام في حالة استراحة ثلاثة ايام حيث تاتي المولّدة فتغسل الطفل (تشطفه) وتتناول وجبة طعام ، ويعطى لها الصابون ورأس قند والمنشفة (الخاولي) ومبلغاً من المال يتراوح بين النصف دينار والدينار٠ وان كان يرغب اهل الطفل (الذكر) بختانه في اليوم المذكور فيأتون بـ (المطهرچي) فيتم الختان

أما في اليوم السابع فان النسوة يأخذن ام الطفل الى الحمام ويكون معهم الطفل والمولّدة ٠ ففي وقت الشتاء يأخذن مقداراً من الخس والبرتقال والنومي والبيض لنفسه حيث (تصرفه)بعد وضعه بالماء الحار ٠ وهناك يبّخر لها مقدار من الحرمل بعد وضعه في منقلة صغيرة طراداً للشر ٠ أما في الصيف فانهن يجلبن (دولكة) مملوءة بالشربت ، والرقي والبطيخ والخيار والعنب والرمان والفواكه الصيفية الاخرى ليأكلن داخل الحمام ٠ تغسل الدلاكة للمرأة النفسه ، والمولدة تلطخ جسمها بالدواء والعسل والبيض والعقاقير الطبية لتقوية عظام المرأة اثناء التدليك ٠ ثم تمنح العائلة الاكرامية (البخشيش) للدلاكة وصاحبة الحمام مع صينية غذاء ٠ وفي مساء ذلك اليوم ترسل الى المولدة صينية

عشاء مع مبلغ لا يقل عن ثلاثة دنانير يوضع داخل ظرف خاص في الصينية . ومن العوائل من تقوم بختان الطفل في هذا اليوم نفسه . وتقام الوليمة أيضاً من قبل الاهل وذلك بذبح خروف أو ما يعادله بالدجاج ويطبخ الرز والمرق ، بحضور عدد من المدعوين . وعندما يبلغ الطفل ٤٠ يوماً من عمره يلطخ جسمه وأنفه واذناه ويداه ورجلاه بسبعة انواع من العطور كي لا تؤثر عليه الروائح الكريهة في الصيف . ثم يخرج به الى السوق في موسم الورد ويوضع في سلة ورد (محمدي) مقداراً من الزمن لكي لا يصيبه المرض ، ثم يعاد الى اهله .

أما غذاء الطفل فهو الماء الحار والسكر المذاب فيه (قنداغ) ، وبعد أن تنتهي ثلاثة اوقات من الاذان ، (الظهر . المغرب والعشاء . الفجر) تبدأ الأم برضعه عدة مرات يوميا ، واذا لم يكن لديها الحليب جاهزاً ، فتشتري له العائلة حليب بقر أو جمل .

وهكذا يستمر الطفل بالحيوية والنمو حتى فطامه بعد عامين . قال عز شأنه في كتابه الكريم (وفطامه في عامين ان اشكر لي ولوالدي والى المصير) . أما اسم المولود فيختاره الجد أو الأب أو رب البيت وذلك بواسطة القرآن الكريم او تكون تسميته تيمناً باسم جد الولد (ون كان المولود ذكراً) او باسم احد اسماء الائمة الاطهار اولياء الله الصالحين اي باسم احد الزعماء والقادة ، او ان يكتب رب البيت مجموعة من الاسماء فيرميها في كيس فارغة ويختار من بينها اسماً على شكل قرعة فيطلقه على وليده . وان كان المولود انثى فيكون اسمها تيمناً باسم نساء آل بيت محمد (ص) . ولابد لنا ان نذكر ونحن في معرض الحديث عن الولادة ان نساء العائلات تتزاور بين حين وآخر ، وتتبادل الضيفة بعض جمل الدعاء والتمنيات منها : **(ان شاء الله نفرح ويايج بطهور فلان)** و **(ان شاء الله نخدمج يوم نفاسج)** و **(ان شاء الله سنة اللخ جاهل ابحضنج)** الى غير ذلك من الاقوال الدعائية المتعارفة .

الختان

ومن التقاليد الشعبية الشائعة (الختان) أو ما يعرف (بالطهور) والاحتفال به . فهو من الواجبات الاسلامية التي تفرض على كل مسلم . قد تسبق الختان ليلة فرح سائرة مبهجة يجتمع فيها الاقارب والجيران فتلطخ ايدي الطفل الذي سوف يُختن بالحنّاء وتلف بقطعة قماش (ستن) مثلثة الشكل وتخاط خصيصاً لتلك الليلة . كما تحضر (الملّة) فتنقر بالدنبك وتنشد الاغاني ، وتعلن المسرّات حتى ساعة متأخرة من

الليل . وفي صباح اليوم التالي يؤخذ الطفل الى الحلاق ومنه الى الحمام . ثم يرسل صاحب الدار على الزعرتي[4] «المطهرچي» وهو الشخص المجاز رسمياً بختان الاطفال بأمر من وزارة الصحة اليوم . بعد أن تكون العائلة مستعدة لاعلان الافراح في ذلك اليوم . ويبقى المطهرچي ينتظر دوره حتى عودة الطفل من جولته مع الفرقة الموسيقية التي تعرف بالزفة ، فتجري عملية الختان .

والزفة تراث شعبي أصيل يأخذ مظهراً من مظاهر وجدان الشعب وأحاسيسه . يجب ان يكون عدد الاطفال المشاركين بالزفة والختان فردياً ، ولا يجوز العدد زوجياً ، وهناك بعض الموسرين من يصحب طفلاً واحداً لاحد الفقراء يشارك اولاده في الختان طلباً للثواب والأجر . وفي حالة عدم وجود شخص ثالث يعوض عنه بديك يقص من عرفه ويعطى للمطهرچي . يتميز موكب الزفة بأن يتقدم الاطفال وهم يلبسون الذهب والثياب البيض ويتعبهم صبيان المحلة وترفع صينية فيها الحناء والشموع والياس يحملها اطفال العائلة ، ينثر (يطش) الملبس والچليت وينثر ماء الورد على رؤوس المشاهدين والمشتركين ، والفرقة تهزج بأهازيج عذبة في مسيرة طويلة تبتديء من بيت الطفل مارة بالشوارع والازقة ومنتهية بالبيت ايضاً . وكانت الشيمة العربية تستدعي قديماً ركوب الخيل والتجوال في طرقات المدينة . وتستغرق الزفة ساعة او اكثر بموعد يتفق عليه . ويتقاضى الطبالون مبلغاً كهدية .

عملية الختان

تتطلب عملية الختان جلب المطهرچي للمواد التالية : النيشان ، الميل ، القراصة ، الموس ، المقص ، المرهم . اللفاف

التقيت بالحاج عبد العباس بن خضر الخفاجي المولود سنة ١٨٨٦ ميلادية وهو من اقدم حلاقي كربلاء اليوم ، يقوم بمهمة ختان الاطفال منذ اكثر من نصف قرن . حدثني فقال : عندما يطلب مني ختان طفل اقوم بعملية قص العضو (ذكر الطفل) بعد أن الهيه ، واخاطبه (انظر الطير في السماء كيف يطير) وما اشبه ذلك ، وبعدها يصرخ الطفل صراخاً عميقاً فاقوم بتضميد الجرح في الحال ، ثم انصرف . وبعد استراحة تستغرق ساعتين تبدأ عملية فتح الخيط لكي يجمد الجرح ويضمد . ويصادف احياناً ان بعض الاطفال المختونين قد يتعرضون الى اختلاطات أو مضاعفات تؤدي الى الورم نتيجة اهمال ذويهم للمعالجة، فأضطر الى المجيء يومياً لمداواة مثل هؤلاء الاطفال . أما اللفاف فافتحه بعد الظهر وأبدله بلفاف آخر بعد وضع الدهان (المرهم) والسلفات . ثم

يشفى بعد مضي ثلاثة ايام أو اكثر وقد يصل الى عشرة أيام ٠٠ وقد أفاد في ختام كلامه : ان الاجرة التي يتقاضاها لا تحدد بثمن بل هي اكرامية حسب استطاعة الاسرة ، وأما الفقراء فمجاناً ٠

ويصاحب عملية الختان (الواهلية) وهي خليط من الملبس والحامض حلو ، ونثرها على رؤوس الحاضرين ٠ وبعد مضي فترة من الزمن يأتي قارعو الطبول ، بعد أن اخبرهم رب البيت ، فيدقون بالطبول بينهم من ينفخ بالبوق (المزيقة) فتضفي على النفس مسحة من النشوة والمتعة تتخللها اغان شيقة وبستات مسلية ودبكات شعبية ، حيث يقفون في البداية على عتبة باب الدار ، ومن ثم يدخلونها،وتتعالى صيحاتهم المرحة ٠ وبعد فترة وجيزة تستغرق الربع ساعة يتركون الدار ، بعد أن يتقاضوا المبلغ المعتاد عليه وهو دينار أو اكثر ، ثم تأتي الفرقة الاخرى وهي تنتظر دورها على بُعد ، ثم تتقدم الفرقة الثالثة ٠
وهي تنتظر دورها على بُعد ، ثم تتقدم الفرقة الثالثة ٠

ومن العادات المألوفة لدينا أن تهيأ دعوة للمدعوين من الجار والاقارب والاصدقاء نساء ورجالاً وحتى اهل الطبول ، حيث تصف القدور الكبيرة على النار امام باب صاحب الدعوة فيحضر المدعوون لتناول طعام الغذاء على مائدته ٠

الزواج

الزواج ظاهرة اجتماعية وسيكولوجية تتم بموافقة الزوجين واهليهما وفق شروط وقواعد معينة ٠

الخطبة

عندما لا تكون للفتى ابنة عم يتزوجها ، يفتش له أهله عن فتاة تتمتع بالسمعة الطيبة ٠ وكانت الاجراءات التمهيدية للخطبة تتميز بالسؤال عن الفتاة ومستواها الطبقي بحيث تكون ملائمة لاطباعهم ٠ وبعد الوصول الى النتائج الايجابية واعطاء الموافقة تتفق النساء فتقرر خطبة المرأة المعينة ، وفي الغالب تكون أم الفتى أو أخواته قد شاهدن الفتاة وفكرن بأمرها منذ زمن ٠ ويبذل الرجال كل ما في وسعهم للحصول على الموافقة حتى يحل التراضي ، ويتفق على مبلغ الصداق (المهر) خلال جلستهم ٠ وكانت التقاليد الشائعة في كربلاء انّ الرجل لا يرى الفتاة التي سيتزوجها الاّ في ليلة زفافه ٠ يرسل اهل الفتى خبراً الى اهل الفتاة بتعيين موعد لجلب نيشان الخطوبةوهو خاتم ذهبي تلبسه الفتاة٠

اصبح الشاب في الوقت الحاضر هو الذي يختار عروسة احلامه ، ويتم التوافق والانسجام بعد الاختلاء بها ومصاحبتها فترة من الزمن خلال فترة الخطوبة لتكوين العش الزوجي . وقد يميل الفتى الى اختيار الفتاة من داخل المدينة اثر ما سمعه عنها وعن عائلتها او شاهدها في شوارع المدينة واسواقها . وربما يطلب من الفتى الجلوس في مقهى معينة خلال موعد محدد ، وتمر الفتاة فتراه ويراها .

اما النيشان في الوقت الحاضر فيتكون من عقد أو سوار من الالماس أو طقم ذهب كامل مع قطع من القماش وعلب حلوى . وخلال تلك الايام ترسل الفتاة حاتما فضيا وهدية بسيطة مع علبة حلوى .

المهر

يرسل اهل العروس خبراً لأهل العريس بأنهم سيتوجهون اليهم . تذهب النساء الى دار العروس وهن يحملن (بقچة) تحوي بدلات العروس والعباءة والحناء والصابون والحلويات مع المبلغ المتفق عليه يوضع في ظرف خاص داخل البقچة . المهر يتألف من المؤجل (الغائب) والمعجل (الحضر)، وقد كانت الحقوق التي يطلبها أسلافنا ٢٠ ليرة الحاضر و٢٥ ليرة الغائب. اما اليوم فن مبلغ الصداق يتراوح من ٣٠٠ الى الف دينار عراقي او أكثر الحاضر ، يتراوح الغائب بين الـ ٥٠٠ دينار عراقي الى الف دينار او اكثر.

عقد القران

يتم عقد القران في حفل بهيج يضم جمعاً من المدعوين في دار العروس، حيث توجه اليهم بطاقات الدعوة الخاصة ، ويكون الوقت عادة عصراً ، فتوزع المرطبات والحلويات وكاسات تحوي على الملبس والچكليت والسيكاير .

ماذا يجري عند النساء ساعة العقد ؟

تجلس العروس في غرفة مغلقة تضم قريباتها وقريبات العريس على وسادتين قديماً أو على كرسي في الوقت الحاضر ، وامامها سجادة الصلاة باتجاه القبلة . وترتدي ملابس بيضاء ، وعلى راسها غطاء ابيض (البركع) وتحف بها النساء . وهناك قدح فيه ياس وماء ، تضع العروس كعبها في الماء ، ويتخلل اصابع يديها ورجليها الهيل . **وتوجد في الغرفة صينية تحتوي على سبعة اشكال هي : هيل ، ونبات ، وزرقيون ، وچويت ، وكمون ، واضافر الجن ، وحبة سودة وصينية اخرى تحوي على اللبن والخضروات والخبز** . ويوجد صحن يوضع فيه الملبس لينثر على الرؤوس . وتمسك العروس بيديها القرآن الكريم لتقرأ سورة ياسين ، وان لم

تعرف القراءة فانها تنظر السورة المذكورة • وهناك شمعة مضاءة و (طاسة) فيها الحناء تعجن بالماء • وتحضر (الملّة) فتقرأ لها دعاء قلعة ياسين • وبعد ذلك يطلب حضور رجل الدين لاجراء مراسيم العقد الشرعي يحضر الرجل ويجلس امام باب الغرفة المغلقة،ويبدأ موجهاً خطابه الى النساء (حاضرون) فينقطع كلام النساء ، ويقول : بسم الله الرحمن الرحيم • ثم يقرأ آية من القرآن الكريم خاصة بالزواج ، ومن ثم يخاطب العروس بقوله :

زوجتك يافلانة بنت فلان على فلان بن فلان بمهر معجل قدره (كذا) دينار عملة عراقية ومؤجل قدره (كذا) دينار عملة عراقية ، فان قبلت بذلك فقولي نعم انت وكيلي .»

ثم يعيد العاقد الصيغة اللفظية اثنتي عشرة مرة او اربعة عشر مرة تيمناً بالمعصومين • وهنا تطلب العروس حضور ولي أمرها ، فتبدي استجابتها بقولها **(نعم انت وكيلي)** وهنا تتعالى زغردة النسوة • وكانت العروس تلبسّ القلادة الذهبية من قبل احدى قريبات العريس • اما في الوقت الحاضر فان العريس هو الذي يقوم بالباس القلادة للعروس ويطبع قبلة على وجهها وسط زغردة النسوة وفرحة الاهل والاصدقاء ويجلس معها فترة زمنية قصيرة في غرفة خاصة للتحدث معها •

وبعد ذلك تقدم ورقة زواج شرعية من قبل العاقد ، وبموجبها يثبت الزواج بصورة رسمية • ثم يجلب القاضي الى الدار لتسجيل العقد في السجل الرسمي للمحكمة ، أو ان يذهب الزوجان الى المحكمة الشرعية وتمنح له عدة نسخ من الوثيقة لتاشير ذلك في دفتر النفوس • وفي دفتر النفوس • وفي حالة عدم تسجيل ذلك لم يستطع رب البيت الحصول على دفاتر النفوس لأولاده في المستقبل •

العش الزوجي

بعد ان تستلم والدة العروس مبلغ الصداق ، يباشر اهل العريس بشراء الجهاز • وكان قديماً يشمل صندوقاً للملابس وسلة وكرسيا ومنضدة (ميز) توضع عليه المرآة والبلور ، كما يشمل ايضا (البردات) والطنافس (الزوالي) وفراشاً (دوشك) ولحافاً ووسادتين ، والصفر الذي يشمل الطشت) والصينية و لأبريق واللكن • اما اليوم فيتكون الجهاز من السرير (الجرباية) والدولاب (الكنتور) وطقم قنفات وتجهز غرفة للطعام والبوفية وميز التواليت وطاقم افرشة وسلع متفرقة •

ليلة الحنة

يقوم العريس بدعوة عدد من اصدقائه وذويه في داره استعدادا

للزواج ، وفي تلك الامسية تحني يداه ورجلاه ، وقد انعدمت اليوم هذه العادة ، فتقدم الحلويات والمرطبات ، وتعم الافراح حتى ساعة متأخرة من الليل ، وتعرف تلك السهرة بـ (الكيف) يتخللها نقر الدنابك والرقص الشعبي والاغاني المتنوعة ٠

اما رجال الدين فلا يقيمون الكيف ، بل يعدون لزميلهم المتزوج حفلاً يقدم فيه المرطبات والحلويات والشربت والشاي ويقدمون التبريكات له٠

اما النساء فيجتمعن في دار العروس ، وتحضر الملة وتنقر بالتنكه الفارغة وتغني مجموعة من الاغاني المشهورة ومنها ما تخص الرسول الاعظم٠ وبعض الأسر تجلب شخصاً ضريراً يعرف (ابراهيم درويش) ويلقب (علي الشمرجي) فيغني الاغاني الحالية وينقر بالدنبكك ٠ وتوزع الكليجه وخبز اللحم ولحم الدجاج والكباب والشاي والحب والفستق (الكرزات)، والمرطبات على الحاضرات ٠ وتطول هذه السهرة حتى ساعة متأخرة من الليل ٠

ليلة الزفاف

١ ـ زفاف العروس

قبل اكثر من نصف قرن جرت العادة ان تزف العروس الى بيت العريس مشياً على الاقدام ٠ اما اذا كانت الطريق طويلة بين بيت العروس وبيت العريس فيصطحب حينذاك كرسي تستريح عليه العروس في الازقة بين مظاهر الفرح والابتهاج ٠ غير ان الزفاف اليوم يتم بواسطة السيارات٠ ويكون موكب الزفاف مؤلفاً من نسوة تحمل احداهن المرآة أمام العروس ، واثنتان تحملان الشموع والاخريات يهزجن ويزغردن وينشدن : يافلان) **جبنالك مره ـ من غير حمره محمرة)** و **(يافلان جبنه اعروسك ـ موبيلاش بفلوسك)** و **(جبناهه واجت ويانه ـ من شيل الزلف تعبانه)** و **(جبنه اعروسك يسباح الگلب ـ صلك، وهلاهل على طول الدوب)** و **(شايف خير ومستاهله)** و **(ما ترضه تجي الا بسيارة)** ٠ وهكذا تنتهي المسيرة ببيت العريس ، وعند وصولها لدى الباب ، تتخطى العروس فترفس بقدمها الـ (آكن) المملوء بالماء عند مدخل الدار فتسكبه في صحن الدار وتعبره، ثم تضع يدها اليمنى في طبق الرز (التمن) غير المطبوخ ، حيث تحمله احدى قريبات العريس وتضيفه الى كيس الرز الموجود في الدار ، فيجلبن الى العائلة البركة ٠ ويذبح عند قدميها وهي ماشية في فناء الدار خروف فيطبخ مع الرز لليوم الثاني ويوزع على الفقراء ٠ وطبيعي ان قريبات العروس يجب ان يرتدين اجمل الملابس ويتعطرن بالعطور ويلبسن ما يحلو لهن من المجوهرات والحلي ، وكذلك قريبات العريس ٠

٢ ـ زفاف العريس

يكون العريس قد ذهب الى الحمام ليستحم مع اصدقائه وذويه على حسابه الخاص، وقد يستغل الحمام لفترة زمنية معينةحكراً لهولأصدقائه• وهناك يرتدي ملابس العرس الجديدة ويتعطر بالعطور ويخرج قاصداً زيارة ضريحي الامام الحسين واخيه العباس عليهما السلام ، وهم يصفقون ويهزجون ابتهاجاً بزواج الصديق المحتفى به • وبعد ذلك يتجهون نحو دار العريس حتى اذا ما وصلوا باب الدار نادوا : «**الف الصلاة والسلام عليك يا رسول الله محمد** » • يجلس الجميع لتناول طعام العشاء ، ويجلس العريس بينهم ، ويوصى أن لا ياكل كثيراً لانّ وراءه اكلة دسمة تحوي دجاجاً وخبزاً تسمى (التمتونة) تجلبها أم العروس مع ابنتها • ومن ثم يقصد الجميع المقهى لقضاء فترة زمنية يعودون بعدها الى الدار في زفة شعبية • وهنا تستقبلهم النسوة بالزغاريد ، وتنثر (تطش) أم العريس أو احدى قريباته الملبّس والنقود (خرده) قد يبلغ مجموعها ديناراً عراقياً اليوم على رأس العريس ، فتجمعها النساء والاطفال • يقف اصدقاؤه بالباب قليلاً ، فيزف من قبل والده أو اقرب شخص في العائلة متخطياً فناء الدار الى غرفة عروسه فيصافحها ويرفع(البركَع) من على وجهها ويطبع قبلة في وجهها ، ثم يأخذ الشمعة من يدها ويسلمها الى احدى قريباته وبعد انتهاء هذه المراسيم يخرج العريس ليصافح اصدقاءه وهم يغادرون المكان بعد أن يقدموا له اطيب التهاني بهذه المناسبة السارة ويستأذنهم بالعودة الى زوجته • يدخل الغرفة فيصلي قربة الى الله ركعتين • وعندما يبدأ باداء الفريضة تتعالى زغاريد النسوة ، ويهزجن : **يللان طفي الكلوب – خدها يشبع ويا الروب)** • وبعد أن ينهض من صلاته ينفرد بعروسه حتى الصباح • وتحضر العروس منديلا ابيض توضع فيه علامة دخول الزوج بزوجته (**دم البكارة**) ثم يعرض هذا المنديل على اقرب امرأة من العائلة اطمئناناً على عفة الزوجة وصونها لشرفها •

وفي صباح اليوم الثاني تتناول العائلة وجبة الافطار القادمة من دار العروس • ويبارك الناس والاصدقاء العروسين بهذا الزواج الميمون ، فتحصل العروس على هدايا كثيرة تدعى بـ (**الصبحة**) تشمل نقوداً وحلي ذهبية وسلعاً اخرى • وهنا تستعد عائلة العريس باعداد طعام الغداء للعريس وجماعته •وفي هذه الفترة يأتي قارعو الطبول فينقرون على الدنبك وينشدون الاغاني الشائعة ، وتقدم لهم الاكرامية • وعند حلول وقت العصر تأتي نساؤهم (العبيد) ويعرفن بـ (الوصايف) جمع وصيفه ، وهن اللاتي يغلب على وجوههن السواد ، حيث ينشدن الاغاني الشعبية ، وتبدأ

كبيرتهن (الشيخة) بالغناء والرقص وتتبعها (خلفتها) لتنقر بالدف ويلتحم الغناء ، وهن يشكلن نصف دائرة في فناء الدار وتفرش العباءة في الوسط ، لتنثر عليها الدراهم ، فتجمعها الشيخة وتقسمها عليهن •

ويخطر بالبال ونحن اطفال صغار كنا نشاهد ان الوصيفة (سَعَّيده) وهي من سكنة محلة باب الخان ، كانت عندما تحضر حفلة زواج ، وترقص تنقر على (الدنبگك) وهو موضوع على ظهرها ، حيث ان عظم الحوض عندها واسع جداً بحيث يسع لجلوس طفلين على الظهر وهي تهزهما هزاً •

ومن بين البستات التي كانت تهزجها (سعيده) بلهجتها الخاصة آنذاك قولها :

بيت آلالي(٥) اشتروا هوش(٦)
هيطوا(٧) واحد بالآخر
هي برانگو(٨) هما يون(٩)
لا اله الا الله
حي على خير العمل

ولدى وصولها المقطع الاخير تقبض يديها بفتحة مناسبة واحدة فوق الاخرى وتنفخ كالمزمار على ايقاع اللحن (لا اله الا الله) فتجيبها الفرقة (حي على خير العمل) •

وبعد ذلك تمضي ثلاثة ايام كلها افراح ومسرّات •

وفي اليوم الثالث يدعى العروسان وذووهما الى دار العروس لتناول طعام الغداء ، فيعرف ذلك بـ (الدس بوس) وهي كلمة فارسية تعريبها (تقبيل اليد) أي أن العروسين يقبّلان يد والد العروس ووالدتها ، حيث يقدمان لهما هدية وقد تكون ساعة أو خاتماً ذهبياً او نقوداً •

وفي عصر اليوم السابع يعقد حفل كبير تدعى اليه النساء من الجيران والاصدقاء والاقارب ، وفيه تحمل العروس وتجلس على دكة عالية او كرسي ، وهي ترتدي أزهى الملابس بين فترة وأخرى • ومن حولها تزغرد النسوة وتنشد اروع الاغاني الشعبية ، ويعرف ذلك اليوم بـ (السبعة) •

وبالنظر لتطور الزمن ، استحدثت مودة جديدة في عصرنا هذا تعرف بـ (شهر العسل) فقد لا تتيسر النفقات او هربا من التكاليف الباهضة لأعداد ولائم الرز واللحم يذهب العروسان ليقضيا فترة ايام الزواج وهي بضعة ايام قد تمتد الى شهر في الحلة والبصرة وبغداد أو في الشمال الحبيب أو خارج العراق ، وتعرف هذه الايام المبهجة التي يقضيها العروسان بشهر العسل •

عندما يشعر الانسان بدنو اجله ، فهناك نسبة ضئيلة من الافرادمن يقوم بإستملاك مقبرة له وللعائلة مستقلاً تكون خاصة بهم • ومنهم مـــن يوصي بدفع الحقوق والطلبات ، ويطلب من الحاضرين براءة الذمة

وعندما يحتضر الشخص (رجلاً كان او امرأة) يدار جسمه باتجاه القبلة(١٠)، ويقطر شيء من الماء في فمه وتعدل رجلاه ، ويحضر اقربـــاؤه وجيرانه ، حيث يقوم احد الجالسين بتلاوة دعاء (العديلة) (١١) ، بعد ذلك تغلق عيناه ، ويتعالى صياح افراد العائلة ، فان كانت الوفاة ليلاً ، يتلـو المقرىء قراءة القرآن الكريم والسهر حول الجثة لكي لا يتلبسها الشيطان ويجتمع القريب والجار قرب دار الميت ، ويجلسون على الطنافســ — ان وجدت — أو على البُسُط أو الحصران ، ويتولى افراد ممن يتعلق بالميت بمهمات ، منها ارسال احدهم لجلب (لتابوت) اي الجنازة استئجاراً مـن المغتسل ، ليحمل بها الميت،ومنهم من يرسل الى مديرية الاوقاف (الدفنية) حاملاً معه عثمانية الميت او جنسيته لتدوين اسمه وهويته ومحل سـكناه لدى الموظف المختص وجلب (تسكرة) تعنون الى حفار القبـور ، يجيـز بدفنه في المقبرة ، علماً بأن موظفاً مختصاً يبقى في خفارة الدائرة •ومنهـم من يُرسل الى المؤذن لأعلان الخبر المشؤوم على مسامع الناس من على مآذن الروضة الحسينية • وقديماً لم تكن تستعمل مكبرات الصوت بســبب عدم وجود التيار الكهربائي ، فيضطر المؤذن أن يصعد سلالم المئذنة ويعلن بأعلى صوته • وعند جلب مكبرات الصوت قبل عشرين عاماً ونيـف كان التشييع خاصاً بالسادة والعلماء • ولكن في السنوات الاخـيرة اصـبح التشييع مشاعا لكل الذوات من ابناء الاسر المعروفة في المدينة ووجـوه واعيان المدن الاخرى التي تقصد كربلاء لغسل الميت بماء الفرات وزيارتـه أضرحة الائمة الاطهار • يخبر المؤذن داعياً الناس الحضور الى دار الفقيد أو في احد المغتسلات • وان كان الفقيد عالماً جهبذا تكون صيغة التشييع على الوجه التالي :

«اخواني المؤمنين : انقلوا اقدامكم الى مغتسل (المخيم) او (العلقمي) لتشييع جثمان المرحوم المغفور له حجة الاسلام والمسلمين آية الله في العالمين المرجع الديني السيد فلان بن فلان الحكم لله الواحد القهار • لا إله الا الله (ثلاث مرات) •»

اما اذا كان الفقيد من الذوات والسادة فتشييعه يختلف عن سابقه، ويكون على النحو الآتي :

اخواني المؤمنين : انقلوا اقدامكم الى مغتسل المخيم لتشييع جثمان المرحوم المغفور له السيد فلان بن فلان من آل فلان ، الحكم لله الواحد القهار (مرتان) .

وحال سماع الناس هذا النبأ المحزن ، يهرعون الى احد المغتسلات ، لمشاركة ذوي الفقيد في السير مشيا على الاقدام من المغتسل حتى زيارته في الروضتين ، ومن ثم دفنه في احد اواوين الروضة او في المقبرة الكبيرة (الوادي) أو في اي مكان يقرر دفنه كالنجف مثلاً . وجلما يتفق على مكان الدفن خارج الصحن لا يكلف للخروج مع الجثمان الا أرحامه . وطبيعي ان المشارك لهذه المسيرة الطويلة يحصل على الاجر والثواب .

المغتسل

كيف يتم غسل الميت ؟

كان الاهالي قديماً يغسلون موتاهم في صحن دورهم ، وكان ولي أمر الميت هو الذي يتولى عملية الغسل ، وكانت توجد في زاوية الدار (دكة) بقدر طول الانسان ترتفع عن ارضية الدار بمقدار نصف متر ، وتطل الدكة بالقير ، والى جانبها حوض ماء يطلى داخله بالقير أيضا يستعمل لغسل الموتى من افراد العائلة ، ويسحب اليه الماء من البئر التي لاتخلو منها الدور القديمة . اما اليوم فان ولي امر الميت يوكل المغسّل ليتولى غسل الميت في المغتسل . ويشترط حضور الاب أو العم او الخال أو أحد اقربائه لتجهيزه ودفنه . بعد ان تخلع ملابس الميت يغتسل بالماء البارد والصابون ، ومن المعتقدات بالاشياء ان الميت يغسل عندنا بماء الفرات أو يغسل بماء من بئر زمزم يجلبه الحجاج من مكة ، ثم تحجر رجلاه وتنظف اظافره بـ (السلاية) ، وبعد ذلك يُدخل القطن في دبُره . بعد اجراء نيّة الغُسُل ، يغسل الميت مبتدأ برأسه ورقبته وكتفه الايمن والايسر وتضاف اليه المواد العطرية كالسدر والكافور ، يعاد الغسل ثانية وتجري نيّة (ماء القراح) الذي يعوّض عن غُسل الجنابة لكل جسمه، وهذا يعتبر غسلا ترتيبيا . ويؤتي بزوج من جريد النخل ويربطان تحت ابطيه من الزند حتى المرفق ، ثم يوضع على صدره كمية من الكافور بمقدار (٧ر٥) مثقال ، ويؤخذ من هذا المقدار شيء يرش على جبينه وراحتي يديه ومرافق رجليه ومحل مسح رجليه . ثم يكفن بقماش أبيض يعرف بالكفن طوله ١٢ متراً يتم تفصيله وقصّه في المغتسل،ثم يخيّط ويلف بالبُردة ، وهذا الغُسُل يكلفديناراً واحدا أو اقل يعتبر (اكرامية)(١٢). ويغطى التابوت بقماش (بردة) ثم يحمل ويشيع الى مثواه الاخير . ومن المعلوم انّ المنظر مؤلم جداً ومن الناس من يتألم وينصح بالرفق ، لان فراق الميت صعب ، ويسود الاعتقاد ان الميت يشعر بذلك .

اما بالنسبة للمرأة فان المغتسل يكون كالرجل لا يختلف في شيء • تحضر النساء في المغتسل الخاص بالمرأة ويكون عادة مجاوراً لمغتسل الرجال ، وفي اثناء الغسل تتلو واحدة منهن سورة تبارك بأعلى صوتها ، وتجتمع حولها عشرة نساء يتلون معها السورة نفسها ثم تكرر اربعة مرات ، فيصبح عدد القراءة اربعين مرة تبارك • وطبيعي ان هذه القراءة وعملية الغسل تستغرق ساعة واحدة ، وبعد البكاء والعويل تشيع الى مثواها الاخير •.

وما دمنا في معرض الحديث عن الميت لابد لنا ان نعرف ما العلة اذا مسّ انسان ميتاً ، فالجواب على ذلك ان الميت في الغالب تفارقه الروح وهو في محتشد من اهله واحبته فلو تركوا وشأنهم لاحتفوا به هذا يقبّل يديه وهذه تقبّل نحره وخديه وذاك يضع وجهه على وجهه وعينيه والاخر يكثر من لمس جبهته وطرفه في حين أن الميت لا ينفك

في الاكثر من الوث الاسقام وجراثيم العاهات والمواد السامة التي تفرزها جثته ولو رشحاً فامر الشرع الاغتسال لمن يتلمسه بعد برده لابد ان يقف عثرة في سبيل مس الاموات فيرتدع من تصور هذا التكليف اكثر الناس فلا يلمسون الموتى الا عند الضرورة وبذلك يأمنون من لوث الامراض ويصانون من عدوى العاهات[١٣]•.

ولابد لنا ان نذكر بعض المراسيم التي تتبع التجهيز الميت من المغتسل وتشييعه ،فان كان الميت شاباً او شابة توضح اوراق الياس والورد على الجنازة ، كما تعلّق او ترفع صورة الشاب غير المتزوج، خاصة ان كان جندياً قتل في سبيل الدفاع عن الوطن •. ويحمل قسم من اصدقاء الميت (صينية) فيها الشموع • اما اذا كان عالماً جليلاً فانه يحمل في تابوت يُدخل في صندوق يعرف عندنا بـ (تخته روان)[١٥]،ويغلف بقماش أسود وتوضع في أعلاه عمامة العالم • وتحمل الاعلام السود أمام الجثمان • وكذلك الحال ترفع الاعلام ان كان الميت سيداً جليلاً او عميداً لأسرة معروفة • ولدى وصول الجثمان الروضة الحسينية او العباسية يقوم احد السادة بتلاوة الزيارة ، وبعدها يطوف بالجثمان ثلاث مرات حول الضريح المقدس ، وعند الخروج يصلي احد العلماء او السادة صلاة

الميت ويأتم به بعض الحاضرين،وتوضع الجنازة على الارض امام المصلين. وهذه الصلاة فريضة واجبة للميت إما أن تكون في الحضرة الحسينية او العباسية ، وبعدها يودّع ذوو الميت المشيعين ويشكرونهم على المشاركة في التشييع ، ثم يقرر موضع الدفن اما ملابس الميت فانها تعطى الى الفقراء والمعوزين أو تباع في السوق أو تعطى الى المغسّل .

اما زيارة القبور فهي من الأمور المستحبة ، وفي كثير من الاحيان يتفقد الناس موتاهم ، فيزار الميت في كل ليلة احيانا وفي ليالي الجمع احياناً اخرى . وبعض النسوة يقصدن الموتى في ليلة السابع من الوفاة ويوم الأربعين والسنة . وفي خلال تلك الزيارات يتصدق الناس على الفقراء ويطعمونهم ويسّبلون الماء ، وينوبون الموتى ويتلون الفاتحة على ارواحهم . ومن قول للأمام علي(ع) للصحابي ابي ذر الغفاري : زر القبور تذكر بها الآخرة ولا تزرها بالليل ... الخ . وقال النبي (ص) : من زار قبر أبويه أو احدهما في كل جمعة غفر له وكتب براً . وقال النبي أيضاً : ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم ...الخ(١٦)

القبر(١٧)

يقوم الحفار بأنزال الميت في القبر . وبعدها يوارى جسده بالتراب في لحده ويرمم اللحد بالطابوق والجص والماء . وينتهي من عمله . وكانت اسرة آل سعيّد تتولى مهنة حفر القبور ، كما ان المرحوم الحاج عبدالله بن محمد تقي الحفار كان يتولى شؤون الدفن في الروضتين ويتقاضى اجراً قدره (٣٠ روبية) أي ما يعادل اليوم (٢٥٠ر٢) ديناراً لقاء كل ميت يدفن في الصحن الشريف . ثم يجلس المشيّع على القبر يحيط به أفراد عائلة الميت وهم يبكون ، فيتلو دعاء التلقين والشهادة ، ثم يقرأ الجميع سورة الفاتحة ، ويرش الماء على القبر ، ويعزى ذلك الى تسهيل الحساب مع الملائكة كما هو المعتقد . وبعد ذلك تنصرف عائلة الميت الى الدار لتهيئة مجلس الفاتحة .

فاتحة الرجال : كانت الفواتح قديماً تقام في الدور بالنسبة للمتنفذين والموسرين ولم تزل كذلك . وبعض الناس يقيم المجلس في المساجد والمقابر الكبيرة والمدارس الدينية كمسجد السيد كاظم الرشتي ومقبرة ركن الدولة في صحن الحسين ومسجد المرزا علي نقي الطباطبائي ومدرسة حسن خان ومدرسة البقعه وغيرها . اما المواد التي يتطلبها مجلس الفاتحة هي : صندوق فيه اجزاء من سور القرآن الكريم (ختمة قرآن واحد) يوزع كل جزو على من يرغب القراءة ، وتوزع القهوة المرة

والسكاير والماء على الحاضرين • وهناك عدد من قراء القرآن يتناوبون في القراءة لثلاثة ايام متوالية • وفي خلال الساعات الثلاث التي تبدأ صباحاً من الساعة الثانية حتى الساعة الخامسة عربية يحضر الخطيب فيتلــو التعزية يذكر فيها مصيبة الحسين • ان قراءة القرآن وتوزيــع القهــوة والسكاير تعني مجلس فاتحة • أما قراءة القرآن دون توزيــع أي شــيء فيعني مجلس ترحيم•وكانت المجالس تلك تعقد كالآتي : صباحاً — ترحيم وفاتحة • عصراً • فاتحة وترحيم • قبل الغروب بربع ساعة — ترحيم • بعد صلاة المغرب والعشاء — اجتماع على قبر الميت لقراءة سورة الفاتحة ، حيث يجلس ذوو الميت فيأتي الناس يعزونهم • ويدوم الاجتماع ٤٠ ليلة يقرأ فيها المقرىء القرآن • ثم ينتقل ذوو الميت الى مجلس الفاتحة حيث يكون امتداداً للترحيم الذي سبق المغرب • اما اليوم فقد تغيرت هــــذه العادة بسبب اختصار الوقت ورعاية الموظفين الذيـــن لا يستطيعون المجيء خلال الدوام الرسمي ، فاصبح مجلس الفاتحة يعقد عصراً وليلاً لثلاثة ايام ويستغرق ٤ ساعات فقط • وقد ينشــر النعي في الصحــــف المحلية ، وبعد انتهاء مجلس الفاتحة يقدم شكر في الصحــــف ايضــاً • يقف اهل الميت في بداية المجلس لاستقبال المعزين وتوديعهم شاكريـــن

اياهم مشاركتهم الحزن وتجشمهم عناء السفر • وهناك بعض العوائل لا تستطيع اقامة مجلس الفاتحة بسبب عوزها المالي ، فانها تكتفي باقامــة ترحيم في الصحن المقدس • وفي اليوم الثالث يكون الختم حيث يرش ماء الورد على كل حاضر لقراءة الفاتحة • وفي مساء هذا اليوم يهيىء العشاء وفي الليلة السابعة من الوفاة تجتمع النساء على قبر الميت تأتي «تهـــن (الملّة يبكين ويلطمن على الصدور ، ثم توزع الفواكه والحلوى في هـــذا الاجتماع الذي يستغرق ساعتين أو اكثر • وبعض العوائل يدعــــين شخصاً يقرأ لهن التعزية ويعرف عندنا بـ (**الروضة خون**) وتتضمن مصيبة الزهراء والطفل الرضيع وتختم بمقتل الحسين •

أما في اربعين الميت فيقام مجلس للعشاء ، يدعى فيه ذوو القربـــى واهل المحلة والعلماء ، كما ويقام مجلس تابيني في الصحن أو المســـجد ان كان الميت عالمـاً جليلاً أو شاعراً فذاً أو زعيماً محنكاً وذلك تثمينــاً لعلمه وأدبه وخدماته • وكذلك الحال في سنة الميت حيث يقام مجلس للعشاء ايضاً •

فاتحة النساء : تقام عادة في دار الميت ٠ ان كان الميت رجلاً أو امرأة فان النساء يعقدن مجلس الفاتحة منذ صباح اليوم الاول من الوفاة وعصره لمدة سبعة ايام تحضر فيها (الملّة) ، وتتقاطر على الدار نساء من قريبات أو ممن لهن صلة بالراحل ، فيرتدين (الفوطة) السوداء على رؤوسهن وثوب الهاشمي الاسود حزنا على الميت ٠ وكلما كانت القرابة اقرب كان الحزن أشد وقعاً في النفس ٠ علماً بأن هناك ماينافي لبس السواد على الميت ، فقد استدل بالاخبار على حرمة لبس السواد عن عدة من الأصحاب وعنهم عن احمد بن ابي عبدالله عن بعض اصحابه قال كان رسول الله يكره السواد الا في ثلاثة الخف والعمامة والكساء محمولان على الحرمة لعدم قرينة تدل على الكراهة التي في قبال الحرمة ، محمد بن علي بن الحسين قال : قال امير المؤمنين فيما علم اصحابه لا تلبسوا السواد فانه لباس فرعون ٠٠٠ الخ(١٨)٠ تبدأ (الملّة) تنعى الفقيد الراحل وتبكي معها النسوة فيلطمن على صدورهن وهن واقفات في ساحة الدار ٠ وبعد ان تنتهي (الملّة) من النواح والقراءة ، توزع القهوة والسيكاير على الحاضرات ٠ ثم تمضي كل واحدة منهن الى منزلها ٠ وفي اليوم الثالث تدعى الملة ومن يلوذ بها الى طعام الغداء ٠ وفي الليلة السابعة تمضي النسوة الى القبر كما اسلفنا ٠ وبعد اليوم السابع يخصص يوم واحد من ايام الاسبوع عدا يوم السبت باعتباره اليوم المشؤوم ، يعرف بالعادة ، حيث تأتي (الملّة) والمعزيات الى دار الميت فيندبن وينحن ،

وتستمر العادة حتى يوم الاربعين ٠ وفي اليوم الاربعين يتم اطعام النساء وتحضر (الملّة) والمعزيات عصر ذلك اليوم حيث يقام مجلس الفاتحة الذي يستمر ثلاثة ايام ٠ وبعد الانتهاء من هذه المراسيم ترسل صاحبة الدار (صينية) فيها عباءة وثوب هاشمي وسيكاير ومقدار من النقود قد يكون عشرة دنانير او اكثر حسب استطاعة عائلة الميت ، ويوضع المبلغ في ظرف خاص داخل الصينية ٠ وفي خلال هذه الفترة تكون (المواجهة) وهي ان جماعة من النساء يصحبن (الملة) فيقصدن دار الميت عوضا عن عدم حضورهن في ايام الفاتحة باعتبار ان العائلة القاصدة هي حزينة ايضاً ٠ فتقصد في مساء احد الايام بعد العشاء لتواجه عائلة الميت الجديد٠ وهناك جماعة اخرى أعني عائلة حزينة لا تستطيع الحضور بسبب ان فاجعتها حديثة العهد فهي ترسل (الملّة) وحدها باسم العائلة لتنعى في المجلس٠ وهكذا تبقى العائلة حزينة لا تستطيع الحضور في كل مناسبة أي مجلس من المجالس حتى مضي عام واحد ، ومن ثم تخلع ملابسها السود ، وينهي الحداد بحضور عميد الاسرة أو احد الاقارب البارزين ، حيث يغير الملابس السود ٠ وتكون مدة الحزن بدرجة القرابة ، وقد تحرم بعض الاطعمة كالكرزات والعلك ، وعدم التزيين طيلة فترة الحداد ٠ ولابد لنا ان نشير

الى انّ عائلة الميت تقوم بأعادة واسترجاع الزيارة الى اللواتي جئن الى الفاتحة ابتداء من السنة الثانية .

أما علامات الحداد بالنسبة للرجال فيتم بلبس السواد وخاصة الاربطة السوداء وتحريم قصّ شعر الرأس لمدة اربعين يوماً ، وحلق اللحية في اليوم الرابع بالنسبة للموظف والابتعاد عن وسائل اللهو والراديو والتلفزيون والسينما مدة اربعين يوماً . وهنالك واجبات تفرض على عائلة الميت منها توزيع الحلوى واطعام الفقراء واجراء السبيل ، ويعتقد ان ذلك يؤثر على راحة الميت لتخفيف بعض العقاب .

هوامش

---

(١) المهد : الموضع يهيأ ويوطأ للصبي . الارض المنخفضة جمع مهود [انظر : المنجد ط١٩٥٦ لويس معلوف اليسوعي ج١ ص٨٣٨] ويعرف عند العامة (اللّو) وهي لفظة مشتقة من التلولي . وهو نوعان : الكاروك الخشبي وهو المصنوع من الخشب . وكاروك قماش فهو مكون من كيس حبوب فارغة (گولية) يربط من اطرافها الاربعة بقطع خشبية ويربط بها من جانبين متقابلين حبلان بشكل مثلث قاعدته الى الاسفل وراسه الى الاعلى يعلق كل منهما بمسمار . وقد تطور المهد اليوم من الخشب والقماش الى سرير حديدي .

(٢) زعتر الهوه : نبات يغلى وهو يستعمل لعلاج المعدة من الغازات والتضخم .

(٣) تربة الشفاء : وهي تربة الحسين ، تلك التربة الزكية الطيبة المقدسة التي نطقت بفضلها الاحاديث الكثيرة (انظر : تاريخ كربلاء ـ للدكتور عبدالجواد الكليدار آل طعمة ص١٢٧ ط٢) ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م .

(٤) الزعرتي : يطلق على الشخص الذي يختص بختان الاطفال وعدته حقيبة تحوي على موسى ومشط ومقص وقطن ومرهم حيث يستدعى للبيوت لاجراء عملية الختان . انظر : مجلة التراث الشعبي ـ الجزء الثاني ـ السنة الثالثة ايلول ١٩٦٦ .

(٥) آغاتي : الغالي . اي سيدي .

(٦) هوش : حوش اي دار .

(٧) هيطوا : من الحائط اي دمجوا .

(٨) واهد بالاخر : النار الواحدة بالاخرى .

(٩) يا مرانگو : يا الله .

(١٠) همايون : السعيد ، العظيم .

(١١) القبلة : بالكسر ثم السكون كل شيء جعلته تلقاء وجهك فقد استقبلته وسميت القبلة لان المصلي يقابلها وتقابله . [دائرة المعارف المسماة بمقتبس الاثر ومجدد ما دثر للشيخ محمد حسين الشيخ سليمان الأعلمي الحائري] ج٢٤ ص٢ (١٩٧١م ـ ١٣٩١هـ) قم ـ ايران .

(١٢) العديلة : دعاء مشهور يلقن به الانسان قبيل احتضاره .

(١٣) افادني بهذه المعلومات المغسّل علي بن جواد .

(١٤) مجلة (المرشد) البغدادية ج٨ ص ٣٣٤ (١٩٢٨) .

(١٥) تخته روان : صندوق كبير الحجم يوضع في داخله تابوت لشخصية علمية يحمله اكثر من اربعة اشخاص .

(١٦) معجم القبور - للسيد محمد مهـدي الموسوي ج١ ص٤٣ (بغداد ١٩٣٩) .

(١٧) القبر : بالفتح ثم السكون يدفن فيه الميت ويتواراه في الارض على وجه يحرس جثته على السباع ويكتم رائحته عن الانتشار ويستحب عمقه نحو قامة معتدل واقل الفضل الى الترقوة [دائرة المعارف] مجلد ٣٠٦/٢٣ (قم ١٩٧١/١٣٩١) .

(١٨) ارشاد العبـاد الى حرمة لبس السواد - للشيخ محمد رضا الحائري ص ١٢ و ١٣ (١٣٩٠) .

دورة الحياة في تلعفر

علي التلعفري

الولادة

ان الاهتمام بالاكثار من النسل في المجتمعات العشائرية قد يكـــون مبعثه الرغبة في تكثير الايادي العاملة ذات الاثر الفعال في تمشيـة امـــور الزراعة ، او يكون طلباً لزيادة عدد اعضاء العشيرة ـ اية عشيرة ـ وخاصة من الذكور لانهم اقدر على حمايتها من تطاولات الآخرين وكيد الحاقديـــن ولأن على عاتقهم تقع مسؤولية تثبيت مركزها في المجتمع العشائري عـن طريق المحافظة على سمعتها والذب عن حياضها والذود عن حماها ·

والمجتمع التلعفري باعتباره ذا سمات : عشائرية ، زراعية ·· فانه يعج ـ والحالة هذه ـ بمراسيم كتلك التي تتعلق بالاعتناء بصحة المولـود وكيفية تحضير القماط ·· وما الى ذلك من الضرورة بمكان · بينما قـــد يكون غيرها كالمحافظة على الطفل منطوارق الليل ومن عيون الحساد··الخ· من نسيج التفكير الشعبي المجلبب بالاوهام والخرافات والاساطير · ومـع هذا فان الايمان بها قد يفوق حد الوصف طالما ان هناك ارباب عوائـل قد ضربوا على اسرهم وخاصة الاناث منها طوق الجهل المقيت نتيجة جعلهـــن حبيسات جدران المطابخ والبيوت فحسب ·

والمراسيم التي ترافق عملية الولادة بدءاً وانتهاءاً كثيرة ومتنوعة ومع هذا فان تنسيق ملامحها الاساسية على النحو التالي قد يزيد البحث رونقاً ووضوحاً :ـ

بانتظار المولود الجديد : ـ

يختلف نوع الانتظار تبعاً لاختلاف المولود المنتظر • فان كان المولود بكراً فان مراسيم الانتظار تكون ذات اهمية بعض الشيء • واما ان كان المولود قد سبقه من هو قبله فان هذه المراسيم تكون معتادة على الاكثر • ومهما يكن الحال فان الايام التي تسبق الولادة تشهد حركة غير اعتيادية وخاصة في حياة الام التي لابد وان تنهمك في اعداد ما يتعلق لطفلتها القادم من ملابس واثواب تتلاءم مع حالة ذوية الاقتصادية عسراً ورخاءاً •

ان الملابس الضرورية التي تحضر بهذه المناسبة تتكـــون عادة مـــن دشداشتين وجاكيتين وقبعتين أي فيسين • ولا باس من ان تكون الـــوان هذه الملابس متنوعة ومختلفة • ولكن الشيء المحذور عادة هو الالتجاء الى اللونين الاسود والازرق لما فيهما من دلالة على الحزن والشؤم • كما تحضر فوق هذا قطع من اقمشة بيضاء تستعمل كقماط يلف به الطفل بعـــد تمـام غسله وتنظيفه من الادران العالقة به • واخيراً لابد من تهيئة مهـد خشبي على الاكثر ومن صنع محلي في الغالب ليكون بمثابة مستقر للمولود الجديد بعد اكتسابه القوة والمنعة بعض الشيء • ومن المعروف ان الملابس التي تحضر للمولود الجديد ـ اي مولود ـ قد لا تختلف عن شاكلتها التي تهيـأ للاطفال الآخرين ما عدا الفيس الذي يكون فوق مهماته الاساسية مستودع العديد من الالغاز والمعتقدات الشعبية لهذا لا مندوحة من التعرض له والتعرف به بمقال قادم مستقل ان سنحت لنا الفرصة •

حينما تدنو ساعة الولادة تحضر القابلة المختصة لتقوم بدورهـــا المعروف في تسهيل عملية الولادة • وهي تعتمد في عملها على الخبرة والمران التقليدي • اذ لا تعرف تلعفر القابلات الفنية المجازات من قبل المؤسسات الصحية الا مؤخراً وبعدد قد لا يتجاوز الواحد كما نعلم • ومع هذا قل من يراجعها من النساء أو تراجع تلك المؤسسات بدافع الخوف والخجل ، ولأن قابلة كل عائلة تكون عادة من قريباتها اللاتي بلغن من الكبر عتياً لهـــذا يصبحن ادرى بما جريات الولادة بسبب مرورهن في مثل هذا الدور على الاغلب في ماضيات ايامهن ، او لأن ارتكابهن بعض الاخطاء بحق الامهات لا يسبب لهن اي احراج لانهن من العشيرة • وعلى كل حال تبقى القابلـــة المختصة مستمرة في مراجعة الام للاعتناء بها لحين اغتسالها ، لهذا ولقـاء الجهد الذي تقدمه خصص المجتمع التلعفري لها بعض الهدايا ـ وهي رمزية على الاكثر ـ • من هذه الهدايا : شراء قماش دشداشة لها ، اهدائهـــا عصابة رأس نسائية ، تقديم نصف دينار او دينار واحد وربما اكثـر او اقل اليها ، تخصيص فطرة عيد الفطر (رمضان) لها وخاصة تلـــك التي تدفع عن الطفل او الاطفال الذين اجهدت نفسها معهم حين الولادة والذين يجب عليهم الاعتزاز بها والنظر اليها باحترام وتقدير.

ومن المعروف بان الولادة لا تتم بصورة نهائية الا بعد قطع اي قص الحبل السري . هذا الحبل الذي يعتقد البعض بان لــه اثراً فعـــالاً في مستقبل المولود وفي تحديد نوع العمل الذي ينتظره . لهذا يعمد ذووه الى قص وصلة صغيرة منه وتكون بطول اصبع واحد تقريباً ثم يلجأون الى دفنها مع القلم او اخفائها في داخل دفتر او كتاب او رميها في اية مدرسة .. رغبة في ان يصبح المولود موظفاً او صاحب مهنة تعتمد على العمـــل الكتابي . او تدفن مع اية اداة من ادوات البناء او النجارة أو الحدادة أو الفلاحة .. اذا ما اريد ان يصبح المولود بناءً او نجـاراً او حـــداداً او فلاحاً .. وهكذا .

في اعقاب الولادة :

بعد ان تتم العملية على خير ما يرام يبدأ غسل المولود بالماء الدافيء والصـابون (مـن نوع رقي عـادة) وقديمـاً كـان (**الكيـل**) – أي (طين خاوة) هو المستعمل لهذا الغرض . ثم يوضع مسحوق البودرة على كل انحاء جسمه بشكل متقن . وفي الماضي كان يوضع عليه تراب من نوع خاص اصفر اللون مسحوق بشكل ناعم ، ثم يلف الطفل بالقمـــاط المخصص له بعد تغطية وجهه بصورة متقنة املاً في ان يتعود على تحمـــل الغطاء طوال عمره . كما يتم تكحيل عينيه لتكونا قويتين تبصران النـور بدون غشاوة . وليس من المستبعد ان تضع بعض الاسر قطعاً صغيرة من قشـــور الرمـــان وخاصـــة منطقـــة القمـــح (الكمـــح) وقطعـــة حديد وكمية قليلة من الشعير والملح .. في الماء الدافيء المخصص لغســل الطفل مستهدفة من هذا : حفظ المولود من المكاره وطوارق الليـــل وما اشبه ولتدبيغ جلده لانه يكون هشاً طرياً في مثل هذا الوقت ولكي يميل الى اعمال الزراعة التي لابد وان تعتمد على الحبوب ومنها الشعير بالذات وعلى المحاريث الخشبية ذوات السكة الحديدية . بعد هذا يثبت على رأس الطفل قطعة ذهبية او ابرة ... رغبة في ابعاد الجن عنه لانه يعجز عـــن مقاومة كل ما هو معدني كما يوضع تحت رأس الطفل مقص صـــغير او سكينة لنفس السبب . واخيراً وبعد كل هذا يتم وضع الطفل فوق مكان مرتفع نسبياً – كظهر غربال مثلاً – وعلى مقربة من الأم ليكون بمنجاة من الهوام والدبيب وماشاكلهما .

تفضيل الذكور : –

لاشك بان استقبال المولود الذكر بالهلاهل والزغاريـد وخاصـــة بالنسبة للعوائل المحرومة من اولاد ذكور ، يعتبر شيئاً مألوفاً سيما وان في هذا بعض الدلالة على حسن خلاص الام من آلام المخاض وصعوبة الوضع . ومن المألوف ايضاً عدم اخبار الام بنوع المولود الجديد . اذ لو جاء ذكراً فان انشراح الام اكثر من اللزوم – ومثل هذا الامر لابد وان يحصـــل –

يؤذي صحتها . اما لو كان المولود بنتاً فان اعلامها بذلك قد يزيدها غصة على غصة طالما انها لا تجهل الوضع الاجتماعي الذي يلفها والذي يعطي للمواليد الذكور المقام الاول في المجتمع لهذا ليس بدعة ان تقطب جبين الاب كذلك وهو يشاهد خليفته المنتظر ليس ذكرا . وقد لا نعدو الصواب اذا اوضحنا بان الاهتمام بالوليد الذكر ينال قسطاً كبيراً في حياة السكان الى درجة ان بعض رؤساء العشائر كانوا لا يتوانون عن تقبيل جبين أية امرأة من عشائرهم تلد مولوداً ذكراً . وما دمنا بصدد تفضيل الذكور على الاناث او التفريق بينهما على الاقل ، فيجب القول بان من العوامل الاخرى في هذا الميدان .. هو : الاعتقاد بان البنت من حظ بعلها في المستقبل بمعنى انها وبفعل استقرارها في بيته هو في النهاية ، لا تستطيع ان تلعب دوراً ما في الحفاظ على كيان بيت أبيها في حالة وفاته بدون ان يخلف وراءه وريثا ذكراً . وربما هذا ما يدفع الجمهور الى ان يكنوا الآباء باسماء الذكور فحسب . واذا ما جاء المولود البكر بنتاً فانهم يكنون الاب بها بصورة مؤقتة والى حين ارتزاقه باولاد ذكور فيكنونه باسم اول ذرية ذكر . الامر الذي يجعل الرغبة في المواليد الذكور ملحة الى حد ان الام التي تنجب اكثر من بنت بدون ان يتخللهن شقيق ذكر ، فانها تضطر — والحالة هذه — الى تسمية أية مولودة تبغي الام بان يكون ما بعدها ذكراً باسم (يازي) الدال على الكفاية او الاكتفاء بانجاب الاناث من المواليد. واعتقاداً بان مثل هذا الاسم — وهو ذو مغزى خاص — سيحيل المواليد القادمة الى ذكور . ولنفس الغرض تسمي بعض العوائل بناتها وخاصة بعد ازدياد عددهن باسماء تركمانية مثل (بيژ) او (دورسون) أي يكفي اويازي . وقد تضيف عوائل أخرى الاسماء التركمانية الاخيرة الى أسماء عربية مثل (خديجة بيژ) ... وهلم جرا . وليس من المستبعد اضافة كلمة (بيژ) او (درسون) إلى اي اسم لعين الهدف . ومهما يكن الحال فان ايصال الخبر الى والد الطفل امر مفروغ منه مما يجعل مثل هذا الوالد بحكم المضطر الى تقديم هدية تتناسب المقام الى من زف اليه بمثل هذه البشارة التي قد تتضاعف في حالة المولود الذكر . وعادة تكون الهدية قطعة قماش او مبلغ من النقود ..

الاهتمام بام المولود : —

ان المرأة التي تنجو من عملية الولادة لابد وان تفقد جزءاً كبيراً من حيويتها وصحتها لهذا يعمد ذووها الى تقديم الاكلات الدمنية اليها عادة عسى ان تعينها على اعادة صحتها وبناء جسمها المنهار . ومن الاطعمة المعتادة بمثل هذه المناسبة هي الحنينية (وهي عبارة عن بيض مطروق في تمر مقلي بالدهن) او معلاق مشوي او فتيتة . ومن المألوف ان تقدم هذه الماكولات اليها من بيت زوجها او بيت ابيها وعادة يكون هؤلاء البادين

باطعامها في يومها الاول . ومن المعتاد ان يقدم في اليوم الثالث من ايام الولادة ذوو الام عددا من أرغفة الخبز او أي شيء آخر الى الفقراء بغية دفع القضاء والبلاء عنها وعن وليدها الجديد . وفي اليوم الخامس أو السابع من بدء الولادة تقوم الام بالاغتسال لكي تعود الى حياتها الاعتيادية ولو على مهل . وقد تشدها قريباتها من راسها الى اخمص قدميها وبشكل محكم املاً في ان تعاد اليها صحتها في القريب العاجل . والشيء الملاحظ هو ان يكون يوم الاغتسال فردياً وليس زوجياً سواء اكان في اليوم الخامس أو السابع او غيرهما والسبب في ذلك دفعاً للشر الذي قد يذر قرنه في مثل هذه الاحوال من ان يصيب الأم ووليدها معاً أي لكي تقتصر آثار الضرر على عدد فردي من العائلة . وبهذا المآل يقول المثل التركماني (**شر گاليرسه تك گالسن**) أي اذا كان لا مفر من الشر فليقتصر ضرره على فرد واحد فقط . وبهذا ينحصر في اقل عدد ممكن وعلى الاكثر في فرد واحد من العائلة . ومن المسائل الاساسية التي تعقب فترة الاغتسال ان يتولى ذوو الطفل نحر ذبيحة خاصة عساها تكون قرباناً عن الام وطفلها ولكي يتآلف الدم المسفوك من القربان مع الدم المسفوك من المرأة حين الولادة وبهذا ينتقل الشر عنها الى دم القربان الذي يكون قد فارق الحياة . وبطبيعة الحال يتم توزيع اللحم الى الفقراء والمعوزين . ومن هذه المسائل ايضاً ان يعمد ذوو الطفل بعد الاغتسال الى وضع قطرات من روائح طيبة على ملابسه لكي لا تؤثر عليه الروائح الكريهة ولكي يتعود على شم الروائح . وقبل تمام الاربعين يوماً من حياة الطفل تنثر بعض العوائل كمية من ملح الطعام على جسم الطفل لغرض التقوية كما يظهر . وقد يتم خلط الملح بعد سحقه ناعماً مع [illegible]ية من الدهن المائع لتدهين جسمه لان هذا يساعد على عدم ظهور خطر على رجليه ويديه .

انتقاء الاسماء :

قد تسبق هذه المرحلة عملية الولادة بايام وخاصة حينما يهيء البعض أسماءاً مختارة للمواليد اما ايفاءاً لعهد او تمسكاً باسم طريف أو لتخليد ذكرى احد اقارب الاب او الام .. الخ . وقد تكون هذه المرحلة بعد عملية الولادة كما هو الشائع وهنا ايضاً يمكن ان تلعب نفس العوامل السابقة دورها الفعال في انتخاب الاسماء التي قد تتأثر بنوع الوقائع التي ترافق عملية الولادة . مثال ذلك : اذا ما اقترن مجيء مولود جديد مع احد الاعياد فان اطلاق كلمة (عيد) عليه بصورة منفردة او بالاقتران مع اسم آخر (محمد عيد) ليس بعيداً . او اذا ما تمت الولادة في يوم جمعة فان اضفاء اسم هذا اليوم على المولود الجديد لا يعدو امراً غريباً . او اذا ما جاء المولود الجديد في اعقاب مواليد عديدة بحيث ابتغى ذووه الكف عن الانجاب ففي هذه الحالة قد يكون اسم (بطال) هو المنتقى . هذا فضلاً

عن العوامل الاخرى التي تؤثر في هذا المضمار والتي اتينا الى ذكرهـــا في الفقرة السابقة .

ومن المتعارف عليه ، ان يتم اختيار الاسماء من قبل والد الطفل او جده وخلال ثلاثة ايام ، وقلما يكون اكثر او اقل . والغاية من مثل هـــذا التكبير في اضفاء الاسماء على المواليد الجدد ، هي ان الطفل – كأي انسان آخر – معرض للوفاة وان المتوفى ينادى عليه في يوم القيامة باسمه فـاذا ما مات قبل ان يعين له اسم خاص به فان المناداة عليـــه تصـــبح في عداد المستحيل . ومهما يكن الامر فان انتقال اسماء معينة في عوائل شتى ومن السلف الى الخلف اصبح شيئاً مألوفاً ، كما ان تخليد الاب لاسمه هووعن طريق احد ابنائه لا يعدو امراً غريباً . ومع كل هذا فان الايمان بان : (خير الاسماء ما حمد وعبد) امر لا يدانيه الشك مما يفسر سبب شيوع اسماء : (محمد . احمد . حامد . محمـــود . عبدالله . عبدالرحيـــم . عبدالرحمن ...) اكثر من غيرها ولو ان اتجاهاً جديداً في انتقاء الاســـماء الحديثة بدأ يلوح في الافق بشكل ملحوظ . ومما يجب عدم نسيانه بهذا الخصوص هو ان البعض كان يتحمل مشاق السفر الى الموصل امـــلاً في العثور على اسم جديد يطلقه على مولوده الجديد . من هذا القبيل ما أتذكره جيداً عن اسم (معاذ ، انصار ...) حيث تم اختيارهما من قبل البعض في الموصل . ومن الملاحظ اخيراً ان الاسماء الشائعة في تلعفر هـــي ذات اصول عربية وتركمانية تبعاً لتأثيرات قومية ودينية وغيرها ..

الهدايا :

العلاقات الاجتماعية ، القرابة ، التضامن الاجتماعـــي في الســـراء والضراء .. هي وغيرها عوامل اساسية تعمل على خلق عادة اللجـــوء الى تقديم الهدايا في مختلف المناسبات وبين شتى العوائل والاشخاصـــ . والولادة باعتبارها من المناسبات التي تدخل البهجة والسرور الى نفوس ذوي العلاقة ، تلتصق بالهدايا بشكل من الاشكال . فحينما تنعم عائلـة ما بمولود جديد تصبح هذه العائلة عرضة لتقاطر الهدايا اليهـا من الآل والخلان كما تصبح عرضة لتقديم امثالها الى تلك العوائل الي سبقت وان جملتها في نفس المجال . بمعنى آخر ان الهدايا التي تقدم في المناســـبات ما هي الا وجه من وجوه التضامن والتآزر الاجتماعي من جهة وشكل مـن أشكال تطبيق المثل الشعبي القائل (**كل شيء دين حتى دموع العين**) .

ان الهدايا المتعارف عليها في موضوع الولادات يمكن حصرها في تقديم قطعة من قماش (ذراعين ، ثلاثة ، اربعة ..) الى المولود الجديد ومن النوع الذي يلائمه سنواءاً كان بنتاً ام ولداً . او تقديم مبلغ من المال (دينار واحد أو أقل أو أكثر) الى والدته . أو تلطيفه بحاجة ذهبية (خاتم ذهبي ..) أو

اعطائه بدلة جاهزة او ارسال كمية من الطعام المطبوخ (برغل مع لحم عادة٠٠) الى ذويه ويسمى (الاتكاري) ومن المؤكد ان هذا النوع في طريقه الى الانقراض ٠ او اعطاء الطفل اية هدية تناسب المقام وتتفق وامكانية من قدمها من الناحية المالية اومن ناحية العلاقة بين اطرافها المختلفة ٠٠ وهكذا٠

الختان ـ بكسر الخاء ـ هو الاسم من الفعل ختن ويدل على حرفة الخاتن ومهنته ٠ ونفس الشيء تعني كلمة الختانة ـ بكسر الخاء كذلك ـ لهذا تستعمل هذه الكلمة كلما أريد الاشارة الى حرفة الخاتن لغرض التفريق بينها وبين كلمة الختان التي استخدمناها في عنوان الموضوع ٠ وختن الشيء قطعة ٠ وختن الصبي قطعة قلفته (بالضم والسكون والفتح)[1] والختان ايضاً موضع القطع من الذكر ٠ وقد تسمى الدعوى للختان ختاناً ٠[2] والقلفة جلدة عضو التناسل وجمعها قلف (بالضم والفتح والسكون)٠[3] وقد يستخدم العوام كلمة (الطهور) بدلاً من كلمة الختان ٠ وهذا ممّا لا غبار عليه طالما ان الطهور يعني التنزه عن النجاسة[4] وما دام القصد من اجراء الختان ـ وهو أمر ضروري في الاسلام ـ لغرض تطهير المختون وتنزيهه عن النجاسة ٠ هذا فضلاً عن اهمية الختان الصحية مما دعا لانتشاره بين ملل غير اسلامية ٠

والختان بهذا المعنى واضح الاهمية لالانّه يتعلق بالذكور قبل الاناث فحسب بل لانه يمثل مرحلة مهمة من مراحل حياة الصبيان ولانه يتعلق كذلك باهم ناحية من نواحي وجودهم الاجتماعي نعني بها الاستعداد للزواج المنتظر ٠ ويرتبط ايضاً باهم عضو من اعضاء الجسم بما له من دلالات خاصة تكون الرجولة من بين مفرداتها على كل حال ٠ لهذا لا غرو ان احيط الختان بسياج من تقاليد شتى تستهدف في جملتها ابراز عنصر الابتهاج لدى العوائل التي يختتن اولادها من جهة واظهار اهمية العلاقات الاجتماعية والتآزر العائلي في السراء والضراء من جهة ثانية ٠

والاساليب المتبعة في مجتمع تلعفر ـ كغيره من المجتمعات ـ لاظهار السرور بمثل هذه المناسبة السعيدة تختلف باختلاف مواقع الاسر الاجتماعية ومركزها الطبقي والمالي وما الى ذلك ٠ ومع هذا فان الامر يبدأ حينما يصل الصبي ـ أي صبي ـ الى سبع سنوات من عمره مثلاً فتنشأ لدى ذويه فكرة ختانه حتى يستقر الرأي عند اسلوب معين من اساليب اظهار الفرح ، ثم يتم الاتصال مع الخاتن المختص ويكون هذا عادة من السادة المتجولين الذين يفدون باعداد غفيرة الى تلعفر بمثل هذه المناسبات ٠ وقبل عقود قليلة من الاعوام كان بعض الحلاقين المهرة يقومون

بمثل هذه المهمة احياناً كما كان عدد قليل من ابناء تلعفر يتعاطونها بين الفينة والفينة مع انهم كانوا اقل خبرة من الاولين ٠ ومهما يكن الحال فان بدء عملية الختان يكون في موسم الصيف لسهولة التئام الجروح وفي وقت الضحى او العصر على الاكثر حيث يتجمع الاهل والخلان بعد تحضير المكان المخصص وتنظيفه واكسائه بالفراش اللائق ثم يجلس الصبي المطلوب تختينه – وقد ارتدى ثوباً نظيفا وجديداً في الغالب – فوق مخدة عالية ، فيمسكه من رجليه ويديه وبشكل محكم ، والده او احد اقاربه او احد الذين يريدون ان يصبحوا له كريفاً ٠(٥) بعد ان يباعد فيما بينهما ليسهل قطع قلفته ثم يملأ فم الصبي بعدد من الحامض حلو والجكليت لالهائه لكي لا يشعر بالألم كما يطلب اليه النظر الى السماء لعين الهدف ٠ وفي هذا الاثناء يكون الختان قد هيأ ما يلزمه من ادوات وادوية ومواد صحية فيباشر بقطع القلفة وهو يرفع صوته بالصلاة والسلام على النبي محمد(ص) فيرددها معه الاخرون فيمتزج صراخ الصبي مع هذا الصوت المرتفع فتنتهي بذلك العملية عن آخرها ٠

وقد يقترنمع الختان انشاد المدائح النبوية والقصائد الدينية مع دق الدفوف بانغام شجية او ترافقها هلاهل وزغاريد النساء ٠ وليس من المستبعد ان تقدم بهذه المناسبة بعض العوائل الى قراءة المولد النبوي الشريف او تقدم الى اقامة دبكات شعبية ليوم واحد عادة ٠ ومن المتعارف عليه ان يتم تختين عدد من اولاد تربطهم صلة القربى او الجيرة او ما شاكل ذلك مرة واحدة وربما طلباً لتقليل المصاريف الى اقل حد ممكن او او لتبرع احدهم بتحملها وحده لان البعض من عوائل هؤلاء ذوو امكانيات مادية ضعيفة او لأي سبب آخر ٠

وعلى كل حال يستمر الخاتن بمعالجة المختونين الى حين تماثلهم للشفاء خلال اسبوع واحد في الاغلب الاعم حيث ينفح خلاله الختن بالمبلغ وهو لا يزيد في الوقت الحاضر عن دينار واحد بينما كان في الماضي اقل من هذا القدر وانه يتجه – كما يبدو – نحو الصعود ٠ وطيلة مدة المعالجة وحتى ما بعدها تقدم الى المختون هدايا مناسبة من الاقارب والجيران وهي تقتصر عادة على اعطائه مبلغاً معيناً من الدراهم او شراء دشداشة او جاكيت او بدلة ٠٠٠ والخ ٠ وكجزء من علاج سريع كان الصبيان المختونين يعمدون اثناء اشتداد الحر الى دفن اعضائهم المختونة في تراب ناعم احمر – او من نوع الحلان الاحمر – لهذا كانوا ينتشرون يومياً وفي عدد من المرات في الازقة والطرقات لهذه الغاية وفعلا كانت جهودهم لا تذهب هدراً لأن حرارة الشمس القوية تطهر التراب من المكروبات فيصبح لهذا صالحاً للتعقيم ٠

ومن المتعارف عليه في الوقت الحالي هو الختان الجماعي في المستشفى الحكومي وعادة تقترن هذه المناسبة بمناسبة مـــرور ذكرى ثورة تمـــوز ١٩٥٨ • بمعنى آخر ان هذه الظاهرة حديثة العهد وذات اصل جمهـــوري استحدثت خصيصاً لختان الاطفال الفقراء • ومن الظواهر المستحدثـــة كذلك هي : الميل الى ختان الاطفال منذ الصغر أي بعكس الحالة فيمـــا مضى حيث كان المختون يتجاوز سن الصبا عادة لهذا لم يكن يصعب عليه تذكر ما جرى له في حينه • ومن المعتقدات الشعبية الطريفة وذات العلاقة بموضوع الختان ، الايمان بان المرأة التي لا تحبل اذا اغتسلت لثلاث مرات بماء نقّعت فيه عدداً من قلف المختونين فانها سرعان ما تحبل لهـــذا فان النساء قد تعمد الى حفظ هذه القلف بعد تمليحها بقصد استعمالها لهذه الغاية وحين الحاجة •

بعد هذا نعود الى الكريف متسائلين : من هو الكريف ؟ وما هو مصدر هذه اللفظة ؟ وما هي العلاقة الجديدة التي تنشأ بين المختون الكريف وبالتالي بين هذا الاخير وبين ذووي المختونين ؟

قبل الاجابة على هذه الاسئلة ونظائرها لابد من كلمات قليلة نوضح فيها بان منشأ هذه اللفظة في اعتقادنا هو اللغة اليزيدية التي تنتشـر في جبل سنجار حيث تتواجد الطائفة اليزيدية لهذا يمكن القول بان هـــذه المنطقة هي المصدر الحقيقي لهذه الكلمة سيما وان اليزيدية يختتنـــون اطفالهم على غرار صبيان المسلمين(١٠) والكريف هو الشخص الذي يتولى مسك المختون من رجليه ويديه بشكل محكم لكي لا يمكنه من القيام بأية حركة قد تضره وهو تحت مبضع الخاتن كما رأينا • لهذا فانه قد يكون من اقارب المختون او من اصدقاء ذويه ومعارفهم الحميمين فيتبرع للقيام بمثل هذه المهمة مع تحمل تبعاتها • والاعتقاد الشائع بان بنات الكريف تكون من محرمات المختون فلا يصح له الزواج منهن طالما ان دمه قد سكب اثناء الختان على ملابس ابيهن • بمعنى آخر ان اختلاط دم المختون مع دم الكريف ينشيء بين الاثنين قرابة قوية كتلك التي تكون بين الاخ واخته مما يمنع الزواج بينهما الامر الذي يصبح سبباً لنشوء علاقة جديدة بـــين عائلة الكريف وبين عائلة المختون تصل احياناً الى مرتبة علاقة الاقـــارب مع بعضهما البعض بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى •

ومن التبعات التي تلقى على عاتق الكريف لهذا السبب ، تقديـــم هدية تليق بمقام المختون وعائلته وتناسب المركز المالي للطرفين • تتكون هذه الهدية عادة من بدلة او دشداشة او جاكيت او ساعة يدويـــة او أي شيء آخر • وبالمقابل يقع على عاتق ذوي المختون تقديم هدية مناسبة الى الكريف وتكون عادة عباءة رجالية او بدلة او ما شاكلهما •

الموت ريح عاتية لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر تحرق الاخضر واليابس ولا تفرق بين ظالم ومظلوم ، طفل وشيخ ، رجل وامرأة ٠٠ فتحيل من تصيبهم برذاذها الى شخوص ذاهلين ٠ تلف نفوسهم نكسة ما بعدها نكسة وتجعل المرء يعيد التفكير في الحياة مرات ومرات وهو يكفر بما درج عليه من نظرة كادت ان تكون ابدية ولكنها سرعان ما تصبح سراباً خادعاً تذروه الرياح ٠

اذا كان هذا هو حال الانسان – اي انسان – وهو قد ابتلي بصدمة عنيفة نتيجة فقد عزيز عليه ٠ فهل من الغرابة وقد لفه مثل هذا الكابوس المرعب ان آمن بآراء وافكار ربما يعدها هو نفسه من سقط المتاع وهو في حالته السوية ؟ وهل من عجب ان اتى مثل هذا المرء – وهو في مثل هذه اللحظات النفسية الحرجة – بتصرفات لا تأتلف والمنطق العلمي الصحيح ولا يرضى هو نفسه بها في حالة استعمال البصيرة قبل العاطفة، او حينما يجعل الاولى تتحكم في رقاب الثانية ؟!

من هنا يمكن تفسير انجرار البعض وراء كل ما يتصل بالوفاة من تقاليد وطقوس بحيث لا يالو جهداً على تنفيذها كلا أو جلا أو بعضاً وكأنها مسلمات بديهية لا تقبل التأويل او البطلان ٠ ومن هنا يمكن توضيح الدواعي الاجتماعية ، النفسية ٠٠ لظهور الحاجة الى اقامة المآتم ٠ ومن هنا يمكن ايضاً تشخيص ماهية الرهبة التي تلقيها الوفاة في عقول سكان تلعفر الى حد الانقياد وراء كل ما يتصل بها من قريب او بعيد بحيث غدا التهيب من ذكرها الا اضطراراً هو السمة الغالبة ٠ ومع هذا وكوسيلة لاتقاء شرها يمهّد اي متكلم الى ذلك بقوله : **(خضر حاضر)** أي ان خضر ذلك الشخص الكلي القدرة حاضر لحراسة المتحدث ومن معه عن طائلة الموت ٠ كما وصل الامر الى درجة عقد المنظومات لشرح مكنونات الوفاة ومختلف الاوجه المتعلقة بها ، او للتذكير بكل ما جرياتها سيان عن طريق الامثال الشعبية او من خلال الروافد الشتى للفكر والادب الشعبيين ٠ ومن المنظومات الشائعة بهذا الصدد قول احدهم :

يا رين اولور نولوم گلير   گل تسليم اول اول اوغلي
عزراييل كوسكيدة دورور   جان تسليم ايت ادم اوغلي

ومعناها بالعربية : –

غداً ستحل بك الوفاة   يا ابن آدم فاسلم الروح
وسيقف عزرائيل على صدرك   فاسلم اليه يا ابن آدم الروح

ثم تمضي هذه المنظومة وفي البيتين التاليين الى تبيان بعض المعتقدات الشائعة عن الحياة الآخرة وكيف ان يدي الانسان ورجليه ستشهد عليه حينذاك فتظهر بنتيجتها كل موبقاته فتعرضه لتجرع شراب خاص يسمى (الزمهرير) مع انه مر المذاق وجهنمي التاثير. وهذانهما البيتان :-

شاهد اولور ئەلي قيچي اونده بيلينير هپ صوچي
ديرلر زمهرير إيچي گل ايجابل آدم اوغلي

اذا كان هذا هو شبح الموت المخيف فما هو التفسير الشعبي الذي يتمسك به ابناء تلعفر تلقاءه ؟ وماهي المراسيم التي تتبع في هذا الخصوص وغيره يا ترى ؟

التفسير الشعبي للوفاة : -

لاينكر بان الناس - كل الناس - في تلعفر يؤمنون بان الموت حق (**أولوم حقدر**) وانه النهاية الطبيعية لكل كائن حي ، وان هذه النهاية قد حددت منذ الازل وبصورة حتمية مصداقاً لقوله تعالى : (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) و (كل نفس ذائقة الموت ..) و (فاذا جاء أجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون)(٧) لهذا يكتنفهم اعتقاد شعبي يؤمن بان للوفاة بعض الدلائل المنظورة وغير المنظورة . فمثلاً اذا ما خرّ نجم في السماء فهذا يعني بان مخلوقاً بشريا قد لقي حتفه . كما يسود الاعتقاد القائل بان لكل انسان ورقة تستقر على شجرة الحياة المثبتة في عرش الرحمان فاذا ما انتهى عمره في هذه الدنيا الفانية وانقطع عنها رزقه فلا بد من ان تصفر تلك الورقة ثم تسقط محدثة حفيفاً لا يختلف عن حفيف الاوراق الاعتيادية فتنسد بذلك باب رزقه الى الابد ، وفي نفس اللحظة ينطفيء سراج حياته فتنتقل روحه الى العالم العلائمي حيث يسعد الاخيار ويشقى الاشرار . هذا يعني بكيفية ما بان حضور عزرائيل (ملك الموت) لقبض الارواح البشرية اثناء الوفاة وبموجب هذا المنظار ما هو الا مسالة رمزية طالما ان ترتب علل الوفاة بشكل معين لابد وان يؤدي الى نتيجة متوقعة . ولكن الايمان بان (لكل شيء سبب) هو الذي اعطى لعزرائيل مثل هذا الدور الحيوي المخيف في مصير الخلائق . ومع هذا هناك من يتصور بان المتوفى يصاب في بداية الامر في حالة من الذهول التام يجعله جاهلاً لحقيقة وضعه فيعتقد بان المقبوض على روحه هو شخص آخر غيره . ولما يواجهه الملكان الموكلان بالسؤال عن ربه ونبيه ودينه .. أي المنكر والنكير ، يحاول الجلوس فيرتطم رأسه باحجار اللحد فيرجع الى سكونه المطبق .

ومهما يكون الحال فان الميت يلقى عليه غطاء ما عادة ثم يتلقف الناس خبره ، فيردد كل واحد منهم وبرطانته التركمانية قوله (**دائم الله**) أي (ان

الله هو الدائم) ثم يتوارد الاقارب والجيران ٠٠ الى مصدر الخبر للمساهمة في عدة مجالات ٠ اذ يجوس بعض الحاضرين من الجوامع والمساجد بحثاً عن تابوت يتبرع به وبامثاله أهل الاحسان سداً لحاجة عامة تقف ازاءها دائرة البلدية عاجزة لا تقوى على شيء ٠ خصوصاً وان السكان لم يتعودوا لحد الآن على الدفن بصناديق خشبية الا ّ نادراً ٠ ومن الحاضرين من ينشغل بتهيأة الكفن أو بسماع آيات بينات أو يتولى التوجيه والارشاد في كل ما يتعلق بالمصاب الاليم ٠

وللفترة التي تقع فيها الوفاة أهمية عظيمة بالنسبة للميت وذويه ٠ لان الله يتجلى على عبـاده في أيام رمضـان ولا سيما ليالي القـدر وكذلك ليالي الاعياد الدينية والمناسبات الدينية وفيما بين وقت العصـر من كل خميس أي ليلة الجمعة لهذا فان من يتوفى في هذه الاوقات سوف تصيبـه شآبيب الرحمة والرضوان ٠ ولكن قد يموت بعضهم في غير هذه المواعيد فيرغب ذووه الى ربط زمن وفاته باقرب جمعة تليه فيستعينون لهذا بعدد من الملالي يتناوبون ليلاً ونهاراً وباجور يتفـق عليهـا ، في قراءة القرآن الكريم اعتباراً من ساعة الوفاة وحتى حلول عصر الخميس الذي يليهـا ، فيعلق بهذا زمن الوفاة بكنف يوم الجمعة ٠

الغسل :

سواء آكان الغسال من الملالي او من غيرهم وسيان ان قام بعمله تبرعاً أو لقـاء أجر معين ٠٠ فانه وقبـل المباشرة لابد وان يخفي كلتا يديه بكيس صغير يخاط من نفس قماش الكفن ٠ ثم يتعـاون مـع الاخرين حينما يوضع الميت على محل مرتفع نسبياً (كالسرير مثلاً ٠٠) تسهيلاً لتسرب المياه خلال عملية الغسل حيث يوضأ الميت في بداية الامر ولكن من دون مضمضة او استنشاق ٠ ثم يجري تنظيف الرأس وما يليه من اعضاء الجسم ٠ والمادة المستعملة في التنظيف هي الصابون بينما كان يعـوض عنـه في المـاضي بالـكيل أي (طـين خـاوه) وبعـد الانتهاء يرش على الجثمان مقدار من ماء مخلوط بالآس او السـدر او الشنان ٠٠ كما ترش عليه كمية من ماء زمزم يجلب من الحج خصيصـاً لمثل هذه الغاية ٠ بعد هذا ينشف الميت ويكفن حسب الاصول ٠

وقبل الفراغ من هذه الفقرة لا مندوحة من القول بان من المستحب ان يغسل كل واحد في حياته ولو ميتاً واحداً على اقل تقدير ٠ وان من المعتاد ان يضاء مكان الغسل ثلاث ليالي متتالية او اكثر لأن طيف الميت لا ينفك عن زيارة مثل هذا المكان كما انه قد يزور داره في غير هذا الوقت فيحدث خلالها صوتاً يشبه ازيز النحل لهذا قد يعتقد البعض بانه رأى ذلك الطيف او سمع صوته فيضطر ذوو الميت ــ والحالة هذه ــ الى عدم قطع الانارة عن الدار لعدة ايام عساها تصبح للطيف دليلاً اثناء تجواله فيها ٠

الكفن :

بعد تمام التكفين توضع الجثة في تابوت خشبي يفرش فيه جاجيم احمر يطوى عدة طيات ويغطى باكمله بجاجيم آخر احمر اللون كذلك الامر الذي جعل البعض يتطيرون من مثل هذا الجاجيم وربما يمنعون انفسهم من الانتفاع عنه مع حاجتهم القصوى اليه احياناً · والذي يبدو لي بان شيوع امر الجاجيم الاحمر على هذا النحو يعود في واقعه الى انه كان ولا يزال من آكثر أنواع الافرشة استعمالا في تلعفر والدافع للاعتماد على مثل هذا البساط في داخل التابوت هو لمنع الجثمان من الحركة يميناً ويساراً او خوفاً من دعوة الميت الآخرين للحاق به ولاسيما من اقاربه ·

ومن المالوف ان يكون الكفن من قماش ناصع البياض ربما انقياداً لقوله – ص – : (البسوا من ثيابكم البياض فانها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم)[٨] أو لانه رمز الطهارة والعفة ·· ومع هذا لا ينعدم في تلعفر من يتشاءم من مثل هذا اللون باعتباره يرمز الى لون الكفن ·

يتالف الكفن في الوقت الحاضر من ثلاث قطع منفصلة · الازار وهو عبارة عن ثوب قصير يغطي اسفل الجسم الى حد الخصر · والقميص (آخرت كويناكي) أي (ثوب الآخرة) وهو ثوب كامل يغطي اكثر انحاء الجسم ويثبت على الرقبة بواسطة شق يشبه الياخات الاعتيادية ، واللفافة وتستعمل كغطاء لما يلي الرقبة صعوداً وتكون بطول يكفي لربطها مع الثوب الاساس · تثبت هذه الاجزاء مع بعضها البعض عن طريق ثلاثة مشدات طويلة تقتطع من نفس قماش الكفن · يعقد اولها فيما يلي القدمين من الاسفل ويشد الثاني من وسط الجسم ويربط الاخير بصورة تلامس قمة الرأس هذا وان الوظيفة الاساسية لهذه المشدات هي لحفظ اجزاء الكفن من الانزلاق من على الجسم لان معاينة الميت غير مستحب اصلاً · كما قد تسهل هذه المشدات حمل الجثة سواء اثناء وضعها في التابوت او حين اخراجها منه او في حالة انزالها في القبر · واخيراً لقد اعتاد البعض على تحضير اكفانهم وهم احياء يرزقون ، بينما يجلبها غيرهم من مكة اثناء الحج بعد غسلها بماء زمزم تيمناً وتبركاً به ولان ذلك ادعى لوقاية من يكفن بها من نار جهنم ·

التشييع :

يبدأ التشييع برفع التابوت من على الارض مع ترديد عبارة (بر الله بر) أي (واحد الله واحد) لثلاث مرات وفي الرابعة يرفعه الحاضرون على الاكتاف ليسيروا به مسرعين ولكن دون الجنب لان سرعة مواراة الاموات من الواجبات الدينية المشهورة ·

يختلف نوع التشييع تبعاً لاختلاف الحالة التي ترافقه • ففي اكثر الاحوال يلتصق بالتشييع صراخ وبكاء كما سنرى في حالة كون المتوفى شاباً أعزب فانه قد يودع بالهلاهل والزغاريد لكونه حرم منها في حياته ولهذا فقد تخضب كلتا يديه بالحناء ايضاً واما اذا كان المتوفى من منتسبي الطرق الصوفية فانه يشيع بموكب ديني يتخلله دق الدفوف ورفع الاعلام وانشاد المدائح النبوية • وربما لا يحدث اي شيء من هذا القبيل •

وعلى كل حال وبعد ابتعاد الجنازة عن الدار يرمي بعض من فيهـا وخاصة من النساء ثلاثة احجار بغية قطع كل علاقة بالميت حتى لا يبقى بانتظار من سيعقبه من ابناء بيته • وبعد الوصول الى المقبرة يلقى التابوت على الارض فيؤم الامام الموجودين بصلاة تسمى (صلاة الجنازة) ثم تستمر قراءة القرآن الكريم لحين الانتهاء من حفر القبر •

ومن قواعد التشييع المعروفة ، تناوب الحاضرين على حمل التابوت لانه يكون ثقيلاً اكثر من المعتاد اولاً ولنيل الثواب ثانياً ولهذا ايضاً لابد من الاشتراك في التشييع ولو لخطوات قليلة • واخيراً يجب ان لا ننسى بان سكان تلعفر لم يتعودوا بعد على حمل المتوفين الى المقابر باستخدام السيارات ربما لقربها من البيوت او لتخللها محلات السكن في بعض الاحيان

القبر والدفن :

لافتقار تلعفر الى اولئكم الذين يمتهنون صنعة (حفر القبور) لقاء اجر معلوم فان مثل هذا العبء يقع على عواتق الحاضرين فيقوم بعضهم بحفر قبر يكون مستطيل الشكل وبطول وعرض يقارب طول وعرض الميت نفسه واما عمقه فقد يصل الى المترين تقريباً • ثم يلحق به ومن جهاته الاربع لحد يمنع الاحجار التي ترصف عليه من الخسف•

وبعد تسوية الاتربة الداخلية والخارجية يضع البعض التابوت على حافة القبر وهم يكررون عبارة (واحد الله واحد) كالسابق ثم يتناول احدهم — وهو في داخل القبر — الميت ومما يلي القبلة ولسان حاله يقول : (**بسم الله وعلى ملة رسول الله** •)(٩) والمعتاد أن يكون راس الميت — حين تمديده — الى جهة الغرب ويكون وجهه نحو القبلة ثم يجري حل عقد المشملات ايماناً بان بقاءها كما هي تعيق المتوفى حينما يحاول الجلوس اثر حضور المنكر والنكير اليه لاستجوابه وهو لما يزل يسمع اصوات اقدام الاحياء الذين تركوه وحيداً فريداً • ولأن لذلك علاقة بالانتفاخ الذي سيصيب الجسد بفعل التفسخ • بعد هذا تصف على اللحد أحجار كبيرة تسمى كل واحدة منها • بـ (**كوسك طاشي**) أي حجر الصدر الذي قد يبتاع من بعض الحجارين خصيصا لمثل هذه الغاية ولقاء اجور نقدية •

ثم تسد كافة المنافذ الموصلة الى الداخل منعاً لنزول الاتربة ثم يجري وبواسطة الجص او الطين ، تثبيت شاهدين من الحجر عند رأس الميت وعند قدميه ان كان المتوفىّ ذكراً • وشاهد واحد عند الرأس فقط ان كان انثى • والغاية من ذلك – كما يظهر – هي لسهولة التفريق بين قبر الذكور وقبر الاناث • ومن الملاحظ ان الشاهد الذي يوضع من جهة الغرب أي عند الرأس ويسمى بالتركماني (باش طاشي) يكون أطول من الشاهد الذي يكون من جهة الشرق أي عند القدمين والذي يطلق عليه اسم (قيج طاشي) والسبب في هذا هو مسهولة التمييز بين موضع الرأس ومكان الاقدام • بعد هذا ترصف الاتربة فوق القبر على هيأة سنام البعير لأن تسطيحه او تربيعه امران منهيان عنهما • ثم ينصرف الحاضرون تدريجياً وكأن على رؤوسهم الطير • واخيراً ومع ان للقبر رهبة وحرمة عظيمتين لانه يعتبر اولى منازل الآخرة ان سعد الميت فيه سعد فيها وان عذب فيه عذب فيها كذلك ، فليس من المستبعد انزال أي ميت في قبر قديم دفن فيه آخرون بشرط ان تمضي مدة (٣٦) سنة على آخر مرة تم فيها الدفن وعلى أن ينزل الرجل في قبر الرجال والمراة في قبر النساء ولا عكس مطلقاً • وبطبيعة الحال ان اللجوء الى مثل هذا العمل لا يحدث الاّ قليلاً وخاصة حينما لا تساعد ارض المقبرة بسبب الصخور او المتانة على الحفر • او تكون الظروف المناخية قاسية تمنع من ذلك •• كما ليس من المستبعد بناء القبور بالجص او تسييجه بالمرمر او تزيينه بقطع مستطيلة من الثيّل الاخضر •••

مجالس الفاتحة – ياس :

بعد الفراغ من الدفن يجري الاستعداد لاقامة الفاتحة في دور السكن سواء في دار المتوفى نفسه او في دار احد اقاربه • اذ تنعدم في تلعفر عادة الاستعانة بالجوامع والمساجد لاقامة المآتم • والمدة المتعارف عليها لهذه الغاية لا تتجاوز الثلاثة ايام يشترك فيها الرجال والنساء كلاً على انفراد لهذا تختلف ماهية الفاتحة عند الرجال عنها عند النساء من بعض الوجوه مما دفعنا الى بحث كل منهما بفقرة مستقلة : –

١ – مجالس الفاتحة للرجال وآداب الحضور فيها :

تتصف مجالس المآتم بتقديم السكاير والقهوة المرة الى الحضور الذين لابد وان يستمتعوا بآيات من القرآن الكريم يرتلها بعض الملالي طيلة ايام الفاتحة سيان باجرة نقدية او تبرعاً وهذا هو الشائع الآن • وفي الآونة الاخيرة انجرّ البعض الى استعمال السماعات لهذه الغاية وربما

ابجر افراد معينون الى الانتفاع من المسجلات كذلك • ومن المالـــوف ان يتخلل المآتم موعظة حسنة او ارشاد ديني او تفسير بعض الآيـــات •• تلقى بين الفينة والفينة وخاصة حين فترة انقطاع الترتيل • واذا ما صادف وان حل موعد الغداء فلابد من ان يقدم الى الحاضرين وحتى الحاضرات في مجلس النساء طعام يرسله الاقارب والاصدقاء والجيران •• على شـــكل مناسف قد يتشاءم البعض من ذكرها لالتصاقها بالفواتح حصراً • وكـل منسف يصل لهذا السبب يسجل حسب الاصول وكذلك يدون كل مـــا يجلبه المعزون معهم من الذبائح والسكاير واكياس التمن والســـكر •• بغية مقابلة اصحابها بالمثل وقت الحاجة • وللحضور في الفواتـــح آداب خاصة يجب مراعاتها والتقيد بها • فبعد ان يدخل المعزي الى المجلســـ يبادر الجالسين بالسلام او بقوله : (يرحمكم الله) ان صادف قراءة القرآن فيستقبله الحاضرون بالترحاب ثم يجلس استعداداً لقراءة سورة الصمد في الخفاء ولثلاث مرات ليقول بعدها وبصوت جهير : (الفاتحة) فيقـــرأ الحضور وفي الخفاء كذلك سورة (الفاتحة) ثم يمسحون وجوههم بايديهم وهـم يقولون : (**بزه سزه جميع امت محمده**) أي (لنـا ولكم ولجميع امة محمد) والغاية من قراءة سورة الصمد لثلاث مرات هي لان ذلك يعد بمثابة ختم كامل للقرآن الكريم وفي هذا ما فيه من ثواب للميت وغيره • ثم تقدم اليه السكاير والقهوة • وحينما ينوي ترك المجلس يعيد قـــول كلمة (الفاتحة) فيعيد الجميع القراءة على النحو السالف ثم يغادر المكان وهو يقدم التعزية الى المسؤول عن استلامها بقوله : **(جاني صاغ اولسون)** أي (البقاء لحياتك) او باية صيغة مقبولة • ومن المعروف ان يسود الصمت والسكون مجالس الفاتحة الى درجة يضرب بها المثل : (هل نحن في مجلس العزاء) أي (**عجبا بز ياسده اوتر مشوخ** ••) • ولا ننسى بأن لكل قاعدة شواذ وهكذا أمر المآتم •

مجالس الفاتحة عند النساء :

مع ان أساس مجالس الفاتحة واحد ســواء عند الرجـال أو عنـد النساء فان المجالس الخاصة بالاخيرات تمتاز بمظاهر خاصة يكون العويل والصراخ والنحيب ولطم الخدود وشق الجيوب •• وما الى ذلك في مقدمة تلك المظاهر • كما يكون الاتيان بكل ما يهيج النفوس ويزيد الشـجون من المسائل المالوفة سيما وان العدادات والنواحات يكون لهن ابرز الادوار في كل ما تقدم وذلك عن طريق الاشادة بمحاسن الميت واظهـار مآثـــره وبطولاته • ومن اقوالهن المتداولة في هذا المضمار وصف الميت بانه كان يشعل النار في عين الحية (**ايلان گوزينه اود صلان**) وان سيفه كان يقسم الجبل شـطرين اثنين (**قليجي داغلاري بولان**) وان بابه كانت مفتوحـة وسفرته دائمة (**قاپيسي آچوخ سفراسي دايم اولان**) •• وهلمجرا •

(قاپیسي آچوخ سفراسي دايم اولان)

كما يردد قسم من العددات مقاطع من اغاني وخويرات بالمناسبة منها : ـ

اغاگلسن
اغا بولاغا گلسن
اغالار سوز ويرديلار
فلان بولاغا گلسن

ومعناها بالعربية : ـ

لياتي الاغا
لياتي الاغا الى الينبوع
لقد اتفق الاغـوات
بان ياتي فلان الى الينبوع
(طبعاً يذكر اسم الميت بدلاً من كلمة فلان)

ومن هذه الاغاني ايضاً : ـ

كلگم آختي نيـلم
بغدادة باختي نيـلم
بن سزدمن آيريلمادم
قسمتم قاختي نيـلم

وترجمتها : ـ

لقد جرت سفينتي
وهي تنظر الى بغداد
لم اكن ارض بفراقكم
ولكن هكذا كانت قسمتي

ومن هذه المنظومات كذلك : ـ

اوغلان اوغلان
نه گوزل اوغلان
اوغلا ومرومر بيلينده
خنجر ئەلنده
قوللارم سنه ياستوغ
سەچلرم سنه يوزغان

ومعناها بالعربي : ـ

ايها الشاب ..
ايها الشاب الجميل

في جنبه المسدس
وفي يده الخنجر
لتكن يداي مخدتك
وليكن شعري غطاءك

ومن هذه الخويرات اخيراً : ـ

سورمه بني
جك گوزه سورمه بني
قاپيده قول بايللم
گوشكيده سورمه بني

وهذه تعني : ـ

لاتدفعني ...
اجعلني كحلاً في عينيك
ساكون عبداً في بابك
فلا تدفعني بصدرك

واكثر ما يكون اهتمام النساء بالندب وضرب النفس .. حين اخراج المتوفى من داره او حينما تقدم جماعات نسائية جديدة وخاصة من اماكن بعيدة او من المحلات الاخرى فتنساق وراء التقاليد محدثة صراخاً وعويلاً وهياجاً .. تستقبل بما يماثلها من الحاضرات فترتفع صيحاتهن الى عنان السماء . ومن قواعد اللطم المعروفة ، ان تراقب ذوات الميت النســاء او تفريغ راسها .. منزلة مرموقة ودين اكبر على عواتق ذوات الميت مـــن الواجب اداؤها في المستقبل وبنفس الصورة . ومن هـذه القواعد أيضاً وجوب اشارة العدادة الى اموات النساء الموجودات واحداً واحداً وخاصـة تلك اللاتي قدمن على التو ، وبهذا تشترك كل الحاضرات في البكاء والنحيب اذ تتذكر كل واحدة منهن المصائب التي حلت بها حينما فقدت احد اقاربها لهذا قيل في الامثال التركمانية (هر كس ئولوسي ايچون يغلار) اي ان كل امرأة تبكي في العزاء من اجل موتاها . وقد يكون اللطم فــرادى او بشكل جماعي توجهه النواحات وبعض الملايات بما يقلنه من كلام يناسب المقام . وليس من العجب ان تلبس بعض قريبات المتوفى شــيئاً مـــن متروكاته من الملابس كالعقال او العباءة .. اثناء اللطم فيزيــد في النار حطباً . وليس من العجب ايضا ان اشترك بعض اقارب الميت من الذكور في اللطم والنواح كذلك سيما حينما يكون فقيدهم من المشهودين لهـــم بالدور الاول في الحياة من كل النواحي او من الذين اصابتهم مظلمة مــا وهم ليسوا من اهلها او لدواعي اخرى كثيرة .

ومن المتعارف عليه ان تكون ملابس النساء في المآتم مجللة بالسواد او بالالوان القاتمة على اقل تقدير ، حداداً على الميت ٠ المدة التي ترافق الحداد قد تدوم لاسابيع او اشهر وربما لمدة تناهز الثلاث سنوات وفي احيان نادرة تصل الى اكثر من ذلك ٠ اما وفاء لنذر قطعته قريبات الميت على انفسهن وهن تحت سياط العاطفة او لأي واقع آخر ٠ وليس من الغريب ان انجر بعض الرجال الى التمسك بمثل هذا التقليد او ماشابهه لعوامل تبدو لهم وجيهة في حينه ٠ فمثلاً لقد اقدم البعض على تلوين الاحذية الحمراء بالسواد حداداً على وفاة عزيز ترك فراغاً كبيراً بعد وفاته

في اعقاب الفاتحة :

من المؤكد ان انتهاء امد الفاتحة لا يقطع العلاقة مابين الميت وذويه ٠ فقد ياتي هؤلاء بالكثير من التصرفات الدالة على الاعتزاز بفقيدهم من جهة وعلى مبلغ تاثرهم بالمصاب الجلل من جهة اخرى ٠ من هذه التصرفات الاحتفاظ ببعض آثار المتوفى وذلك بعد غسلها بالضرورة او التصدق بمخلفاته او استقبال ايام الجمع والمناسبات بتوزيع الطعام الى المعوزين او قراءة القرآن الكريم بالقرب منه او تقسيم الكليجة باسمه في الاعياد ٠٠٠ والخ ٠ فضلاً عن كل هذا ، من الواجب على ذوي الميت — بفعل المعتقدات الشعبية — نحر ذبيحة بعد اليوم الثالث من الوفاة شريطة حضور الغسال كذلك ٠ لأن فم الميت يظل مفتوحاً الى حد هذا التاريخ فيكون سده عن هذا السبيل ٠ كما تقوم احدى قريبات المتوفى النشيطات في اليوم الخامس من الوفاة ، بالدوران حول قبر ذويها لثلاث مرات وهي تحمل معها كمية من الكليجة ثم تسال النساء الموجودات معها : —

أي (هل رضيتم من هذا الميت) فيجبن : ان (**بو ئولودەن راصي اولدينيز**) نعم رضينا عنه فتقوم بعد ذلك بتوزيع الكليجة عليهن حسب الاصول ٠

مع كل ما تقدم يبقى شبح الميت يلاحق ذويه الى حين حلول أول عيد يعقب الوفاة حيث يجدد تقديم التعازي الى هؤلاء مع ان في هذا ما يناقض التعاليم الدينية السائدة ومع ان الفرق بين الوفاة وبين اول عيد يعقبها قد يصل الى اكثر من تسعة اشهر في العديد من الاحيان ومع ان في مثل هذه العادة — وقد اخذت تتسع اكثر من السابق — ما يجدد الآلام ويثير الاشجان بدون مسوغ اجتماعي او مبرر ديني ٠

على كل حال وعقب مرور هذه المدد يكون الميت خبراً من الاخبار وان وان بقت ذكراه تلاحق الاقارب والاصدقاء الى مدى اطول ٠

تفسيرات ختامية على الهامش :

من الملاحظ ان اكثر الماجريات التي تتعلق بالوفاة تجد اساسها في ثنايا المدركات الدينية • ولعل في هذا بعض الدلالة او كلها على كون المرء حينما يواجه مثل هذه المصائب والالغاز التي لا قبل له على ردها أو تفسير معناها ، يضطر والحالة هذه للرجوع الى كنف الدين عساه يجد فيه مخرجاً لبعض ما يعانيه او مسلكاً يتصرف على ضوئه ووفق ما يشير به • سيما وان هذا المسلك قد وجد استقراره في اوساط الشعب لتقادم الزمان عليه ولانه من صميم الدين كذلك •. ولعل من هذا المنطلق يمكن تفسير ظاهرة اجتماعية مهمة تتصل بالوفاة اتصالاً وثيقاً نعني بها اقامة الفواتح واقترانها بترتيل القرآن الكريم حتى اذا ما كان المتوفى لا يهتم بمثل هذا الكتاب المقدس • وقد يجاوب البعض بان التمسك بمثل هذا التقليد يعود في رسه الى ماقد اعتاد عليه المجتمع من قيم مالوفة ، فنقول : اجل ولكن اليس في التمسك بمثل هذه القيم اعتراف صريح او ضمني بما لها من دور فعال يحدث اثراً بليغاً في حياة المجتمع وبالتالي يعدُّ تركها من المحال على الاقل في الوقت الحاضر ؟!•

هوامش

(١) المنجد في اللغة والادب والعلوم ـ لويس معلوف • الطبعة ١٩ المطبعة الكاثوليكية بيروت •

(٢) المختار من صحاح اللغة • مطبعة الاستقامة بالقاهرة •

(٣) المنجد • المصدر السابق •

(٤) المصدرين السابقين •

(٥) الكريف ـ بالقاء المثلثة المخففة ،

(٦) التراث الشعبي ـ العدد الحادي عشر السنة الثالثة ١٩٧٢ ـ عبد الشيطان ـ ترجمة سعدي يوسف •

(٧) القرآن الكريم •

(٨) رياض الصالحين لمحي الدين النووي •

(٩) الهداية شرح بداية المبتدي ـ لبرهان الدين المرغاني ج١ • مط• مصطفى البابي الحلبي ـ مصر •

استنزال المطر عند الاكراد

نوري ياسين هرزاني

ان معظم المناطق التي يسكنها الاكراد هي ارض ديمية تعتمد الزراعة فيها بالدرجة الاولى على نسبة الامطار السنوية وان قلة سقوطها أو تذبذب أوقاتها يؤثر في كمية انتاجهم الزراعي ومن ثم في طبيعة الحياة الاجتماعية لسكان المنطقة التي بدورها تؤدي بهم الى ممارسة بعض الطقوس الدينية ذلك ايماناً منهم بان ممارستها تسبب سقوط الامطار.

ان هذه الفعالية الطقوسية تمارس في مناطق مختلفة ضمن المجتمعات الكردية، لكن لكل منطقة تسميتها الخاصة، فمثلا بعض المناطق تسمى ,,بووكه به بارانه,, اي عروس المطر، او(خيره به بارانه) اي الخير لاستنزال المطر وفي مناطق اخرى تسمى (كوسه به بارانه) جميع هذه المصطلحات تؤدي المعنى نفسه وتمارس من اجل هدف معين هو الاستسقاء.

ان ممارسة هذا الطقس تتم، بان تجتمع مجموعة من شبان احدى قراهم ويتنكر احدهم بملابس نسائية، باعتباره انه يمثل عروسا واخر هو (كوسه) يقوم بصبغ وجهه وتخطيط لحية وشارب على اوجههم وذلك باستعمال سخام القدور (هيس)، فان صبغ الوجه باللون الاسود يعني ان جميع اهل المنطقة تغيرت وجوههم وقلوبهم الى اللون الاسود، يطلبون من الله استنزال المطر عليهم ليغسل وجوههم وازالة السواد الذي حل في قلوبهم.

وتقوم مجموعة اخرى من الشبان ولا سيما الاقوياء منهم بصبغ وجوههم باللون نفسه حاملين معهم عصى ذات رأس كبير (كوته ك) يكلفون بحماية العروس وعندما يتهيأ الافراد

لممارسة الطقس وتوزيع النشاطات فيما بينهم يقومون بزيارة البيوت في قريتهم نفسها، حيث يتقدمون اليها طالبين من ساكنيها التضرع الى الله لازالة الحزن عنهم، اما نساء واطفال القرية فيقومون برش الماء عليهم دلالة على سقوط المطر وغسل السواد الذي ملأ وجوههم وقلوبهم. وهكذا يزورون جميع بيوت قريتهم والاطفال يركضون وراءهم ويرددون الاغنية التالية وهي عبارة عن دعاء يطلبون فيه من الـ (كوسة) استنزال المطر عليهم:

، ، كوسه به بارانمان ئه وى

ره حمه تي جارانمان ئه وى

وتفسير ذلك - كوسه - نريد منك مطرا وان تعيد الينا الرحمة السابقة.

بعد زيارة جميع بيوت القرية المجاورة يتوجهون للقرى المجاورة، وكلما اقتربوا من واحدة يخرج اليهم الشبان والاطفال ويستقبلونهم بالاغنية السابقة ويرشون عليهم الماء للسبب نفسه، وهو ازالة السواد الذي سبب هذا الحزن، ومن وقت لاخر يقوم مجموعة من شبان القرية التي حل بها الكوسة وجماعته بالهجوم على العروس لاختطافها واخذها عنوة، اعتقاد منهم ان سبب استنزال المطر هي - العروس - والهجوم عليها يعني جلب المطر والخير لهم ولقريتهم، ومن هنا تبدأ المعركة الرمزية بين الجماعة المكلفة بحماية العروس وشباب تلك القرية حيث يحاول كل طرف منهم ان يحصل على العروس يجلب المطر لقريته، ومن جانب اخر فانهم يتشاجرون فيما بينهم لكي يرثي الله لحالهم وينزل عليهم رحمته ويزيل حزنهم ويزيح سواد قلوبهم، ويخمد الشجار بسرعة لتنسحب الجماعة التي قامت بمهاجمة العروس - لا يجوز طرد الكوسة وجماعته من القرية في حالة نشوب المعركة بينهم ايمانا منهم ان سبب استنزال المطر هو دعاء هؤلاء -، وهكذا يزورون جميع بيوت قريتهم أو القرى الموجودة في المنطقة، وقد تستمر هذه الفعالية في بعض الاحيان ليلة كاملة، اذ تبدأ قبل غروب الشمس وتنتهي في ساعات متأخرة من الليل، لانهم في حالة انتقالهم من قرية لاخرى لا يستعملون وسيلة نقل بل يسيرون على الاقدام.

وفي بعض الاحيان يقوم وجهاء احدى القرى بتهيئة[1] نساءهم لاسيما القويات منهن بالاغارة على القرية التي تجاورهم كمحاولات اخذ حيواناتها من الابقار والاغنام وهذا ايضا، له علاقة بفكرة جلب المطر للقرية، فاذا ما ادركت نساء القرية المغار عليها، ذلك فانهن يقمن بحمايتها ومنع المغيرات من الدخول اليها، وهنا تبدأ المعركة بين نساء القريتين - وهي ايضا معركة رمزية تتعلق برجاء الرحمة ونزول المطر. - فاذا تمكنت النساء

المغيرات من تحقيق غاياتهن في سلب الحيوانات يقوم الوجيه باخذ واحدة منها واعادة البقية لاصحابها.

عندما يحل الصباح يقوم الـ , , كوسه , , وجماعته بزيارة القرى لجمع المساعدات من البيوت وكميتها تتوقف على الامكانيات المالية للعوائل، وهي عادة تتكون من (الحيوانات والدهن والرز والبرغل) وعندما تنتهي هذه العملية يقوم الكوسة وجماعته بجمع المساعدات مع الحيوانات التي سلبتها النساء في ساحة واسعة قريبة من احدى قراهم، وتقوم النساء بطبخ ما جمعوه ويسمى ذلك الطعام (نانى الكوسه) اي غداء الكوسه وعادة تدعى جميع البيوت الى ذلك المكان لتناول غداء الكوسه، وهنا يدعو الجميع الرب لاستنزال المطر عليهم لسقي اراضيهم.

* كوسه: هو الرجل الذي لا ينمو على وجهه الشعر. وفي هذا المجال هو الشخص الذي يصبغ وجهه بلون أسود ويشبه نفسه بالحمار حيث يقوم بشد زوج من (كيوة) - كلاش - على أذنيه تشبيها بأذان الحمار كما أنه يقلد الحمار في بعض تصرفاته، هذا لا يعني انه يحاول المشي على الاربع بل يقفز من مكان لاخر ويقوم بضرب الاطفال والرجال الذين يتبعونه برجله او يقلد صوت الحمار.

(١) تقوم النساء بتسليح انفسهن وذلك بحمل العصي ووضع قدور من النحاس على رؤوسهن لحماية انفسهن في حالة اصطدامهن بنساء القرية التي تغير عليهن

الموت
في الفولكلور الكردي

نهاد عبد الستار رشيد

اود ان اقدم للقاريء الكريم شيئا من الفولكلور الكردي الذي يحمل في طياته صفة البطولة والشجاعة والطرافة والذكاء ففي احدى القصائد الفولكلورية المسماة « ئايشه گول » تشجع الفتاة الكردية خطيبها قبل إحتدام الوغى وهي بهذا تماثل الشاعرة العربية البطلة الخنساء :ـ

ايها الفارس اذا كنت متاهبا للسفر نحو المعركة
تعال لاعطيك قلائدي الذهبية والتعاويذ المنقوشة على صفائح الذهب
وهاك اقراطي
ودع الصائغ يصوغ لك من هذا الذهب
قبعة حربية صلدة
وغمدا لسيفك وليرصع لك الخنجر بالذهب
ايها الفارس اذا تسلل الخوف الى قلبك يوم المعركة
واذا لم تصمد امام مائه وخمسون من رجال مهواليان(١)
ساحرم الحديث معك وسوف لن تنعم بي

وبعد سفر سعيد بيگ خطيب ئايشه گول وانخراطه في صفوف اخوانه الى ساحة المعركة ، تاتي اخبار استبساله في القتال حتى قتل اخيرا فانشدت خطيبته قائلة :

ايها الناس .. تعالوا لنجتمع هنا
لنبكي بحرقه لنتفجع هذا القتيل
هيا لنحمل جثة الفارس العربي (٢)
على عيدان الحراب
ودعوني اجلل جثته بضفائري المسترسلة
ولناخذه الى بير داود
ولكي لايقولوا ان هذا الفارس مجهول
قتيل في ارض العدو وغير معروف .

* * *

الهوامـــش

---

(١) اسم القبيلة المعادية

(٢) الفارس العربي لقب يطلق على من يتصف بالشجاعة في القتال .

تقاليد الزواج في تللسقف

قرياقوس حنا

١ ـ موقع القرية :

ان قرية تللسقف تبعد عن مدينة الموصل نحو ثلاثة وثلاثين كيلو متراً وتتصل بها بطريق معبد وحولها الاراضي الزراعية الخاصة باهالي القرية، لذا تقع في المنطقة المتموجة ولكن الاراضي جميعها صالحة للزراعة التي تقتصر على زراعة الحنطة والشعير والعدس بالدرجة الاولى ثم الحمص والباقلاء بالدرجة الثانية معتمدة على الامطار ، لذا تتفاوت كمية الحاصلات الزراعية حسب كثرة الامطار أو قلتها ، ولكن على العموم وفي السنوات التي تقل الامطار يحصل الفلاح على قوته وما يكفي للبذور • اما صيفاً فتكثر زراعة البطيخ الذي يرسل الى الموصل وحتى الى بغداد والى جنوبها مع انتشاره في الاماكن الاخرى ولكن لا يكون حسب ما تنتجه تللسقف كمية وجودة •

٢ ـ الديانة السائدة فيها

الديانة السائدة فيها هي المسيحية الكاثوليكية على الطقس الكلداني . وجميع السكان يدينون بها ويتكلمون اللغة الكلدانية الدارجة . وفيها نحو ستمائة بيت وكنيستان الاولى على اسم ماركوركيس وقد بنيت حديثاً والثانية على اسم مار يعقوب المقطع فيها هيكل واحد قد بني قبل اربعين سنة والآخر قديم لا يعرف تاريخ بنائه . وقربها دير قديم باسم دير افني ماران فيه حائط لا زال باقيا جعل مقبرة لاهالي القرية . وفيهـا كاهنان يتبعان لابرشية القوش .

٣ ـ الحياة الاقتصادية

يعتمد السكان على الزراعة ولكن قد انتشر اهالي القرية في المدن والقصبات طلباً للرزق فلا تخلو عائلة تقريبا ممن يشتغل فيها كموظف او عامل في القرية او في محلات اخرى وهذا ما ساعد على ازدهار الحياة الاقتصادية في الاونة الاخيرة حيث كانت مقتصرة قبل ثلاثين سنة او اكثر على الزراعة وبعض الصناعات المحلية فقط .

٤ ـ الصناعات الشعبية المهمة

كان سكان القرية سابقاً يعتمدون كما قلنا على الزراعة والصناعات المحلية التي بدأت تقل تدريجياً نظراً لزوال الحاجة اليها وازدياد المعامل والمصانع التي اسستها الدولة في الاونة الاخيرة حيث يتمكن العامل من الاشتغال فيها ويربح اكثر مما يربحه في هذه المهن . ولكن مع هذا لازالت بعض المهن يشتغل فيها قسم من السكان وهي :

١ ـ الحياكة :

لقد كانت هذه الصناعة منتشرة في القرية كثيراً لانه لما كنت صغيراً كانت جميع الملابس للرجال والنساء تصنع في القرية فكنت ترى كل عائلة تشتري لها ما يلزمها من القطن او لتبيع ما يزيد عن حاجتها وتقوم بحلجه وندفه وغزله ويقدم الى الحائك ليصنع منه الملابس فالرجال يلبسونه ابيض اما النساء فتصبغه بالاسود مع استعمال الاصواف التي تنتجها الحيوانات التي كانت تكثر في القرية . عدا البسط والعبي وغير ذلك . اما الان فجميع الملابس تشترى من الاسواق فيقوم الحائك بنسيج ازار لنساء بعمر الاربعين سنة واكثر لان من تقل عن هذا العمر لا تلبس الزي القديم وسوف ينقرض هذا الزي بعد مدة قصيرة .

٢ ـ الندافة :

وهذه الصناعة قد قلّت الحاجة اليها كما قلنا لان القطن والصوف لا يستعملان في صنع الملابس كما كانا سابقاً وكذلك قد قلت الحاجة الى الكچي .

٣ ـ عمل الفراوي :

وهذه الصنعة قد قلت الحاجة اليها فكان سابقاً كل من بلغ مبلـــغ الرجال لابد ان يكون له فروة اما الان فلا يلبسها الا الشيوخ وقسم مـن القرى المجاورة تأتي عندنا لشراء الفراوى او المندف او الحياكة .

٤ ـ عمل حباب الماء :

كانت نحو نصف العوائل في القرية تشتغل في صنع الحباب لان هذه الصناعة لم تكن موجودة الا في تللسقف فكانت القرى المجاورة ومدينـــة الموصل وما جاورها تعتمد على هذه القرية قبل انتشار الثلج والثلاجات فكانت تصنع الحباب على انواع والجرار والشربات . اما الان فقد قلت هذه الصناعة واصبحت بعض العوائل تشتغل بها حيث لازال اكثر الاهالي يستعملون الحباب مع القرى المجاورة وترسل الى الموصل ليشتريها من لا يصله الثلج ولكن هذه الحبوب لا تستبدل لانها لا نحتاجها في الصيف لوجود الثلج .

٥ ـ علاقة القرية بجيرانها من القرى

قرية تللسقف تبدو كقصبة بين جيرانها من القرى المجاورة نظـــراً لكثرة سكانها ولوجود الاسواق والدكاكين فيها التي لا يوجد لمثلهـــا في القرى المجاورة فمن الشرق تأتي قرية باقوفة واكثر اعتمادها على قريـــة تللسقف فليس فيها دكاكين ولا قصاب ولا مستوصف وهي قريبـــة جـداً فتشتري ما تحتاجه من هنا . ومن الشمال قرية دوغاة واسرجكا وطريقها الى الموصل يمر من هنا فيشترون ما يحتاجونه ويجلبـون ما يزيد عـــن حاجاتهم من الحيوانات وغير ذلك .

ومن الجنوب قرية باطنايا وتعتمد على تلكيف لانها اقرب اليهـا . اما في الغرب فتوجد قرية متارة وتعتمد على القوش . وقـــرى تلســـيق ومسقلاط وكرسحاق وغـيرها تعتمد على تللسقف وتلكيف ولـكن اكثر الاوقات يأتون للطحن عندنا ونحن بدورنا نعتمد على مدينة الموصل نشتري الاقمشة والسكر والشاي ومواد البناء وغيرها ونبيع لهـــا الحاصـــلات الزراعية والحيوانية . اما علاقاتنا مع الجيران فطيبة لا يحدث اي نـزاع بيننا الا ما ندر .

يعيش السكان بالفة ومحبة فلا تحدث حوادث مزعجة • يجتمع السكان في مقاهٍ وقد تأسس قبل سنة واحدة ناد للموظفين يجتمعون فيه عصراً وفي القرية مدرستان ابتدائيتان للبنين واخرى للبنات مع متوسطة مختلطه للبنين والبنات • وفيها مستوصف ودائرة بريد ربط فيها خط تلفوني في هذه السنة مع مخفر للشرطة • اما المدارس فابنيتها منتظمة • بنت الحكومة مدرسة البنات قبل سنتين وبنت القرية بعمل شعبي مدرستين وساعدت الحكومة بتكملتها لان ما جمع من القرية وما اشتغل الاهالي صيفا لم يكف لسد الحاجة لولم تساعد الدولة بنفقاتها وفي القرية مشروع للماء من نهر دجلة وكذلك انجز مشروع الكهرباء ونأمل ان يفتتح في بداية هذا العام • واهالي القرية مهتمون كثيرا في تثقيف اولادهم فلا ترى طفلاً واحدا بلغ من العمر ما يكفي لارساله الى المدرسة يجول الشوارع كما كانت الحالة قبل عشرين سنة او اكثر • ولهذا نرى كثرة عدد الموظفين من طبيب الى مهندس وغير ذلك من الوظائف الحكومية والاعمال المختلفة •

الزواج في تللسقف

يحكي الاولون ان لم يكن في قرية تللسقف مقاهٍ يجتمع فيها الرجال فكان قسم منهم يجتمع عند رئيس القرية ويشربون القهوة وهذا الرئيس اما ان يكون رئيس الكهنة او مختار القرية ويتحدثون بينهم عن امور القرية او عن الحوادث التي سمعوها او عن الحبوب وزراعتها واحوالها واسعارها • اما ليلاً فيذهب بعضهم عند بعض ويتسامرون بالحكايات ويجلسون حول مواقد النار شتاء • وكان الاختلاط بهذه الصورة كثيرا بين الشباب والشابات فاذا رأى احدهم بنتاً اعجبته يذهب عندهم مع رفاقه فاذا رأى اهل البنت ان هذا الشاب يليق بابنتهم يرحبون به وبرفاقه • اما اذا رأوا انه غيرمناسب يبينون له بأنه ليس له نصيب عندهمولا يهتمون به• وكان يجتمع في بيت واحد احيانا جماعتان او ثلاث او اكثر فيؤدي الى حدوث شجار بينهم اثناء الجلوس او عند خروجهم عند الدار فمن يكون غير مقتدر على خصمه اي يكون افراد عائلته اقل يترك تلك البنت ويبدا بالذهاب عند بيت غيرها • فاذا وافق أهل البنت باعطائها لشاب

ذهب الى داره وأخبر والـــده ووالـــدته وهـــؤلاء يســألون أقاربهـــم عن أهـــل البنت فاذا تبين انه ليس فـــي عشـــيرتها ما يشين تذهـــب الوالدة مع امرأتين او ثلاث الى دار البنت ويخطبونها لولدهم فاذا وافقوا يأتي الوالد مع جماعة من اقاربه ويدعو أهل البنت جماعة من اقاربهـم ايضاً ويبدأون بشرب العرق ويطلبون ان يبينوا لهم ما يريدونه من الجهاز اي الذهب والفضة والملابس وكانت الحاجيات الذهبية تقتصر على التراجي في الاذن وما يسمى عندنا فرنتي وهو عبارة عن عملة ذهبيـــة عثمانيـــة مكتوب عليها غازي او محمد رشاد وكان يقدم منه بين ســـتة وعشريـــن حسب امكانية والد العريس او حسب مكانة اهل العروس في المجتمع وهذه توضع في طاقية على حافتها بحيث تخرج ظاهرا على الجبين وما هو له حسب كثرتها وقلتها بينها ما يسمى (نطويا) وهو اطول يوضع بمنتصفها مقابل الانف وهي عبارة عن قشرة ذهبية فوق قطعة شمع يدخل بها خيط وبينها خرز من المرجان تربط بالطاقية من الجهتين وتنزل الى اسفل الحنـــــك وقلادة وهذه تكون كبيرة او صغيرة او تكون اثنتان حسب المقدرة وهـــذه تكون من قطع من عملة ذهبية عثمانية تتوسطها قطعة كبيرة تسمى انكلوزي وتكون عادة من عشرة قطع عدا الكبيرة . وكردانة وهذه تصاغ وهي على انواع مختلفة تتشابه تقريبا مع الكردانة الموجودة في الاسواق الان . اما القطع الفضية فتكون من سوار عريضـــة وتسمى (شيري) وهي نوعين تختلف صياغة الواحدة عن الاخرى بينها ما يسمى **(كوميالا)** وتكـــون كشكل الخلخال . وتخاط بالطاقية قطع من عملة فضية عثمانية بعد ان تثقب من طرف واحد وتسمى (**طاقية الدراهم**) بحيث اذا سارت البنت او رقصت يسمع لها صوت . ثم الخلخال وموضعه الرجل . ثم كمـــر ويكون من قطع فضية مصاغة تكون كحلقات عريضة يدخل الحزام ويشد بها كحزام . فبعد ما يتداولون بامرها فاذا رضي الطرفان واكتفوا مـــن الشـــرب يقول أحد المدعوين من قبـــل أهـــل البنت بأن يجلب العشـــاء لان العرق يجلبه اهل العريس ولا يجوز ان يقول المدعوون من قبله ذلك وشرب العرق كان بأن يوضع بفنجان له قاعدة كالذي يستعمل لشرب الدواء ويقوم شخص من اقارب الشاب ويعطي لكل واحد فمنهـــم مـــن يشربه كله ومنهم من يشرب قسماً منه وهكذا يعطي لكل واحد بدوره واذا اراد احدهم ان يكرم شخصاً امر الساقي ان يقدم له الفنجان ويقـــول السلام عليك وذاك الشخص لما يأتي دوره يقوم باكرام ذلك الشخص .

فيقدم العشاء حيث كان اما (كبة كبار) والتي تسمى كبة موصل وهـي شائعة الاستعمال عندنا منذ مدة طويلة • او كبب صغار في مـرق • او برغل مع مرق سماق توضع بها قطع لحم وكريات صغيرة من الجريش داخلها لحم • فاذا حصل الوفاق اكل الطرفان واذا لم يحصل قام اهل العريس بدون اكل واكل المدعوون من الطرف الاخر • وبعد ان يجهزوا الذهب والفضة في صباح يوم احد يذهب بعض الرجال الى بيت العروس وهؤلاء يدعون اقاربهم ويبدأون بشرب العرق وبعدهم تاتي النساء ومعهن الحاجيات الذهبية والفضية والجرزات وزبيب او قصب وكانوا يسمون الجرزات (جبب) اعني على قلتها توضع بالجيب والزبيب او العصـب اعني تضعه امرأة في ازارها الذي تلبسه وهن يغنين ومن الاغاني المفضلة كانت هناك اغنية معناها ان العروس هي ريحانة ولكن ليست ريحانـة والدها لانه يقال انهم كانوا يقولون سابقا عوض « **بانغ** » « **بابغ** » ، يعني والدك فغضب والد احدى البنات لهذه الاغنية فقلبت «بابغ» الى «بانغ»• وبعد ان يساعدوا العروس في ارتداء ملابسها يرجعون الى دورهم • ثـم يقوم العريس مع رفاقه ويأخذون معهم العرق ويذهبون الى بيت العروس ويشربون وياكلون (الجرزات) • وعند العصر تقدم ام العروس وتأخـذ معها جماعة يذهبون الى بيت العروس وقد هيات ديكاً بعد ان طبخته وقلته بالدهن وتضعه فوق صحن كبير من البرغل او الحبية اذ كان يندر سابقاً وجود الرز في القرية ويذهبون الى دار العروس ليقدموا لها عشاءها هذا• وبعد مغيب الشمس يذهب الشاب مع الرفاق ومعهم العرق ويشربـون ويتناولون العشاء •

واذا طالت مدة الخطوبة يقوم اهل الشاب بجلب جرزات كل يوم احد واذا صادف بينها عيد الميلاد او عيد القيامة يجلبون معهم كليجـة (حصة البنت) •

وفي مساء يوم سبت او قبله يدعو والد الشاب اقاربه وجيرانـه للذهاب الى والد العروس للمداولة بينهم حول مقدار المهر وقـد كان سابقاً كمية قليلة اي نحو عشر ليرات الى ثلاث ليرات ومنهم من يرمـي

كيساً فيه الليرات فيأخذ شخص يخوله والد البنت ذلك المقدار ويرجع الكيس ومابقي فيه الى الشخص الذي رماه ويعلنون عن الكمية وتهلهل النساء معلنات الفرحة .

قسم اخر يطلب من وكيل والد البنت ان يعلن عن الكميـــة التي يريدها وبعدئذ يطلب كل مدعو من قبل العروس ان ينقص كمية لخاطره حتى اذا وصلوا الى المقدار الذي يرتضون به وبعد ذلك يتناولون الشراب ثم العشاء .

اما اذا لم يصلوا الى اتفاق يقومون بدون عشـــاء . واذا حصـــل الاتفاق فقد كان البعض يأخذ العروس ليلاً نحو الساعة الواحدة تقريباً بعد المغرب وتجري حفلة البراخ (مباركة الكاهن للزواج) .

وكان البعض الاخر يجتمع صباحا فيذهب بعض الرجال في المقدمة ومعهم العرق الى بيت العريس والذين يدعوه بدورهم اقاربهم وجيرانهم للاحتفال .

وبعدهم يأتي الرجال وخلفهم النساء وهم يغنون ويرقصون ومعهم شخص يدق بالزرنة وآخر معه الطبل حتى اذا وصلوا الى البيت تدخل النساء فيساعدن العروس على ارتداء ملابسها ثم يخرجن وتركب العروس على الفرس يقودها شخص ويسير الموكب بغناء ورقص ويقف بين حـين وآخر ليجتمع الرجال والنساء ويكونوا حلقة رقص وفي وسطهم العازف على الزرنة والذي يدق الطبل . ويطوف الموكب حول القرية .

ثم تجري حفلة البراخ اما في بيت العريس او في الكنيسة ويخرج عازف الزرنة والطبل الى البيادر ويجتمع الرجال والنساء يرقصون معـا في حلقة تكبر او تصغر حسب مكانة العريس . اما في البيت فيعزمـون اهالي القرية والبعض يعزم اقاربه وجيرانه فقط والبعض يعزم جميـــع أهالي القرية في أربع فترات اثنتان يوم الاحد واثنتان يوم الاثنين حسب حالة أهل العريس . ويبدأ الرجـــال بالاغاني المختلفة والنساء بالهلاهل والاغاني . وكان للختن رفيق يعلمه ماذا يفعل وللبنت كذلك رفيقة تعلمها أيضاً .

وقد روى لي شخص قبل خمس وعشرين سنة وقد توفي الان وله من العمر تسعون سنة بانه تزوج ولم يعلمه احد فبقي مع زوجته نحـــو ثلاثة اشهر ينام عندها كأخ واخت حتى سالوه يوماً كيف رأى الـزواج فقال بانه لم ير شيئاً غريبا فضحكوا منه اعلموه بما يفعـل واكـــد لي جيرانه ذلك .

وفي فجر يوم الاثنين يأتي نحو ثلاثة اشخاص ويأخذون العروس الى دارها لان العرس يتحول هنا في اليوم الثالث وبعد الفطور يذهب العريس مع رفاقه ويدعو والده اقاربه ويذهبون الى دار والد العروس وهذا بدوره يدعو اقاربه وجيرانه ويبدأون بالشرب ثم الاكل وينصرفون. وعصراً يذهب الختن مع رفاقه الى ام العروس ويطلبون منها العرق ودجاجة او اكثر فاذا ادّت مطلبهم رضوا ، واذا لم تفعل اخذوا الختن وضربوه بالعصي على رجليه حتى تؤدي مطلبهم . ثم يأخذون العروس على دار العريس وهم يرقصون ويغنون والنساء يزغردن .

وعند دخول العروس الى دار العريس يصعد شخصان الى السطح وبيد احدهما رغيف خبز وبيد الاخر جرّه ويرمياها فوق راس العروس قبل دخولها مع مراعاة عدم اصابة احد .

تقاليد
الزواج في القوش

الياس مدالو

القوش

تقع في الشمال الشرقي من مدينة الموصل وتبعد عنها حوالي (٥٠) كيلو متراً سكانها نصارى كلدانيون يتكلمون اللغة الآرامية المسماة حالياً (اللغة الكلدانية) يبلغ عدد نفوسها حوالي (٦٠٠٠) ستةآلاف نسمة –

١ – فترة الخطوبة :

عندما كان يرغب احد الشبان في الزواج يلمح الى اصدقائه بذلك ويشيع بانه يريد الدخول الى الدير ليتخرط في سلك الرهبنة (يوجد بالقرب من القوش ديران : الاول يقع شرقي القوش ويبعد عنها نحو عشرين دقيقة سيراً على الاقدام ويسمى (دير السيدة) والآخر يقع في أحد الوديان الجبلية شمالي دير السيدة تماماً ويسمى (دير ربان هرمزد) ٠

عندما تصل الاشاعة الى اذني والدي الشاب فيبادران بالسؤال هل انت راغب في الزواج ؟ فطبعاً يكون الجواب بالايجاب : وعندئذ يبدأ الشاب بالبحث (ان لم يكن قد وجدها) عن فتاة لتصبح شريكة حياته وبعد مدة تطول او تقصر يختار البنت وهذه البنت اما ان تكون من الجيران او الاقارب او بنت الطرف او من محلة غير محلته ٠ فيكون اختيارها في ايام

الآحاد والاعياد بينما تكون الفتاة ذاهبة رفقة اهلها الى الكنيسة او عائدة منها ــ وفي الايام العادية الاخرى عندما تكون في طريقها الى نقل الماء (ماء الشرب) من العيون والآبار ــ وجدير بالملاحظة هنا بان الفتاة التي يختارها يجب ان تناسب مركزه الاجتماعي وحالته المالية ــ فتذهب والدته او اخته او احدى قريباته وتتصل بوالدة الفتاة او اختها او غيرها من قريباتهـــا وتفاتحها بالموضوع فيكون الجواب في هذه الحالة بالتريث والانتظار عدة أيام لاستخراج رأي والدها أو المسؤولين عن تربيتها (علماً بانه لم يكن للفتاة اي رأي بذلك سابقاً) فاذا كان الجواب ايجابيا فتبدأ مراسيم قطع المهر (المبلغ النقدي الواجب دفعه الى اهل الفتاة وبعض الهدايا والمـــواد العينية والمصوغات الفضية والذهبية وكانت في السابق جميعها من الفضة الا الاقراط فكانت من الذهب وخاتم أو خاتمين من الذهب رخيصة الثمن ــ فيعين يوم لذلك ويسمى يوم التسليم ٠٠٠٠٠فيذهب لفيف مـــن اقارب واصدقاء العائلة رجالاً ونساءاً وبعض وجوه المحلة للتأثير على اهل الفتاة اثناء المساومة على قطع المهر ــ ويقوم عندئذ اهل الفتاة بتحضير (المـــزة) واما المشروب وهو عادة العرق والشراب المصنوعان محلياً يكون على نفقة أهل الخطيب ــ وبعد ان تدار الكؤوس ويشربوا قليلاً تبدأ المساومة : تعرفون جيداً باننا جئناكم لاخباركم برغبتنا الشديدة في التشرف بقرابتكم وهي بان نخطب ابنتكم الفلانية الى ابننا الفلاني ــ فيجيـــب والد الفتـــاة او احد الحاضرين من اهل الفتاة والمخولين بالكلام : على الرحب والسعة مجيئكم وعلى العين والرأس قدومكم واهلاً ومرحباً بجميعكم : ولنا الشرف ان نصبح اقرباء : فحينئذ تبدأ المساومة حول مبلغ المهر والمواد الاخرى والمبلغ يزيد او ينقص حسب مركز عائلة الفتاة الاجتمـــاعي وحسنهـــا وجمالها ــ وحسب مركز الشاب الاجتماعي وثقافته وحالته المالية ــ

فمثلاً يتفق على مبلغ (٣٥٠) ديناراً فيسلم المبلغ الى والد الفتـــاة او الى احد الحاضرين المكلف باستلام المبلغ ــ ثـم تقديـــراً واحترامـــاً للحاضرين من جماعة الشاب يعاد قسم من هذا المبلغ ــ فاذا كان عددهـم خمسة اشخاص فيعاد تقديراً لكل منهم عشرة دنانير ويبقى من المبلغ المتفق عليه (٣٠٠) دينار وكذلك يتفق ايضاً بان يعاد مبلـغ (٥٠) دينـــارا كصبحية للعروس يوم الزواج ٠

ثم ياتي دور المواد العينية ــ كالرز ــ والدهن وغيرهـا والجهـــاز (الملابس) وبعض المصوغات الفضية وقليلاً منها من الذهب ــ وبعد الانتهاء من هذه المراسيم : يعين يوم للنيشان :

ملاحظة :

ان مبلـــغ المهر قد حـدد في الآونة الاخيرة من قبـل السـلطات الدينية وجعل (١٥٠) ديناراً فقط ــ

٢ – فترة النيشان :

بعد الانتهاء من كافة الاجراءات وتعيين يوم للنيشان : يخرج الجميع من دار الفتاة وهم يغنون ويصفقون – ويكون الغناء عادة باللغة المحلية الى ان يصلوا الى بيت الشاب وهذا اعلان بان خطوبة البنت الفلانية قد تمت على الشاب الفلاني – وفي اليوم المقرر للنيشان يجتمع اقارب الخطيب والخطيبة في دار الخطيبة ثم يتبادلان الحلقات او الخواتم بحضور الكاهن بعد ان يسأل الخطيبة هل توافقين وتقبلين الشاب الفلاني زوجاً لك (ويسميه باسمه) بدون اكراه او اي ضغط (خارجي) (الويل كل الويل للبنت التي يكون جوابها سلبياً او تظهر عدم الرضا) فتجيبه (نعم) وعندئذ يأخذ الحلقة او الخاتم من الخطيب ويسلمه الى الخطيبة وتلبسه في اصبعها – ثم يسأل الخطيب هل تقبل الشابة الفلانية (ويسميها باسمها) بان تكون زوجة لك فيجيبه (نعم) ثم يأخذ الحلقة من الخطيبة ويسلمها الى الخطيب ويضعها بدوره في اصبعه – وتنتهي مراسيم النيشان والعقد – ثم يخرج الخطيب مع جماعته من دار خطيبته بالغناء والرقص والتصفيق وزغردة النسوة الى ان يصلوا الى دار الخطيب ويبدأ المدعوون بتناول المشروبات والرقص (الدبكات) الى ساعة متأخرة من الليل .

٣ – الفترة – مابين النيشان والزفاف (البراخ)

قد تكون هذه الفترة طويلة او قصيرة وغالباً ما تكون شهراً أو شهرين وهي الفترة المطلوبة لتجهيز العروس ولاستعداد أهل الخطيب ليوم الزفاف .

٤ – الجيب :

في صباح كل يوم احد او عيد من هذه الفترة تدعو والدة العريس كافة النساء والبنات من الاقارب والجيران والاصدقاء ليرافقنها ويحملن الجيب الى العروس :

والجيب عبارة عن كمية من الكرزات والشكرات وبعض الفواكه المجففة – مثل التين والزبيب ويعمل خليط من هذه المواد – وتوزع في صحون وطباق على عدد المدعوات – وكل بنت او امرأة تحمل طبقاً من هذه المواد ويغطى بمنديل زاهي اللون – ويذهب الجميع الى دار العروس – والجميع يزغردن ويغنين اثناء الطريق ويستقبلن من قبل عائلة العروس بالهلاهل والزغاريد وتتقدمهن ام العرس وتقبل العروس ثم تتبعها الباقيات الواحدة تلو الأخرى ويقبلن العروس .

٥ – تكريم العروس :

في هذه الفترة – اي – الفترة بين النيشان والزفاف – تدعى العروس بالمناوبة الى دار الاقارب والاصدقاء والجيران – فيكرمنها بتقديم

بعض الهدايا – او يضعن في جيبها بعض النقود تتراوح بين الربـــع دينار ودينار واحد – واذا كان الوقت ظهراً – فيقدم لها غداء – غالباً ما يكون – بيض مقلي وفوقه عسل طبيعي ·

ملاحظة

(١) ان عادة ذهاب العروس الى البيوت قد اهملت في الآونة الأخيرة واقتصرت بان تقدم لها الهدايا من نقود وغيرها في دارها ·

(٢) اذا خرجت الخطيبة بعدمراسيم النيشان(العقد) لزيارة اقربائها وصديقاتها يجب ان تغطي رأسها ووجهها – بملاءة زاهيـــة الالوان – ولا يجوز ان تسير سافرة ·

٦ – طَشطواثا :

(الصحون الكبيرة) في يوم الاحد او العيد التالي ليوم النيشان يطبخ اهل العريس قدراً كبيرا من الدولمـة (ييرخ) ويوزع على عدة طشوت وهي اواني مسطحة وغالبا ما تكون مصنوعة من معدن النحاس والدولمـة عادة تكون ملفوفة بورق العنب المجفف اذا كان الفصل شتاءً وكل طشت يلف بقطعة من قماش ملون وتحمله فتاة غير متزوجة او امرأة متزوجة حديثـاً وتكون من اقارب العريس او اصدقاء العائلة أو الجـيران – والنســـوة يخرجن من بيت العريس بالهلاهل والزغاريد والاغاني الخاصة بمثـــل هذه المراسيم – ولدى دخولهن بيت العروس يستقبلهن اهل العروســـ كذلك بالأغاني والتصفيق مرحبين بهن ويجلسن جميعهن ويبدأن بالاكـــل سوية ·

٧ – تزويد بيت العروس بالحناء وكيفية نقله :

في عصر اليوم الذي يسبق بدء الاحتفالات تهيأ كمية مـــن الحنـاء لتزويد بيت العروس به لتخضيب يدها ويد قريباتها وصديقاتها – وذلك بان تدعى كافة المدعوات الى بيت العريس وعندما يكتمل حضورهن تحمل احدى النسوة اناء الحناء والمسيرة ايضا تكون على انغام الطبل والزرنايـة – مع الاغاني الشعبية – ولا يشترك في هذه العملية الرجال اذ تكـــون مقتصرة عادة على البنات والنساء المتزوجات حديثاً وممن تقل اعمارهم عن سن الزواج من الأولاد – ولدى وصول الموكب الى بيت العروس يســتقبل بالاغاني والتصفيق والزغاريد ·

ويعود الجميع الى بيت العريس بالتصفيق والغناء على انغام الطبل والزرناية كما في الذهاب

٨ – صَنْوَانا (ليلة الحناء) :

بعد العودة من بيت العروس تكون الشمـــس عادة قـد مالـــت الى

الغروب : تجري عملية تخضيب الايدي بالحناء في بيت العريس : اذ يدعى العزاب من الشبان من اقرباء العريس واصدقائه ويجلس الجميع على على احد السطوح اذا كان الفصل مناسباً – وتقوم بعملية الحناء والدة العريس او اخته او احدى اقرب المقربات اليه ممن تتقن الغناء في مثل هذه المناسبات – ويساعدها في ذلك ثلاثة اواربع نسوة اخريات – الواحدة ماسكة بيدها اناء الحناء والاخرى اناء به ماء والباقيات للمشاركة في الغناء اثناء عملية الحناء – وتبدأ عملية الحناء بالعريس ثم للمدعوين الواحد تلو الآخر مع تقديم اغنية مناسبة لكل شاب عند يده متمنين له خطيبة حلوة وزواجاً سعيدا باقرب وقت ، وبعد الانتهاء من تخضيب يد كل منهم ترمى قطعة او عدة قطع من النقود في الاناء الذي به الماء ٠

٩ – البراخ (مراسيم العقد)

كانت تجري هذه المراسيم في البيوت وعلى الاكثر في بيت العروس وكانت تجري ليلاً وبصورة سرية خوفاً من ربط الختن (العريس) اي منعه من القيام بعمله كزوج في الليلة الأولى والثانية والثالثة وربما تستمر اياماً واسابيع – وان هذه العادة تناقلها الآباء عن الاجداد وهي عادة (خرافية – وهمية) فمنعاً وتحاشيا لما قد يحدث للعريس من مثل هذه الظاهرة – فان النسوة اثناء اجراء المراسيم الدينية يأخذن بوخز الابر في ثياب العريس ليبطلن بذلك تأثير السحر الذي قد يمكن ان يقوم به بعض الاشخاص من الحاضرين وقفوا خارج محل اقامة المراسيم ولكنهم يسمعون صوت التراتيل : وذلك نكاية بالعريس لعداء سابق بينهم وبين عائلة العريس او للتكسب المادي ٠ اذ بعد ايام يرضون الشخص الذي يقوم بهذا العمل ببعض المال – اذ ان الاشخاص الذين كانوا يقومون بهذه الاعمال كانوا معروفين لدى اهل القرية – وغالباً ما كانت تحدث هذه الاعراض لبعض الناس ولكن لم تكن نتيجة تأثير خارجي كما كانوا يدعون بل انما كانت تحدث لان العروس كانت صغيرة العمر لا يزيد عمرها على الاثنتي عشرة سنة في غالب الاحيان – او ان يحدث للعريس حالة نفسية طارئة او لاسباب اخرى فسيولوجية – وبعد الانتهاء من مراسيم البراخ تبدأ النسوة كعادتهن بالاغاني والزغاريد ويذهب العريس وجماعته الى داره ٠

وفي صباح اليوم التالي تبدأ مراسيم العرس (الحفلة) وتدوم لمدة ثلاثة أيام – من الصباح الباكر الى غروب الشمس – والآلة الموسيقية المعتادة التي تستعمل طيلة مدة الحفلة هي الطبل والزرناية (المزمار) – والعازفون من الطائفة اليزيدية القاطنين في القرى المجاورة لألقوش ٠

١٠ – : (بثاخا دْدَرگا) فتح الباب :

يستيقظ مبكراً العازف على الزرناية ويصعد على سطح دار العريس ويأخذ بالعزف بينما يخيم السكون على القرية معلناً بذلك بدء الاحتفالات ويأخذ المدعون زرافات ووحداناً من رجال ونساء بالتوافد الى دار العريس وعندما يكتمل حضور كافة المدعوين والمدعوات – يبدأ الجميع بالخروج من دارالعريس تتقدمهم زمرة الموسيقى (الطبل والزرناية) ومن وراتهم العريس واشبينه (رفيق العريس) وبقية المدعوين من الرجال وتعقبهم النساء وهن يزغردن ويغنين بعض الاغاني باللغة الكلدانية (السريانية الشرقية) قاصدين دار العروس – يبدأ بعض الشبان من اصدقاء العريس واقاربه يرقصون امام الطبل والزرناية بصورة منفردة حاملين بايديهم الخناجر والمناديل وعند وصولهم دار العروس يجدون الباب الرئيسي مقفلاً وفي داخل الدار جماعة المدعوات من قبل اهل العروس ولا يفتح الباب الا بعد دفع ما يتفق عليه من نقود وعدة قناني من العرق وبعد ان يتم الاتفاق يفتح الباب وتخرج العروس ورأسها مغطى بملاءة زاهية الالوان ويواصل الجميع سيرهم للعودة الى بيت العريس – ويجدر بنا ان نذكر هنا بان العودة لا يجوز ان تكون من نفس الطريق الذي جاءوا منه – بل يعودون من طريق آخر – وعند الوصول الى بيت العريس يأخذ بعض الشبان والشابات برقص مختلف الرقصات (دبكات) سسكاني – وشيخاني – والرقص هنا يكون مختلطاً بين النساء والرجال (امرأة بيد رجل وهكذا) – قبل ان تدخل العروس الى مخدعها **(بگنوني)** – يقف شخص امام باب الغرفة التي ستدخل فيها العروس وبيده قلة مملوءة بالحلويات (كالقسب والزبيب والتين المجفف ومؤخراً استعمل التوفي والچوكليت وبعض الكرزات وبعض قطع النقود من فئات صغيرة وهذا يرمز بان تكون الحياة الزوجية حياة سعيدة وموفقة ومليئة بالافراح والمسرات – ويكون بيد نفس الرجل رغيف (خبز رقاق) وماسكا به فوق الباب – وقبل ان تدخل العروس باب الغرفة يعطى بيدها سكين كبيرة (شَـپـرا) لتضرب به الرغيف الرقيق وبنفس الوقت يكسر ذلك الرجل القلة فوق الباب – وبعده تدخل العروس الى مخدعها (**بگنوني**) – ورمز الخبز هو ان تكون العروس طيلة ايام حياتها مضيافة – اي ان تطعم الضيوف ويكون بيتها مفتوحاً لهم ·

وعندما تستقر العروس في المحل المخصص لها (**بگنوني**) يأتون بطفل صغير من عائلة العريس يتراوح عمره عادة بين الستة أشهر والسنتين ويضعونه في حضن العروس وهذه بدورها تضع في جيبه مبلغاً

يتراوح عادة بين الربع دينار والدينار : ووضع طفل (ذكر) في حضن العروس : فان : بان تنجب ذكوراً ٠

١١ – نقش وصبغ الباب الرئيسي للدار التي يسكنها العريس :

قبل بدء الاحتفال بثلاثة او اربعة ايام ينقش ويصبغ القسم العلوي من الباب (الحائط الذي يعلو الباب وعادة يكون شكل قوس بعد ان يبيض بالجص بالوان جذابة وباشكال ورموز بدائية كالورود والازهار – وبعض الشجيرات وهذه علامة من علامات الافراح وللاعلان عن ان احد ساكني الدار سيتزوج قريباً

١٢ – نقش البكنوني –

(وبالآرامية الفصحى (بيث كنونا) أي – خدر – أو مرقد العروسين) والبكنوني هي عبارة عن زاوية من زوايا الغرفة المتكونة من جداري الغرفة المتعامدين فتنقش بالاصباغ ويكتب في الجهة العليا من البكنوني في بعض الاحيان اسم العريس والعروس وتاريخ زواجهما – بعد ان يكون هذا الجزء قد بيض بالجص ان كانت الغرفة قديمة وتغير لون جدرانها – على الاكثر معظم الغرف في القرى كان لونها اسود من تأثير الدخان الذي كان يتصاعد من اشعال الخشب للتدفئة في ايام الشتاء –

١٣ – المأكولات التي تهيأ من قبل اهل العروس وتنقل الى بيت العريس

قبل ظهر كل يوم من أيام الاحتفال الثلاثة تهيأ في بيت العروس المأكولات التالية :

اليوم الاول : هريسة :

توزع في صحون كبيرة وتحمل من قبل النسوة بعد تغطية كل منها بقطعة قماش

اليوم الثاني[1] چرپر :

عبارة عن شوربة رز كثيفة توزع على الصحون ويصب فوق كل صحن حلو (دبس)

(٢) جميّلية :

عبارة عن ثريد من الخبز والدهن والدبس ويوزع على الصحون – وتنقل بنفس الطريقة التي نقلت بها الهريسة –

اليوم الثالث :

دولمة (يبرخ)

١٤ – (كپتوثا د·كالو) لقمة العروس –

بعد ظهر اليوم الاول من الاحتفال يهيأ في بيت العروس طشت كبير من الرز المطبوخ وكذلك يعمل عصيدة من دبس الزبيب ويعجن مع الطحين (الدقيق) الى ان يصبح كثيفاً جداً ٠ ويحمل هذا الطشت من قبل امرأة وتذهب به الى بيت العريس ترافقها النسوة والفتيات وعند وصولهن

الى بيت العريس يدخلن الى غرفة العروس بالهلاهل والزغاريد : وتتقدم امرأة من اقارب العروس وتعمل لقمة كبيرة من هذه العصيدة : وهي عصيدة ملفوفة بخبز رقيق بعد رشه بالماء : وتقدمه الى العروس : ثم توزع بقية العصيدة بنفس الطريقة على بقية الحاضرات وبذلك تشارك المدعوات العروس لقمتها .

١٥ ـ سِنِيدِثا وَمَطْرَحْتَا)

الوسادة والمندر ـ يهيا من قبل اهل العروس لابنتهم وسادة ومندر وتحملها بنت غير متزوجة وتسير برفقة النسوة اللواتي يحملن لقمة العرس وتقدم لها العروس بعض الهدايا ـ (المندر تستعمله العروس للجلوس عليه في الكنيسة لان الكنائس سابقاً لم تكن مزودة بالارائك وخاصة الكنائس القروية .

١٦ ـ (إيصارا دْسطرا)

شد الستارة ـ وتسمى باللغة الآرامية الفصحى (قْنطرَ گنونَ) ـ بعد انفضاض عقد المدعوين عند مغيب شمس اليوم الاول من الاحتفال ـ يأتي الكاهن ومعه بعض مساعديه لتلاوة بعض الادعية والصلوات بينما يكون العريس والعروس داخل بكنونهما (خدرهما) واقفين على ارجلهما وراء ستارة مصنوعة من القماش الملون ـ وتشد الستارة بين سطحين (جدارين) متعامدين في الغرفة علماً بان القسم العلوي منجسميهما يلون ظاهراً ـ بعد إن ينتهي الكاهن من اداء مهمته يخرج العروس والعريس من وراء الستارة ويجلسان مع بقية الاهل لتكميل مراسيم اليوم الاول من الاحتفال

يجدر بنا أن نذكر هنا بان الستارة تبقى مسدولة الى فجر اليوم التالي فالذي يستيقظ مبكراً منهما يحل الستارة فيدفع له الآخر (جعالة) رهناً اتفق عليه مسبقاً ـ وفي اغلب الاعيان يعطي العريس مجالاً لعروسه لتحل الستارة لتربح الرهان ـ وهذه طبعاً مجاملة لشريكة حياته .

١٧ ـ عَشَايَا دْبِثِرْ عشايي :

العشاء الذي يعقب الاعشية : او العشاء المتأخر : يؤتى بهذا العشاء بعد ان لا يبقى في دار العريس سوى أفراد العائلة .

تستمر عملية نقل العشاء المتأخر من بيت العروس الى بيت العريس مدة ثمانية ايام ابتداء من اليوم الاول للاحتفال

اليوم الاول :

ينقل العشاء من قبل خال العروس وزوجته : ويكون العشاء مكوناً : من كبة برغل (كبة موصل)

اليوم الثاني :

ينقل من قبل عمها وزوجته : ويكون العشاء : رز ودجاج

اليوم الثالث :

ينقل من قبل عمتها وزوجها : ويكون العشاء دولمة (يبرخ) وهكذا تستمر هذه العملية اي عملية نقل العشاء المتأخر لمدة ثمانية أيام ·

وفي الايام الخمسة الباقية ينقله بقية افراد عشيرة العروس بالتسلسل حسب درجة قرابتهم لاهلها ·

١٨ ـ الصبحية :

عبارة عن مبلغ نقدي يقدم الى العريس في اليوم الثاني من الاحتفال : بعد تقبيل الاكليل المشدود برأسه وهو عبارة عن قطعة حرير حمراء

اللون مطرزة : تشدبرأس العريس اثناء اجراءالمراسيم الدينية : والمصافحة اليدوية بعد تقديم التهاني والتبريكات والدعاء الى الله بان يجعل زواجه سعيداً وبالرفاه والبنين ـ المبلغ الذي كان يقدم سابقاً كان ضئيلاً جداً يتراوح بين الربع دينار والنصف دينار – واما الآن فيتراوح بين الدينار الواحد والخمسة دنانير : والغرض من هذه الصبحية عبارة عن مساعدة مادية لاهل العريس لما يتكلفونه من مصاريف ونفقات ·

١٩ ـ اختفاء العريس وذهاب العروس الى دار والدها ـ

في الصباح الباكر من اليوم الثالث للاحتفال يختفي العريس مع اشبينه في احد بيوت اقاربه او اصدقائه وبنفس الوقت تأتي امرأة من اقارب العروس لتأخذها الى دار والدها لتقضي النهار كله هناك ·

فيبدأ المدعوون بالبحث والتفتيش عن العريس وعن محل اختفائه فينتشرون في طرقات القرية وازقتها ويبثون العيون هنا وهناك مستفسرين من هذا وذاك بغية العثور على محل اختفائه فاذا اكتشف محل اختفائه يقتحمون الدار المختبىء بها ـ فعند ذلك يتحتم على العريس ان يقدم للذين وجدوه دجاجة او ديكاً وعدة قناني من العرق – ويخرج الجميع من تلك الدار بالاغاني والرقصات الانفرادية : بعد ان يكونوا قد حضروا فرقة الموسيقى (الطبل والزرناية) – ويعود الجميع الى دار العريس وتبدأ الرقصات الجماعية (الدبكات)

(ملاحظة)

ذهاب العروس في اليوم الثالث للزواج عند اهلها يسمى (شَيرعَلا)

قبل غروب الشمس بساعة أو ساعتين يخرج الجميع بما في ذلك فرقة الموسيقى (الطبل والزرناية) ويوجهون سيرهم نحو دار العروس لاعادتها الى دار الزوجية وتتبع في ذلك نفس الطرق والاساليب كما جرى في صباح اليوم الاول من الحفلة ولكن هـذه المرة لا يجدون الباب الرئيسي للدار مقفلاً بل مفتوحاً على مصراعيه وبعد العودة الى دار العريس تستمر الحفلة الى ما بعـد غروب الشمس بعدة ساعات ويذهب كل الى داره : وتنتهي الاحتفالات ·

٢٠ ـ ذهاب العروس الى دار والدها في اليوم التاسع للزواج :

في صباح اليوم التاسع للزواج وعادة يصادف يوم الاثنين تأتـي امرأة من اقارب العروس وتأخذها الى دار والدها لتقضي النهار كله عنـد اهلها ـ وعند عودتها مساء الى دار الزوجية تزود بسلة مملوءة بمختلـف الكرزات والحلويات ومغطاة بقطعة قماش جيدة لتعمل منها فستاناً لها ·

تقاليد اخرى

ـ أرايا دِتخونا دْداْوا ـ

(تهيئة الحنطة وتنظيفها لطحنها للعرس)

قبل بدء الاحتفال بالزواج بسبعة أيام تقريباً تهيأ الحنطة بتنظيفها من الشوائب وذلك لغرض طحنها وجعلها دقيقـاً لاجل خبزها ـ ويقوم بهـذه العملية النساء والبنات بالاغاني والزغاريد والتي تغنى عادة في مثل هذه المناسبات وبعد الانتهاء من تنظيف الحنطة تنقـل الى الرحى لطحنها وهي موجودة في قرية بنداوي والتي تبعد حوالي خمسة كيلومترات غربي القوش ـ وذلك لعدم وجود طواحين ميكانيكية سابقاً ـ واما الآن فتحطن بالطاحونة الميكانيكية الموجودة في القرية ·

ـ ايپايا دْلِخما دْداْوا ـ

تبدأ عملية الخبز بمدة مناسبة قبل بدء الاحتفال وتخبز القرصــــ (پتخانا) وتوزع قرصة واحدة على كل عائلة من المدعوين ـ والعائلة التي قدمت لها (قرصة خبز الزواج) تقدم بدورها غربالاً مليئاً بالحنطة وفوقها عدة رؤوس من البصل او مليئاً بالجريش (سمـنْدي گريسي) لتطبـــخ (خموصتا) أكلة تشبه الحامض كبة ـ ولكن الكَبّة في هذه الطبخة تكون كروية الشكل ـ وتوزيع القرص الى المدعوين يرمز الى شيئين :ـ

أولاً : لمشاركة العريس وأهله ـ الخبز والملح ·

ثانياً : كمساعدة عينية بما يجتمع عنده من الحنطة والجريش :

ملاحظة : تستقبل حاملة الغربال من قبل أهـل العريس بالهلاهل لدى دخولها دار العريس ·

حلاقة راس العريس :

بعد ظهر اليوم الذي يسبق الاحتفال تبدأ مراسيم حلق رأس العريس وذلك بدعوة كافة الشبان وعادة العزاب منهم ليحلقوا رؤوسهم وذقونهم هم أيضاً وذلك بان يدعى الحلاق الى دار العريس : ويبدأ الحلاق بحلق العريس أولاً ثم المدعوين وأثناء حلاقة العريس يرسل النسوة زغاريدهن وهلاهلهن ·

حمام العريس :

(مَصْخوني دْخِتنا) بعد الانتهاء من حلاقة كافة المدعوين يدخل العريس الى الحمام بينما يقف المدعوون من الشبان والبنات والنساء من اقربائه خارجاً ويأخذ الجميع بالغناء والهلاهل – ويخرج من الحمام وهو مرتدياً الملابس التي سوف يرتديها طيلة أيام الاحتفال ·

واما العروس فتهيأ للحفلة وتزين في بيت خالها ·

السنن الاجتماعية عند اليزيدية

ممتاز حسين سليمان خلو

الزواج

الزواج عند اليزيدية يبحث من ناحيتين :
من ناحية السنن ، ومن ناحية الاحكام.

فمن ناحية السنن

يتم الاتفاق بين الراغبين في الزواج في اغلب الاحيان ، وهو لا يخرج عن كونه اتفاقا شخصيا . بعد هذا الاتفاق يتقدم الاب لكي يخطب الفتاة التي يرغب ابنه الزواج منها . فاذا وافق والد الفتاة وامها يذهب والد الفتى مع كبار رجال القرية الى دار الفتاة ويذهب بعدهم مباشرة اقرباؤه واصدقاؤه يصحبهم الطبل والزرناي ويدبكون في دار الفتاة ثم يرجعون الى دار الفتى ويدبكون ويرقصون أيضا أما اذا عارض والد الفتاة أو امها ولم يوافقوا على الخطوبة فان الفتى يضطر ان يخطف الفتاة ويتزوجها وهذا الزواج هو زواج شرعي ثم يدفع المهر بعد ذلك والمهر محدد عند اليزيديين ففي منطقة سنجار لا يجوز ان يزيد عن (١٥٠) ديناراً مع بعض الهدايا التي تقدم الى الفتاة وكذلك الحال في قضاء الشيخان اما في بعشيقة وبحزاني فهو محدد ايضا ولا يزيد عن (١١٠) دنانير في أي حال من الاحوال ويشترط على الفتى ان يقدم ايضا هدية – وتكون عادة من الذهب – الى الفتاة .

بعد ان يدفع المهر يحق للفتى ان يتزوج خطيبته ويستعد لذلك وتقام الحفلات عادة سواء الرقص او الدبكة مع الطبل والزرناي وقد تقام هذه الحفلات قبل الزواج بيومين او ثلاثة وفي يوم الزواج يذهب المشاركون في الحفل الى دار الفتاة يصحبهم الطبل والزرناي والرقص ومن

ثم يرجعون ومعهم العروس الى دار الفتى (الختن) • وتستمر الحفلة عدة ايام ويقدم خلالها العرق وغيره من المشروبات •

أما من ناحية الاحكام

فيحق لليزيدي ان يتزوج ما طاب له من النساء مثنى ، وثلاث ورباع ، ولكن نادراً ما يتزوج اكثر من واحدة • ويحرم الزواج من زوجة اخيه او زوجة عمه او زوجة ابن عمه بعد موتهم • كذلك يحرم الزواج من اخت زوجته بعد طلاقها او موتها •

الزواج غالبا ما يكون من سن الخامسة عشرة فما فوق فقبل هذا تكون الفتاة صغيرة ونادرا ما تتزوج الفتاة قبل هذه السن •

والفتاة بعد زواجها لا ترث عن ابيها • ويحق للفتاة ان تبقى عانسا وتبقى في خدمة ابيها مدى الحياة ، واذا مات زوجها ترجع الى دار أبيها بعد فترة من الزمن اذا لم تلد له ولدا • وقد تبقى تعيش مع اطفالها وفي بعض الاحيان تترك اولادها بعد وفاة زوجها وتذهب الى دار ابيها ويحق لها الزواج ثانية ولا ترث زوجها المتوفى •

ولليزيدية في الزواج طبقات يتميزون بها ، فلا يجوز لابناء الشيوخ منهم ان يتزوجوا غير بنات الشيوخ ، كما انه لا يباح للعامة ان يخطبوا بنات الشيوخ او فتاة من طبقة البير •

اما الطلاق فنادرا ما يحدث عند اليزيدية ويحق لليزيدي ان يطلق زوجته اذا علم انها تقوم باعمال غير شريفة او بسبب اعمال اخرى تحدث بينهما

الختان

من السنن المتبعة عند اليزيدية الختان فهم يختنون اطفالهم كالمسلمين • ويكون الختان غالبا بين السنة الثالثة والسنة العاشرة من عمر الوليد • ويشتري ولي الولد الالبسة الفاخرة والاحذية وغيرها من الهدايا ويوزعها على معارفه واصدقائه ليشهدوا حفلة الختان • وقد يصحب زواج احد افراد العائلة ختان اولاد تلك العائلة والختان لا يكون يوم الزواج بل بعد الزواج بخمسة او سبعة ايام وتقام الحفلات والدبكات في كلا الحالتين ايضا ويقدم الى الضيوف العرق والمشروبات وخاصة بعد انتهاء الختان • وبعض اليزيدية يختنون اولادهم في احدى المستشفيات دون حفلة او غير ذلك من العادات • وفي اثناء الختان يتخذ في بعض الاحيان للولد (كريف) وهي من انبل عادات اليزيدية ويتخذ اليزيدي من معروفه او صديقه كريفا وذلك بان يضع طفله في حجره (اي حجر الكريف) اثناء ختانه ويصبح بذلك مؤاخيا له ويضحي الكريف او والد الفتى بحياته من اجل الاخر ويكون يده اليمنى في اوقات الشدة

والضيق ، وغالبا ما يكون الكريف (مسلما) اي من احد المسلمين وقد يكون يزيديا واذا كانت الكرافة بين يزيديين فقد يدخل الواحد في محرمات الاخر ولا يجوز لاحدهما ان يتزوج من عائلة الاخر ويكونان بمثابة أخوين

المحرمات عند اليزيدية

لليزيدية محرمات كما لبقية الاديان فيحرم اكل الخس واللهانة لان هذه الخضروات تسمد بعذرة الانسان . ويحرم على اليزيدي ايضا النظر الى وجه المرأة غير اليزيديه . ومداعبة المرأة التي حرمتها الشريعة عليه من جنسه ويحرم على اليزيدية ايضا ارتياد محلات الانس والطرب (الملاهي).

اما ما يذكره بعض الباحثين في معتقدات اليزيدية وعاداتهم من محرمات فهي مخالفة للواقع ويبالغون في ذلك اشد المبالغة ومنهم السيد عبدالرزاق الحسني في كتابه «اليزيديون في حاضرهم وماضيهم» يذكر تحت عنوان المحرمات في الصفحة ١٠٨ بانه يحرم على اليزيدي ان يتغيب عن بلده اكثر من سنة فاذا اضطر الى ذلك حرمت عليه زوجته . ولكن في الواقع هذه غير حقيقية فكثير من اليزيدية يتغيبون عن بلدتهم عدة سنوات ثم يرجعون دون ان تحرم عليهم زوجاتهم ، ويذكر ايضا انه لا يجوز لليزيدي ان يدخل مساجد المسلمين ولا مدارسهم الدينية ، ولا ان يرى المسلم يؤدي صلاته لا في هذه المساجد ولا في غيرها من مواضع العبادة . وهذه الفكرة ايضا خاطئة فمئات المرات دخلت بنفسي الى المساجد ويوميا اشاهد اخواني او اصدقائي يؤدون صلاتهم امامي كما اننا نسمح لاصدقائنا المسلمين باداء صلاتهم في بيوتنا الخاصة — ويذكر بعد ذلك انه لا يجوز لليزيدي ان يحلق عند غير اليزيدي ، ولا ان يبيع ملكه لغير يزيدي ..الخ وكل هذه الاشياء المذكورة لا يمكن تصديقها مطلقا وهي افكار غير حقيقية.

ويحرم على اليزيدية ايضا لحم الخنزير . اما بقية اللحوم مثل لحم السمك والدجاج ولحم الغزال فهي محللة كما جاء في العدد الحادي عشر لمجلة التراث الشعبي لسنة ١٩٧٢ وكما يذكره عبدالرزاق الحسني ايضا في كتابه آنف الذكر في الصفحة الثامنة بعد المائة .

الموت والجناز

لليزيدية وضع خاص في احتفالات الجنائز ، وتبدأ مراسيم الجنازة بالموت ، فاذا احتضر يزيدي حضره شيخه ، فيذيب الشيخ شيئا من تراب مرقد الشيخ عدي في قليل من الماء . ويشرع في صب قطرات من هذا الماء في فم المحتضر ورش قطرات اخرى على وجهه ، على نحو ما يفعله المسلمون، حالة احتضار موتاهم ، فاذا مات المحتضر سكب الشيخ الماء على جسده ويغسله غسلا دينيا ، ثم يذر على مقاديمه شيئا من التراب المذكور ، كما يذر المسلمون الكافور على مقاديم موتاهم ، ثم يربط راسه بمنديل أبيض، ثم يكفنه بقماش ابيض ، ويخاط الكفن عليه ويشد عند رقبته ، بعد ذلك

يرفع على عودين معمدين في ماء زمزم ، ويسار به الى مثواه الاخير ، يتقدمه قوالان ، يضرب احدهما على دفه بنغمات الحزن ، ويشاركه الاخر بشبابته (آلة للعزف الديني من نوع خاص وهي ما يطلق غالباً عليها الناي) بالنغمات ذاتها ، والمشيعون خلفه ، من الرجال وبعدهم النساء • وبعد الوصول الى المقبرة ينزل الميت الى قبره • وينصرف المشيعون الى دار الميت ليقدموا التعازي لاهله واقربائه • ولا يجوز نقل الميت من داره الى مثواه الاخير لا بعد غروب الشمس ولا قبل شروقها •

وتقع قبور الموتى بالقرب من المزارات المقدسة• وهيئة هذه القبور لا تختلف عن تلك التي لدى المسلمين •

ولا تنقطع مراسيم الجنازة عند دفن الميت • بل ان المناحة تستمر سبعة ايام متتاليات تذهب النساء مرتين في اليوم الى قبر الفقيد ، يتقدمهن الدف والشبابه •

الاعياد الدينية

عيد يزيد

وهو العيد الذي ياتي بعد الصوم مباشرة ويسمى عيد الصوم ايضا حيث يصوم اليزيديون ثلاثة ايام ، وتقع هذه الايام في يوم الثلاثاء والاربعاء والخميس التي تسبق أول جمعة من شهر كانون الاول الشرقي اقصر ايام السنة ، ويكون اليوم الرابع (الجمعة) عيداً عاما وتقام الولائم والافراح في هذا اليوم ويتبادلون اطيب التهاني والتبريكات ويحتسون الخمرة بافراط ايضا • ١

عيد الجماعية :

يبدأ هذا العيد يوم الثالث والعشرين من شهر ايلول الشرقي (٦ تشرين الاول الغربي) وينتهي في الثلاثين منه (١٣ تشرين الاول الغربي) ويذهب اليزيديون من مختلف المناطق الى مرقد الشيخ عدي وتجري مراسيم دينية (يطول شرحها هنا) خلال هذه الايام ثم يتفرقون عائدين الى محلات سكناهم •

عيد الاضحى (عيد الحج)

يقع في اول يوم من حلول عيد الاضحى عند المسلمين ، ويذهب رجال الدين الى مرقد الشيخ عدي • وهناك تجري المراسيم الدينية المتبعة، بعد ذلك ينصرفون الى ديارهم •

عيد راس السنة

تبدأ سنة اليزيدية في اول شهر نيسان الشرقي (١٤ نيسان الغربي) ويقع عيد السري صال (عيد رأس السنة) في يوم الاربعاء الاول من الشهر المذكور • وتقام الحفلات الدينية والمراسيم في هذا اليوم وتذهب النساء الى قبور الموتى ايضا •

تقاليد واعراف
من تكريت

سليم طه التكريتي

مع ان كل المدن والقصبات العراقية يسودها الكثير من العادات والتقاليد الاجتماعية الا ان لكل منطقة او مدينة تقاليدها واعرافها الخاصة بها ومناسباتها المميزة لها والتي يحس بها السكان في حياتهم اليومية الاعتيادية فهناك تقاليد للافراح واخرى للاحزان والالام

والملاحظ ان الكثير من الاعراف التي كانت تحتفظ بها سائر القوميات المختلفة في العراق منذ قرون عديدة قد زالت الان او اضمحلت الى درجة كبيرة وذلك نتيجة التطور الذي طرأ على المجتمع العراقي في السنين الاخيرة والتغييرات الكبيرة التي اصابت حياة الافراد تبعاً لتبدل اساليب العيش والثقافة والعمل وما شابه ذلك .

وتكريت ، وهي واحدة من اقدم مدن العراق قد حافظت على الكثير من التقاليد والعادات التي لازمت حياة سكانها في مختلف العصور . وبعض هذه التقاليد وان كانت قد ضعفت في الاونة الاخيرة الا انها ما تزال تحتفظ بالكثير من سماتها المميزة لها :

فمن التقاليد الباقية في تكريت بالنظر الى المناسبات المفرحة ، الحفلات الشعبية التي تعقد في مناسبات الزواج والختان وغيرها • ومع ان الشباب المتعلم قد تخلى الان عن هذه التقاليد الا ان البقية ما زالوا متمسكين بها •

فما ان تعلن خطوبة احدهم ويحدد موعد «الدخلة» حتى تعقد في بيته حلقات الرقص «الدبكة» التي تسبق زواجه بعدة ايام وهذه الحفلات تكون عادة على نوعين احدهما خاص بالشباب والاخر بالفتيات • ذلك ان اقارب العروسين واصدقاءهما وكل محبي الطرب والانس من ابناء المحلة التي ينتمي اليها العريس والمحال الاخرى ، ينتظمون في حفلات الرقص هذه ويرقصون على نغمات «المطبق» والناي والطبل • والوقت المفضل لعقد هذه الحفلات هو الفترة القائمة ما بعد صلاة الظهر حتى غروب الشمس •

ولا يكتفى احيانا بعقد حلقات «الدبكة» هذه وحدها بل تجري فيها لعبة «الساس» المعروفة ، وهي تسمى لدى اهل تكريت باسم لعبة «الدرگ» ـ بالكاف الاعجمية ـ جمع «درگة » وهي «الترس»

اما في الارياف المحيطة بتكريت فقد تقام الى جانب هذه الالعاب حلبات سباق الخيل كل ذلك ابتهاجا بهذه المناسبة السعيدة • وتطلق العيارات النارية اثناء حلقات الدبكة وغيرها ، ويتعاظم اطلاقها حين يزف العريس الى مخدع العروس

وقبل ان ينتشر خبر عقد القران وتعقد اولى حلقات الدبكة تطلق في بيت العريس عدة اطلاقات نارية متتالية وذلك اعلانا بعقد القران وايذانا ببدء حفلات الرقص والساس وما سواها

والمعتاد ان تستمر هذه الابتهاجات مدة ثلاثة ايام لكن كثيرا ما يحدث ان يطول امدها لاسبوع كامل

وفي «ليلة الدخلة» يزف العريس وسط اقاربه واصدقائه في موكب تتعالى فيه اصوات الطلقات النارية من كل جانب الى ان يدخل بيته حيث يتجمع كل الذين جاءوا معه في صحن الدار او في غرفة ثم ينتظرون خروجه بعد دخوله على عروسه حتى اذا ما انتهى من العملية خرج اليهم وفي يده منديل ملطخ بالدم واذ ذاك يبدأون بعناقه واحدا اثر واحد وينصرفون الى اهليهم •

وكذلك تعقد حلقات الدبكة والدرگ وغيرها في مناسبات ختان الاولاد وتستمر مدة ثلاثة أيام او اسبوع كامل ايضا •

وقبل ان تنتشر المدارس ويعم التعليم كان في تكريت ـ كما في غيرها من المدن الاخرى ـ تقليد الاحتفال باكمال احد الصبيان قراءة القرآن الكريم

فما ان يكمل الصبي قراءة القرآن حتى يستعد اهله وزملاؤه في اكتساب للاحتفال به فيرتدي احسن ملابسه ويضع مصحفاً على «رحلة» فوق رأسه ثم يسير هو وزملاؤه في الشوارع والطرقات وهم يرددون بعض الاغاني او الاناشيد الخاصة عند المناسبة ويعرف هذا الاحتفال باسم «الختمة» وقد انقرض هذا التقليد ولم يعد له من اثر قط في الوقت الحاضر وكان اخر موعد به على ما اتذكر اواخر سني العشرينات

* * *

ومن تقاليد الافراح ما يحدث في ايام عيدي الفطر والاضحى المباركين فبالاضافة الى خروج الاطفال والشباب ذكورا واناثاً الى مشهد «الاربعين» للزيارة والاستئناس تقام في صبيحة اليوم الاول من العيدين المذكورين ولائم في بيوت عديدة في كل محلة من محلات تكريت ويطلق على هذه الولائم اسم «العيدية» وذلك ان كل من يقصد صاحب البيت لتهنئته بالعيد لابد له ان يتناول الطعام هناك ويشرب القهوة ايضا حتى وان كان قد طاف ببيوت اخرى اقيمت فيها مثل هذه الولائم التي تبدأ في باكر الصباح وتستمر حتى الظهر ولا تزال عادة اقامة هذه الولائم موجودة الى الان وقد اتسعت أكثر مما كانت عليه قبلا نظراً لتحسن أحوال المعيشة وزيادة موارد الرزق وكذلك يجري السباق على ظهور الخيل والدواب في ايام العيدين الشهيرين الفطر والاضحى ايضا

ومما اعتاده الشباب في تكريت وظلوا متمسكين به حتى الى ما قبل ربع قرن من الزمن ، هروعهم الى نهر دجلة للسباحة فيه بعد صلاة العشاء من ليلة اليوم الاول من عيد الاضحى ويطلقون على هذه السباحة (**الاغتسال في ماء زمزم**) تيمنا ببئر زمزم في مكة المكرمة وكان هذا التقليد يطبق على نطاق واسع في السنوات التي يقع فيها عيد الاضحى في مواسم الصيف او اوائل الخريف واواخر الخريف

وكان الاحتفال بليلة «**المحية**» من التقاليد العريقة في تكريت وليلة المحية هي النصف من شهر شعبان وكلمة «محية» مأخوذة من «احيا الليل ساهرا» .

وكما يحدث حتى الان في بغداد وغيرها من المدن الاخرى يتجمع الشبان في الشوارع والساحات ويتبارون في اطلاق الالعاب النارية من امثال «الطرقات» ، والزنابير وعين الشمس وشخاط رحلو وما شاكل ذلك لكن شبان تكريت لا يدورون في الشوارع ليلاً مثلما يفعل شبان بغداد ذلك وانما يتجمع عدد كبير منهم للمبيت في بيت «الملا» اي صاحب الكتاب الذين

يدرسون فيه حيث يجلب كل واحد منهم فراشه معه ويقضون الليل ساهرين وهم يغنون او ينشدون بعضا الاناشيد الخاصة ، ويلعبون بعض الالعاب ، ويجتهدون في ان يظلوا يقظين حتى الصباح ذلك لان الاسطورة التي كانت شائعة لدى العوام ومازالت هي ان ابواب السماء تفتح على مصاريعها في تلك الليلة وان من يبقى يقظا ويشهد انفتاح ابواب السماء ويدعو الله بشيء آنذاك تستجاب دعوته وتقضى حاجته

* * *

وللمناسبات المؤلمة كالوفاة أو المرض تقاليدها ايضا فكما هو باق حتى الان في بغداد وغيرها بالنسبة الى الاصابة بمرض الحصبة ، يلف الطفل المصاب بقماش احمر اللون ويطاف به الشوارع ثم يذهب به الى «المجزرة» التي تعرف في تكريت باسم «قصابخانة»

اما في حادثة الوفاة فبعد الانتهاء من مراسيم التشييع والدفن وتوزيع الخيرات عن روح الميت وهي عادة تتكون من الخبز والتمر وبعض النقود ، يقام مجلس الفاتحة ويكون قيامه مستمرا من باكر الصباح حتى الساعة التاسعة او العاشرة ليلا ويستمر مجلس الفاتحة عادة مدة ثلاثة ايام وقد يمدد احيانا الى مدة اسبوع وتقدم فيه القهوة والسكاير ونجد موائد الطعام عند الظهر وبعد المغرب وذلك بخلاف ما هو جار الان في بغداد حيث لا يعقد مجلس الفاتحة الا مساء ولا يقدم الطعام فيه الا في اليوم الثالث من انعقاده و فضلا عن ذلك تتلى الصلوات من قبل عدد من القراء بعد الانتهاء من تلاوة القرآن الكريم كل مساء ويشترك في هذه الصلوات معظم الحاضرين في المجلس وتختتم بعد زهاء نصف ساعة بقراءة سورة الفاتحة . وكثيرا ما تقام عدة مجالس للفاتحة عن شخص واحد في نفس تكريت بالاضافة الى اقامتها في المدن التي يوجد للمتوفى فيها بعض الاقارب من امثال بغداد والشرقاط وبيجي والموصل

والمعتاد في تكريت ان يعين عدد من حفظة القرآن ، وكلهم من العميان، لقراءة القرآن على قبر الميت منذ الساعة التي يدفن فيها حتى صبيحة يوم الجمعة المقبل . ويشترك اكثر من ثلاثة او اربعة قراء في هذه القراءة وتنصب لهم خيمة فوق القبر اوعلى مقربة منهم ويرسل اهل الميت اليهم الطعام ويزودونهم بالقهوة وادواتها بالاضافة الى الاجور التي تدفع اليهم لقاء ذلك

وعند مرور اربعين يوما على الوفاة يتلى القرآن الكريم بكامله في مجلس يعقد في بيت اهل المتوفى ويحضره حفظة القرآن وغيرهم ممن

يجيدون قراءته حيث يطلب الى كل واحد من هؤلاء إن يقرأ «حزبا» مخصصا له من احزاب سور القرآن ، حتى اذا ما انتهى من اتمام تلاوة القرآن اختتم بالدعاء وبقراءة سورة الفاتحة ووزع على كل واحد من الحاضرين رغيفاً من الخبز وشيئاً من التمر لينصرف كل الى أهله بعد ذلك ٠ والمعتاد ان تكون القراءة في هذه «الختمة» سريعة وبلا صوت

ويحتفل بمرور السنة الاولى من الوفاة باقامة «المولود» اي قراءة قصة المولد النبوي الشريف وتلاوة القصائد والمدائح على دق الدفوف ٠ والقصة المفضلة للمولد النبوي هي قصة الشيخ البرزنجي الذي نظم قصة مولد النبي من اولها الى نهايتها باللغة العربية الفصحى وعلى روي واحد وقافية واحدة ٠ ويستمر هذا الحفل الى ساعة متأخرة من الليل تمد بعدها موائد الطعام المؤلفة من «الدولمة» و «الحلاوة» المصنوعة من السكر والرز

وكان يستغاض قبلا عن الرز بالبرغل لغلاء اسعاره وندرة وجوده ، كما يستعاض عن الحلاوة بنوع من المرق مصنوع من اللحم والزبيب والحمص يطلق عليه اسم «حامض حلو»

وكثيرا ما يعمد بعض اصحاب الطرق الصوفية الذين يحضرون مثل هذه «المواليد» الى ممارسة «المعجزات» المعروفة عنهم كضرب بطونهم بالخناجر والسيوف ، او حمل وعاء مليء بالجمر باسنانهم وما شابه ذلك من الخوارق

ويقيم اهل تكريت احيانا قبابا فوق قبور موتاهم تقوم على اركان اربعة وتكون جوانبها الاربعة مفتوحة حيث يخرج اهل المتوفى ، ولاسيما النساء منهم لزيارة القبر صبيحة كل يوم خميس او جمعة وفي اليوم الاول من عيدي الفطر والاضحى

* * *

هنالك اعراف لها مدلولها البارز في احداث الالفة بين المواطنين وزيادة التعاون فيما بينهم ، ومحاربة الفقر والعوز بطريقة عملية ٠

من هذه الاعراف توزيع الطعام في كل مساء على الجيران ويطلقون على ذلك اسم «الطعْمة» فكل بيت يطهو شيئا من الطعام يوزع قدرا منه على جيرانه ، كما يتلقى ذلك البيت ذاته «الطعمة» من جيران آخرين له ٠ وهكذا نجد الفقير والمعوز الذي لا يملك قوت يومه ولا عشاء له وقد توفر لديه اكثر من لون واحد من الوان الطعام في كل مساء ولهذا كان من النادر ان

نجد بيتا واحدا في تكريت مهما كان معوزا يخلو من الطعام في امسية من الاماسي ولا يقف توزيع الطعام عند هذا الحد بل يتعداه الى الفقراء والاغراب الذين يجدون مأواهم في المساجد حيث يرسل اليهم الطعام ومن انواع عديدة كل مساء

ومن تقاليد «التكارتة» الحميدة الباقية حتى اليوم ، توفير الطعام والمأوى لكل قاصد او عابر سبيل وذلك في الدواوين العديدة في البلدة ٠ ولا تزال تكريت حتى الوقت الحاضر من المدن الذي ينعدم فيها وجود مطعم او فندق ، لان ما يحتاج اليه الزائر او المسافر هو ودابته من طعام ومأوى يجده في هذه الدواوين التي سنفرد لها بحثا خاصا في عدد قادم من هذه المجلة ٠

ومن التقاليد الاخرى ايضا تقديم العون في كثير من المناسبات ومنها بناء البيوت ، وحصاد الزرع ، وزراعة الشواطىء وما شاكلها ٠ وتعرف المساعدة التي تقدم في مثل هذه المناسبات باسم «الفزعة» فما ان يعلن احد من ابناء المحلة عن نيته في بناء دار له حتى يهرع كل اولاد المحلة الى مساعدته في ذلك حيث يستمر العمل المجاني هذا عدة ايام على ان يهيء صاحب البناء طعام الفطور والغداء لعماله المتطوعين هؤلاء ومثل هذا يحدث ايام الحصاد ايضا وكذلك عند زراعة الشواطىء التي يطلق عليها اسم «شطية» وجمعها «شطيطى» باللهجة التكريتية ٠ و «الفزعة» في الشواطىء تبدأ حين يشرع بتسميد الزرع حيث تحفر الارض الملاصقة للشتلات الى ان يظهر الماء فيها وقد يكون عمق الحفرة أكثر من متر أحيانا ثم يؤتى بالسماد فتملأ به تلك الحفر ويطلق على هذه العملية اسم «التقوير» الذي يبدأ العمل به عصرا ويستمر طيلة الليل حتى صباح اليوم التالي ٠

واعتاد اهل تكريت وما زالوا حتى اليوم ، ان يستقبلوا الحجاج العائدين بالدفوف والاعلام والمدائح من المحطة في الايام التي كان الحجاج يستقلون فيها القطار من بغداد ، حتى بيوتهم ، وحين فضلت السيارات على القطار صار الاستقبال يجرى على مسافة عدة اميال خارج البلدة ٠ ويتبع هذا الاستقبال اقامة «المواليد » في بيوت الحجاج لقراءة المنقبة النبوية والقصائد والمدائح ٠

كذلك اعتاد اهل تكريت في السنين التي كان المطر ينحبس فيها ان يقوموا بعملية الاستسقاء حيث يتجمع عدد كبير من «الملالي» واصحاب الطرق الصوفية بعد اداء صلاة الجمعة مع جمهور غفير من الرجال والفتيان فيخرجون في شكل تظاهرة شعبية الى خارج البلدة وهم يقرعون الدفوف

وينشدون قصائد التضرع الى الله بان ينزل عليهم رحمته من المطر ويستمر الموكب في سيره هذا حتى يبلغ مزار الاربعين وبعد ان تصلي في المزار صلاة خاصة بالاستسقاء يعود الجميع من حيث اتوا • وقد ضعفت هذه العادة في السنوات الاخيرة كثيرا حتى انقرضت مثل غيرها من العادات والتقاليد الاخرى •

واذا اضاع احدهم حاجة او سرق منه شيء يستخدم احد «المنادين» ليجول هذا في شوارع البلدة وليعلن عن نوع الحاجة المفقودة او المسروقة وعن اصحابها ويطلب الى كل من له علم بها ان يدله عليها او يخبر اصحابها عنها

وكثيرا ما يحمل هذا المنادي مصحفا على كتفه ، وذلك ليكون وقعه شديدا على سامعي النداء ، فيسير في الدروب وهو ينادي قائلاً :

هذا الدين فيقاه رب العالمين • عالشافت عينو ، عالسمعت اذنو ، عالعندو علم بيت «فلان» انصفقت منو صفغية مبيضة يدتها مفطيغة اللي يغدها او يخبغ عنّا لونو الاجر والثواب ومعنى هذا النداء هو « ان هذا هو الدين ، اي القرآن الكريم ، فوقه رب العالمين فمن رأت عينه ومن سمعت اذنه ومن له علم فليعلم بان بيت فلان قد سرقت منه مشربة نحاسية مطلية ويدها مكسورة فمن يردها او يخبر عنها له الاجر والثواب »

ومن تقاليد التكارتة الباقية حتى الان توزيع جزء من حاصلات الشواطيء على الاقارب والاصدقاء وتكون الكميات الموزعة من هذا الحاصل تبعا لكثرته وجودته • وبالاضافة الى ذلك اعتاد صبيان تكريت حين تجنى ثمار الشواطيء وذلك في اواخر شهر تشرين الاول وتعرف عملية الجني هذه باسم «التشرقط» اعتاد هؤلاء الصبيان ان يقفوا في تقاطع الطرق التي يمر بها الاشخاص الذين ينقلون الحاصل ويخاطبونهم بكلمة «الحديّة» ــ بتشديد الياء ــ فيعمد كل واحد من الناقلين الى توزيع شيء من الرقي والبطيخ على اولئك الصبيان

كذلك يتم توزيع جزء مما يجلبه الناس القادمون من سفر من مأكولات كالحلويات وما شاكلها على الجيران ايضا وتعرف هذه باسم «الصوغة» • كما يوزع اهل المتوفى كميات من اول ثمر جديد ينزل الى السوق على الجيران وغيرهم ومن التقاليد التكريتية التي لا تزال بقية منها حتى اليوم «صوم الخرساني » الذي تصومه الفتيات والذي يعرف في بغداد باسم «صوم البنات » حيث يعمد عدد كبير من الفتيات الى صيام يوم اول «احد» من شهر

رجب المبارك وعدم النطق ولو بكلمة واحدة طيلة اليوم ولهذا سمي ذلـــك (صوم الخرساني) اي «الاخرس» الذي لا يتحدث الا بالاشارات

وكما كان يجري في بغداد قبلا في الايام التي يحدث فيها خسوف القمر او كسوف الشمس ، كان الناس يضربون الطبول والاواني النحاسية والمعدنية الاخرى فوق السطوح ، او يطلقون الاطلاقات الناريـــة احيانـا بالاضافة الى الاذان والتكبير في المســاجد الى ان يضربوا الطبول والاواني النحاسية والمعدنية الاخرى فوق السطوح ، او يطلقون الاطلاقات الناريـة احيانا بالاضافة الى الاذان والتكبير في المساجد الى ان يزول الكســـوف او او الخسوف

واعتاد كثير من اهالي تكريت في الايام التي لم يكن العلاج معروفـا او متوفرا فيها ان يأخذوا المصاب بالتهاب في عينيه الى احفاد «حسين النجم» صاحب القصة الشهيرة مع «السعلاة» في تكريت ليعالج ذلك الالتهاب بتفلة من فم احدى الحفيدات او الاحفاد .

تقاليد
الفرح والحزن في سامراء

عبد الجبار محمود السامرائي

عندما يريد شاب أن يتزوج فتاة ، يرسل امه أو اخواتـــه الى بيت الشابة التي يروم الزواج منها لأجراء مشاورات معها ومع والدتها بصـــدد الموافقة • ومن أولى مهمات الام واخوات الخاطب فحص الفتاة من قمة رأسها حتى أخمص قدميها بغية الوقوف على درجة جمالها ونقاوتها من كل عاهة أو عيب جسماني •

وبعد أن ترضى الأم واخوات الشاب على الشابة •• يخبرن بدورهن الشاب بأنها جميلة وحلوة ••• ثم بعد ذلك تتخذ الترتيبات لمفاتحة ولــي أمرها •• وتلعب أم الفتاة الدور الرئيس والفعال في المسألة •

وعندما يوافق ولي أمر الفتاة •• يقوم الشاب بتهيئة جماعة مـــن أقاربه البارزين ثم يذهبون الى دار الخطيبة •• وعندما يقدم لهم الطعام•• ثم يبدأ أوان الحوار •• والاتفاق على مقدار الصداق (المهر) واذا ما طلـب ولي الامر مهرا غالياً •• يطلب منه الحضور أن يتنازل لكل واحـد منهـم عن مبلغ من المال •• فمثلاً يقول له (زيد) : وكم تتنازل لخاطري ؟ فيجيبه ولي الأمر عشرة دنانير ، ويعقبه (عمرو) وكم تتنازل لخاطري أنا الآخـــر؟ فيجيبه (عشرة دنانير) ••• وهكذا ••• حتى يبرم الاتفاق على الصـداق ويأخذ صيغته النهائية •• ويحدد المهر الغائب (المتأخر)•

وقبل عملية (الصياغة) جرت العادة أن يجلب للشابة خاتم الخطوبة (الدبلة) لتلبسه في يدها اليمنى مع (صوغة) دسمة .. ويجرى بعد ذلك حفل نسوي في بيت الشابة تحضره صديقاتها المهنئات .

وحينما يتم عقد القران في دار الفتاة توزع الحلوى و(الشربت) وتعلو زغاريد النسوة وتقام حفلة للعروسة تغني فيها الفتيات ويرقصن رقصات الفرح .

وحيث يقوم اهل الشاب بأعداد ملابس الزواج (جهاز العروس) يقوم اهل الفتاة بشراء المصوغات الذهبية للعروس .. وبعد الانتهاء من هذه الترتيبات يحدد موعد الزواج .

وفي يوم الزواج الذي غالباً ما يكون ليلة الخميس على الجمعة او ليلة الاثنين ... يقوم اهل العريس باعداد الوليمة للاصدقاء والاقارب فيدعون اليها هؤلاء لمشاركتهم الافراح .

والشائع في سامراء اقامة حلقات الدبكة المعروفة بـ (**الچوبي**) في الريف ونصب (**الحوفة**) اي غرفة الزواج التي تُبتنى من قبل الـزوج عـادة على مقربة من الدار .. حيث يجتمع المحتفلون بالقرب منها يرقصون ويغنون على ايقاع نغمات (**المطبج**) ولهم في ذلك أغانٍ شجية عذبة حلوة .

اما النساء فيقمن بعملية صبغ يدي العروسة بالحناء في (ليلة الحنة) التي تسبق ليلة الزواج بعد خروجها من الحمّام . ويرافق هذه الليلـة حلقات من اغاني البنات الشعبية .

وعندما تأتي ليلة الزفاف يقوم اصدقاء العريس واقـرباؤه وذووه بزفافه .. وجرت العادة ان يختفي العريس عن الانظار .. ثم يبحثـون عنه وحينما يجدونه يذهبون به الى الامام علي الهادي (رض) ليقومـوا بتزويره .. ثم بعد عودتهم به من الزيارة يحملون معهم المشاعل وهـم يهزجون (**مبارك عرسك ياخونة**) ... الى أن يصلوا به الدار ..حيـث يمسكونه عن اليمين وعن الشمال وسط هدير اطلاق العيارات النارية في الجو تعبيراً عن الفرحة الغامرة .. وهم يهزجون مختلف الأغنيات الشعبية والهوسات التي منها (**شايف خير ومستاهلها**) و (**صفن يالبيض شهود إلنا**) و(**لو هلهلتي هلهلنالج**) ... الخ من الاهازيج الشعبية الطريفـة .. وعندما يقترب الموكب من باب غرفة الزواج حيث يتم زفاف العريـس تبدأ بعضـ العمليات الخبيثة التي يقوم بها اصدقاء العريـس مـن العزاب والمتزوجين ، ومنها عمليات (القرص) والنتش وما اليها ... وحين يدخل العريس عتبة عش الزوجية جرت العادة ان يضعوا تحت قدميـه خنجراً دلالة على منع الشيطان من الدخول الى العش ، لان الشيطان يخشى المواد الجارحة .

وعندما يدخل العريس الى الغرفة يجد العروسة عنده بانتظاره ومعها جمهرة من النساء اللواتي يخرجن ولا تبقى منهن سوى امرأة صبوحة الوجه ، فالعادة والتقليد يقضيان أن تكون هذه الامرأة حنوة لتنظر كي تقوم بمماسكة العريس والعروسة اليدين ومن ثم تخرج الى حال سبيلها وتغلق الباب على العريسين .. بينما تقوم العروس بمحاولة سبق زوجها بوضع قدمها على قدمه اعتقاداً منها بالسيطرة عليه بعد الزواج .

وبعد فترة وجيزة من دخول العريس على العريسة أي بعد التماسك بالايدي جرت العادة ان يخرج الى اصدقائه ورفاقه لكي يصافحهم ويشكرهم على حضورهم حفل زواجه ثم يعود الى فتاة احلامه .. ويرجع المحتفلون الى بيوتهم ليحضروا له الهدايا في اليوم التالي .

وفي الصباح الاول للزواج يتقاطر الناس على بيت العريس حاملين معهم الهدايا منها (صواني الشكرلمه) ومنها (الخرفان) ومنها (الحلويات) و (الفرفوريات) وغيرها من الهدايا العينية والرمزية .. وهناك هدية مالية يقوم العريس باعطائها للعريسة تسمى (الصبحية) كما تقوم أم العريس ووالده أيضاً باعطاء العروسة هدايا مالية اي الصبحية .

ومن تقاليد النساء اللواتي يأتين لتهنئة العروسة وضع غلام من الاطفال في حضنها لاعتقادهن بأن وضع الغلام دلالة على انها ستحمل غلاماً! فالغلام مفضل على البنت .

هذه ابرز تقاليد وعادات الزواج في سامراء .. سواء في المدينة أو في الريف.. ولا تكاد تختلف الا في بعض الاشياء الطفيفة الا انها لا تختلف من حيث الجوهر ... ولعل النقطة الوحيدة التي نستطيع أن نعتبرها فرقاً بيناً ، هو أن اهل المدينة يجلبون الحاكم الى بيت العروسة لتصديق المهر ، اما في الريف فالجاري أن (الملا) هو الذي يتولى عقد القران وكفى.. ثم يتم الزواج على مهر الملا .. ويسمى (مهر العرب) .

الوفـــاة

عندما يموت شخص ما يجرى تشييعه ودفنه وتوديعه وفق طقوس دينية وعادات وتقاليد خاصة نذكرها هنا بشيء من الايجاز :

اذا كان الفقيد شاباً أو وجيهاً أو ذا مركز مرموق في البلدة اوالعشيرة تجري له مراسيم توديعيه معينة .. تليق بمقامه ومنزلته بين المجتمع. حيث يُحمل في نعش (تابوت) من بيته الى المسجد الجامع ، ، حيث تقام صلاة الميت على روحه .. وبعدها يتجهون به الى حضرة الامام علي الهادي وحسن العسكري في سامراء ليزوّرونه .

بعد الانتهاء من الزيارة يخرجون بالنعش متجهين صوب المقبرة حيث يوارى فيها التراب ... بينما تتهافت الناس وتتسابق لحمل جزء من

اقسام التابوت .. مرددين كلمة العزاء (لا اله الا الله ....) وعيون الناس مخضلة بالدموع .. وهناك عن يمين النعش وعن شماله زيد وعمرو من اقاربه واصدقائه وخلانه يصبون جام غضبهم على وجوههم ورؤوسهم وهم يبكون ويخمشون وجوههم .. فيما تتعالى اصوات العيارات النارية متتابعة لتشق عنان السماء .. ويختلط دوي النواح بأزيز الرصاص .. فيما تترى الاهازيج والهوسات من افواه المشيعين ساردة مآثر وخلال وفضائل الفقيد الراحل .

وعندما يصل النعش الى المقبرة يوضع الميت مسجى باتجاه القبلة (الكعبة) ثم يقوم (الملا) بتلاوة القرآن على مقربة من رأسه .

وبعد الانتهاء من الحفرة ينهض الرجال لمواراته بالتراب .. حيث يتوسطهم (الملا) بتلاوة بعض الطقوس الدينية المعروفة ثم يدفن الفقيد.. وتوزع على قبره الدراهم والنقود كرامة لروحه وثواباً له .. وبعد هذا يرجع الناس الى بيوتهم بينما يذهب اهل الفقيد الى دارهم ليعدوا مجلس الفاتحة التي تنصب لمدة ثلاثة ايام او سبعة أيام بلياليها حيث تقام مآدب الطعام وتوزع القهوة والسجائر .

والى جانب مجلس الفاتحة الذي يقيمه الرجال ، فان النساء يقمن هن الأخريات بالمناحة والتعديد والنعي وشق الجيوب والخدود وجز الشعر .. وغير ذلك من المظاهر المؤلمة .

ومن عادتهن استكراء (عدّادة) مختصة بفن التعديد .. حيث تقف هذه العدادة بينهن مرددة اشعاراً حزينة بكآبة تقطع نياط القلب .. وحيث بدأ التعديد واللطم واللدم تمنطقت النساء بأنطقة .. وجعلن يرددن اللازمة مع العدادة .. وتبلغ بهن درجة الهوس الى (صفق) اليدين الى الأعلى وابراز بعض ممارسات الرقص الحزائني الخاص حيث يرفعن اجسامهن ويلوحن بـ (الأفواط) ذات اليمين وذات الشمال .. ويطلقن (الزغاريد) والهلاهل مع الرقص الحزائني ، ويطلقن الضحكات أيضاً . . وبمعنى آخر اقامة (عرس) للفقيد .. اذا كان شاباً .. حيث يحملن صورته ويقمن له العرس ان لم يكن من المتزوجين بعد !!

وحينما يأخذ التعب والارهاق من النساء اللاطمات مأخذه .. يسقطن على الارض وقد اغمي على بعضهن .. من شدة الاعياء ! وتنام هؤلاء المسكينات على الأرض بلا فراش ، وتستمر هذه الحالة حتى انتهاء (الجاينة) .

وجرت العادة لدى النسوة اقامة حلقات النعي ، حيث تقوم (الناعية) باطلاق تعابير شعرية حزينة وفق قواعد خاصة بالنعي مصحوبة بولالات وتشنجات على وتيرة واحدة .. والنساء يضعن (الخمار) على وجوههن حتى يتنقع من الدموع .

واللباس او الزي للنساء عند الجاينة هو السواد فقط ، ولا يحق لأية امرأة تاتي للتعزية وهي ترتدي ثوباً ليس اسود ٠٠ كما لا يحق لها ان تاتي الى العزاء وهي حاوية في جيدها قلادة أو يحيط باصبعها (محبس) أو يحيط يدها (سوار) ٠

ومن تقاليد النسوة بعد وفاة فقيدلهن ، عمل (حلاوة) من التمر ، تعجن بالدهن والطحين ، ويوزعنها على الاطفال فقط ، شريطة ان لا تأكل النساء منها ، كما يوزعن الكعك والشوكلاته والحلويات على الاطفال أيضاً ، معتقدات بأن الفقير الشاب سوف لن يذهب الى الحياة الآخرة وفي نفسه لهفة الى هذه الاشياء كان قد حرم منها في دنياه !

ومن عادة ذوي الفقيد البقاء ملتحين بلا حلاقة لوجوههم ، مدة سبعة أيام ٠٠ وهنا جرى العرف بأن يتبرع احد اقاربهم بالذهاب بهم الى الحلاق لحلاقة شعرهم ٠٠ والمعروف ان غزارة شعر الذقن تدل على الاسى والحزن والكآبة ٠

وبعد مضي مدة سبعة أيام على وفاة الفقيد أيضاً ، جرت العادة أن يقوم اهله بعمل طعام وتوزيعه على الفقراء طلباً للثواب من الله تعالى للفقيد الراحل ٠

وبعد مضي مدة اربعين يوماً على الوفاة او اكثر ، جرت العادة إقامة (المولد النبوي) حيث تتم قراءة المنقبة النبوية الشريفة في المولود بالاضافة الى ترديد الاغاني الدينية الحزينة التي تسمى (الفراقيات) المثيرة للعواطف والمؤججة لها ، ويدعى هذا المولود بـ (مولود الحزن) ٠

اما في الاعياد ، فالجاري من التقاليد ، ذهاب اهل الفقيد من الرجال الى ضريحه لمعايدته وزيارته والبكاء عليه ونثر الدراهم أو غيرهما على قبره طلباً للمثوبة له ٠

كما اعتادت النساء الذهاب اول يوم العيد منذ الصباح الباكر وعند الفجر الى الضريح معتقدات بأن الميت يراهن اذا ما ذهبن وقت الفجر ، حيث تنصب (المعادة) وتشتغل (الجاينة) حتى الظهر ٠

ولهن عادة أيضاً ، تعليق صورة المرحوم وتزيينها وإيقاد الشموع وحرق البخور وبث اكاليل الزهور على اركان القبر ٠٠ اكراماً للفقيد العزيز ٠

هذه إضمامة من عادات وتقاليد مدينة سامراء في افراح أهلها وأتراحهم ٠٠ كان الفضل الأول والاخير لوالدتي في تدوين تقاليد الأتراح ٠٠٠ في سامراء على الأخص ٠

عادات وتقاليد الزواج في الكاظمية

مهدي حمودي الانصاري

كانت عادات وتقاليد «الزواج» في الثلاثينات والاربعينات حافلة بالطريف الشائق «وكانت لهذه العادات والتقاليد ، أيام مشهودة ومشهورة تملا المجالس الشعبية غناءً وطرباً حتى الصباح ، وتصطخب – الصفكات – والردات – الحلوة – الساذجة في قلوب طيبة ساذجة عن اغان وعادات – ذاب اكثرها – وكانت عادات متدفقة ثرة بين دنيا الناس ايا مذاك .

وكانت مواكب زفاف العريس بهيجة مرحة تسعد هؤلاء الناس وتعمر قلوبهم في سويعات نشوى بسماع «المربعات وسط الهلاهل والصفكات» وقد ذهب احد الكتاب الفولكلوريين «الى انه قبل نصف قرن ومـا بعد ومع اغفاءة الشمس في صفاء الليل تبدأ الاقدام مسرعة نحو دار معينة في تلك المحلة او ذلك الطرف للمشاركة في احياء حفلة موسيقية غنائية راقصة شعبية تقام بمناسبة قرب زواج احد ابناء المنطقة او ختان احد اطفالها وعلى «الدواشك» و «المخاديد» يجلس المشاركون لاحياء هذه الحفلة بروح مواطنة سامية ومثالية .. موسيقى الحفلة «الدنابك» و «الزغاريد» وأغانيها و «المربعات » و «بستات» وتبدأ الاكف تلثم بعضها برتابة حلوة على نغمات مطرب «المربعات» المرافقة طرقعات «الدنابك» ويجيب الحاضرون وتنتشر

النسوة المتلفعات بـ فوطهن «وچراغدهن» و «الزغاريد» و «الهلاهل» من امكنتهن فوق السطوح وتستمر الاكف تلاثم بعضها والمطربون الواحد تلو الآخر و «الزغاريد» تنشرها النسوة دفعة فدفعة حتى مطلع الفجر وبعض «الصفكات» تستمر لثلاثة ايام وبعضها لعشرة وبعضها لسبعة وبعضها لاربعين يوماً حسب الحالة المادية والاجتماعية لصاحب الدار.

ولا تزال بعض العوائل الشعبية «الكظماوية» الى يومنا هذا تعني بذلك عادة وتقليداً و اسلوباً شعبياً طريفا في دورة الحياة ٠

ان العدات والتقاليد التي تناولها العقل الشعبي في مناسبات فولكلورية أثيرة توارثها «الكواظمة» عادة وتقليداً خلفاً عن خلف حرية بالتسجيل والتدوين خشية نسيانها واندثارها ٠ ان لكل مدينة في القطر طابعها المميز من العادات والتقاليد ، ربما تشابهت وقد لا تتشابه بالمرة كعادات وتقاليد «الزواج» وهو صلب موضوعنا هذا ٠٠

خطبة العروس ـ المشيه

اذا رغب والد الفتى تزويج ابنهمنبنت الحلال بعد أن صار (رجال) «اكمل العشرين» وشواربه بيديه وهم يقسمون بـ «الشوارب» وانه بأستطاعته ان يعمل عمل والده عند غيابه يكلف والده زوجته ، ام الفتى على ايجاد بنت الحلال ٠ تتشاور ام الفتى مع قريباتها وجاراتها لايجاد الزوجة المعهودة وقد يقع الاختيار بعد مشاورات طويلة على فلانة بنت فلان ، او على غيرها من بنات الجيران ٠ ترتدي ام الفتى افخر الثياب وتتزين بالمخشلات الذهبية كالتراچي والمحابس والگلادة وتذهب مع قريباتها على غفلة او تخبر بالزيارة ٠ فتستقبل ام الفتى من قبل الجيران بالترحاب البالغ ويقدم الشاي والبقصم والشربت والجگاير للأم وصويحباتها ويدخلن في ثرثرة طويلة وأم الفتى تنظر الى الفتاة وهي تمني نفسها بأن تكون زوجة لأبنها ٠ تطلب ام الفتى قدح ماء ٠ ثم تقول (**عيني بالفرح انشاء الله**) وهذه اولى علائم الخطبة في الوسط الشعبي ٠ تحدث ام الفتى والدة الفتاة بالموضوع السعيد او تؤجل ذلك الى اليوم التالي في تزويج فلانة لابنها فلان ٠ تعود الام الى بيتها وهي فرحة مستبشرة فتوجه ابنها لتقول له (**عيني شفتلك مره العين عين غزالة الخد تفاح عجم ، شطبه الخشم لوزة الحلگ عقيق ، الشعر اصفر ، الرگبه بلور ، بيضه مثل البرف ، عيني عبالك گطاية ، الخ**)

ومن الطريف ان الفتى كان يتزوج على وصف امه او شقيقته او احد قريباته اذ لا يمكنه مشاهدة الفتاة ، إذ يحرم على الفتى رؤية خطيبته ٠ ثم تعود والدة الفتى الى بيت الفتاة ثانية وتحدثهم برغبة الفتى ترحب ام الفتاة بذلك وتدعو الزائرات للجلوس لشرب الشربت وتكون جلسة

فرح وسرور ، تبشر الأم بموافقة الحجي والد الفتاة على تزويج ابنته ثـم تردد ام الفتاة ٠٠ داده ابوها وافق على زواجها هاي بنتي كبعيها واخذيها بالافراح والمسرات

تقديم الحك

يذهب والد الفتى مع جمع من الاقرباء و ـ ختيارية المحلة ـ الوجوه ٠ الى دار الفتاة المنوي زواج ابنه منها ، يفتح الاب الكلام ويقول لوالد الفتاة (**حجي فلان ٠٠ عائلتنا تحب تتشرف بقرابتكم**) يرد عليه والـــد الفتاة **تشرفنا ونعم العائلة انتم اغاتي جيراني تاج راسي** ويسأل والد الفتـــاة عن عائلة الفتى واخلاقيته وسلوكيته في الحياة ثم تأتي والـدة الفتى على والدة الفتاة للاتفاق الاخير على مقدار المهر المقدم والمؤخر تعود والدة الفتى في اليوم التالي الى دار الفتاة ومعها جمع من قريباتها يحملن «البقچ» وفيها يلف الحذاء «القبقاب» والحناء ـ الحنه ـ والمصوغات كالحجل والتراچي ويقدم «الحك» في چفيته الى والدة الفتاة وهناك من يقدمه الى والد الفتاة والجدير بالذكر ان خاتم الخطوبة «النيشان» لم يكن معروفاً ايام زمان ٠

عقد القران

تكون مراسيم عقد القران «**الملاچ او المهر**» في بيت العروس حيـــث ينظف ويكنس ويفرش بالحصران اذا كان الوقت صيفاً وبـ «الزوالي» اذا كان الوقت شتاءً وترصف التخوت «ام الرمانة» وتوضع عليها «المخاديد» و «المنادر» وتصف الكراسي بجانب التخوت للجلوســـ ٠ وفي التقليـــد الشعبي لا يحضر في حفلة عقد القران والد العروس وشقيقها،وانما يستقبل الحضار والد العريس والعريس واثناء اجراء العقد توزع «الشرابت» على الحضار ومن ثم المناديل ـ الچفافي ـ التي تملأ بـ الحامض حلو والمصقول ـ والچكليت وقد تطورت هذه العادة وصارت توزع العلـــب المعدنيـــة أو الزجاجية ٠

تجري عادة حفلة عقد القران ايام الخميس والجمـــع وفي المعتقـــد الشعبي ان هذه الايام مباركة ميمونة يحضر القاضـــي ووكيـــلا الـــزوج وشاهدان من ختيارية المحلة وتبدأ مراسيم العقد في ترتيل سور كريمـــة من القران الكريم ثم يوقع الوكيلان والشاهدان ويزود الزوج بنسخة مـــن العقد ويسمونه «**اذن نامه**» ونسخة منه يعطى الى اهل العروس والعقد هذا يحمل موافقة الزوجة على الزواج من فلان بن فلان على مهر مقدم كذا ومؤخر مؤجل وتحمل الاذن نامه ايضاً تواقيع مختار الطرف والقاضي والشـــهود والزوجة والزوج ٠ يأخذ القاضي السجل الى قـــرب باب تجلســـ وراءه العروس ليأخذ القاضي من لسانها الكلمة المنغمة ـ نعم !! يقول القاضـــي للعروس هل انت موافقة على الزواج من فلان بن فلان على مهر مقدم ومهر

مؤجل كذا٠٠٠ القاضي يكرر ذلك مرات عديدة هل انت موافقة ؟ هـــل انت موافقة ثم تجيب العروس اخيراً بصوت خفيض «نعم». يبارك القاضي والحضار للعريس ثم تتعالى الهلاهل والزغاريد وتنثر النسوة الحامض حلو والجكليت والمصقول على العروس ٠ ويوقدن شمعة ويضعنها في صينيـــة تملأ بـ «الورد» و «الأس» و «الحنة» وتبقى هذه الشمعة متقدة حتى انتهاء مراسيم العقد وتطفأ وهم يحتفظون بها لحين ولادة العروس لتوقد ثانيــة ويعتقدون ان ايقاد الشمعة «شمعة العرس دلالة على اليمن والاقبال» وهم يعملون عند العطار صينية يسمونها «صينية المهر» يجمعـــون في هـــذه الصينية مواد عطارية عديدة توضع هذه الصينية جوار صينية «الحنــة والشمع» وذلك ايضاً من دلائل اليمن والاقبال عندهم ٠

وعند اجراء مراسيم العقد تمسك امرأة من قريبات العروس قنينـة فيها مادة الزئبق وهي تخضها مرات عديدة ٠ وفي المعتقد الشـــعبي ان في في خض «القنينة» يزداد العريس محبةً لعروسته وكذلك تمســـك امرأة اخرى «كلة قند» لتكسرها نصفين فوق رأس العروس و «تفركها» ليتساقط على وصلة قماش وضعت على رأس العروس لتجميـــع السكر «الشـــكر» المتساقط على رأس العروس وفي اعتقادهم أن العريســـ اذا تناول مـــن «حلاوة» يعملونها من الشكر على رأس العروس، سيسمن قلبه ويزداد محبة لزوجته

ليلة حنة العريس

ليلة حنة العريس تكون عادة يوم الاربعاء والزفاف في يوم الخميس حيث يدعو العريس اقاربه واصدقاءه الى داره فيتقاطرون وفي وسط الدار يجلسون على تخوت «ام الرمانة» التي وضعت عليها «الدواشك» و«المخاديد» ومن يجلس على الارض المفروشة بالحصران اذا كان الفصـــل صيفـــاً وبالزوالي والبسط اذا كان الفصل شتاءً ، تتلألأ في الدار اضوية الفوانيس واللوكسات والشموع المتقدة في الصواني والتي وضعت على كرات مـــن الطين وعند حناء العريس تتعالى زغاريد النساء وتكون ليلة حنة العريـــس ليلة من ليالي العمر ، كلها غناء وفرح وطرب حتى الفجر ، يقدم الطعـــام ويسمونه «التمتوعة» وهو عبارة عن اكلة شعبية «كالدولمـــة» و «كبـــة البرغل» ثم تقدم الحلويات والفواكه والكرزات ٠٠ الخ ويتقدم كبير العائلة لتخضيب كفوف «جفوف » العريس بالحنه وفي لحظات المرح ينثر الحامض حلو والجكليت والمصقول على رؤوس الحضار من السامرين ثم يغنى عند حناء العريس مقام «الصبا» لينتشي الحضار طرباً وفرحاً ٠ ويقف مـــن يغني ويقرأ «المربعات» امام العريس بين تصفيق القوم وزغاريد وهلاهـــل النسوة وتكونليلة الحنة ليلة طرب وفرححتى الفجر وهناك الكثير مـــن «المربعات» التي تغنى في الاعراس عند حناء العريس نذكر منها على سبيل

المثال لا الحصر :

كم وكم اعگول بالشامه خـــدت غصن لوتمشي وكوكب لولحـت
لولحت كوكب ومن تمشي غصن تلتفت كالريم ياوب الحســـــن
غافلت رضوان بالحيلة اظــــن وإنته للدنيه من الجنه اطلعـت

* * *

طالع انت اتراوي للناس العجب والمــلاحه مايها بخدك لعــب
قادر الله الخلگ وجناتك ذهـب ونرجس اعيونك عليش اتكحلت

* * *

ليش تتكحل وبعيونك حـــور ومـن جبينك در على الوجنه انتثر
خســر كلمن شبه اوصافك گمر بالگمر اوصاف مثلك ما شـفت

* * *

بالگمر اوصاف مثلك ما اشوف فتر اعيونك ولك تزكي الحتوف
انچان يوسف گطع بحسنه الچفوف انت كثر اگلوب يشكر گطعــت
گطعيت اركاب وچفوف او رؤوس وفارگيت ابدان كثره من النفوس
انچان اهل العلم تلهى بالدروس انته يمدلل تره درسي صـــرت

* * *

انت درسي وصرت بس بسمك الهج يمن وجناتك حون نار او ثلــج
ارحم ارفق لا تخليـنــي اهــج بوسه من خدك على الشامه ردت

* * *

ردت على الشفه اضع فاي وامص ابذل المطلوب يبزي من الحرص
لا تظن هذا بشريعتنــا نگص كم وكم اخــدود غيرك قبلـت

ويردد مغني «مربع» آخر وسط عاصفة من الصفكات والهلاهل ·

حسنك رماني والجسم منك عليل ليش گلبك ما يحن ليه ويميل
ارجومنك انتحي بوصلك قليـل هايم بحسنك تايه راح اجـــن
هايم ابحسنك يا بوطول العدل لا تخليني بغرامـــك منچتـل
ابعينك الوسعات ترميني نبـــل من تلاگيني واشــوفك انفتـن

* * *

من تلاگيني واشـــوفك من بعد بيــك كل الحسن صاير منوجد
تاخذ افكاري وعگلـي ينفقـــد ارتهب من حيث تحچي بالــوزن
ارتهب من حيث تحچي بالنظـام چم شباب الطاح بيك من الغرام
ما يصح طبعي الغيرك والمـــرام ماتخون وياي كل فكـري اظـن
ما تخون وياي موعود واهـــد يلتذي ما ينمحي حبـــك ابــد
گبل ما تنمــو اودك بالمهـــد نوب اهز ونوب ألولي ونوب اون

* * *

من ونيني تحن «المطوگه»(٢) وتهيم بالبراري بكل ارض ما تستقيم

تشوف حالي يشبه الحال السقيم والتوّده دوم هجمانه يشـــن
گلي انت واجب عذابك حــلال كتل مو مســلم تخليني بحــزن
بيا شرع حللت هجري وحرمت وآني معشوق بهواك اتولعــت
ساعة ما اصبر وتدري اتعلمت بالمودة وياك مـــن جهلي فطـن
شوصف اخدودك شبه الجلنـار والداري عل الوجن صفت نظار
جل نبارس لوضوّن نحــوه بهار سلسبيل المـــنه جـــرن

وقارىء يغني (المربع) التالي وسط الصفكات

طول الدهــــر آنــي بفكــر يمتــــه اصل يمـــج وسـر
نورچ يشـــع منـــه البــدر لمـــن نظـــرت الوجنـــات

* * *

نورچ تشـعشــع والتهــب تيزاب خـــدچ مـــن ذهـــب
لمـــن اشــوفچ شالســـبب تاخذنـــي رعـــده ورجفـــات

* * *

لمـــن اشوفچ مـــن بعـــد عگلـــي يطـــير وينعقـــد
اتحير ومنـــــچ اصـــــد اجفـــل وجـــر الحســـرات

* * *

اجفـــل شـــبه طـــير الخفگك شـــاف الصـــگر بالجو شهگك
سهم الرغـــز بيـّـه دفـــگك مـــن الحفـــص عنـــچ نظرات

* * *

عينـــچ مثـــل ريم الفلـــه جســـمي عن ودادچ ســـلـــه
مثلـــــچ فـــلا واحـــد حـــله بعينـــي رســـومــه كمـــلات

* * *

غيرچ فـــــلا يهـــوه الگلـــب لا والخلگك شـــرگك وغـــرب
بهـــــواچ تيهـــــت الـــدرب ذيـــب الشَـبَه ناعت شـــــاه

* * *

منعـــــوت غصبـــــن بالآه محكـــــوم ما بيـــــدي نوه
بالحســـن دلالـــــي انچـــوه مگـــــدر اجـــوزن هيهـــات

* * *

هيهـــات من عنـــدچ افـــر الغـــيرچ فلا گلبـــي يســـر
يزهـــر جبينچ چـــل بدر وخـــــدود عنـــدچ لالات

* * *

لالات خـــــدچ يابنـــت لمـــن شـــفته اتســـودنت
گليلـــي ابگـــه لشـــوكت ما ضـــوگك منهـــن لـــذات

ويردد مغني «مربع» آخر وسط عاصفة من الصفكات والهلاهل :

زفاف العريس

كان العريس يذهب الى «الكهوة» المقهى وبمعيته جمع من اقربائه وأصدقائه وبعد استراحة ساعة يتناولون المرطبات والشاي ثم يغادرون «الكهوة» ، للذهاب الى الضريح الكاظمي للزيارة والزفافة ، يرددون الصلوات على محمد وآله ثم يعودون مع العريس الى «الكهوة» ثانية ومن هناك يزف حيث يحيط به «صردوجيه» و «الزفافه» يحملون اللوكسات وهم يرددون الأغاني والمربعات وعند وصول العريس الى داره يزداد صخب وصياح الزفافة وينثر المصقول والحامض حلو والچكليت على العريس من قبل النسوة ومن مشاهير زفافة الاعراس في الكاظمية الحاج عبد الكريم الچلبي الملقب بـ شيخ الاسلام والسيد رشيد اسماعيل آل كنعان ونذكر شيئاً من الاغاني و الردّات التي كانوا يهزجون بها عند زفاف العريس الذي يتصدر عادة موكب الزفافة وهم يغنون ويصفقون له ، وفي بداية الزفاف الشهير شيخ الاسلام اللازمة التالية : –

صل وسلم يا فتى	على النبي المصطفى
هذا النبي العربي	فخر بني المطلب
هذا النبي المؤتمن	جد الحسين والحسن

ويرددون :

فاطمة الزهراء	فاطمة الزهراء
خير النساء	خير النساء
نورها قد علا	نورها قد علا
فوق السماء	فوق السماء
اعطني ربي مطلبي	يا الهي بانبي الهاشمي العربي
سيدي سندي	انني مغرم انني مغرم

وينشدون وسط عاصفة من الصلوات على محمد وآله الاطهار الابرار .

حب علي بن ابي طالب	احلى من الشهد الى الشارب
ماكنت إلا يوسفاً يا فتى	ماكنت إلا يوسف الثاني
لوفتشوا قلبي رأوا وسطه	سطران قد خطا بلا كاتب
العدل والتوحيد في جانب	وحب آل البيت في جانب

ويغنون وسط الصفكات .

ياضبي النفوذ	خلي عنك الصدود
ياضبي الوهاد	خلي عنك البعاد
داوني بالوداد	حيث انت الودود
سيف لحظيك ماضي[٣]	فاض من بين المواضي
فاقض ما انت قاضي	قد ملكت الكبود[٤]

ويرددون بتطريب مليح وسط الهلاهل والصفكات :

هله ويانور عيني ياهليه يا خالي من تمر سلم عليه
حبيبي من وره الشباچ شفته غمزليبحاجبه وعضلي بشفته
عسىلا چان عاشرته ولاشفته ولا يوم المفـــه مروا عليّه

* * *

وخذني وطير بيّه للسماوه وذبني ابگاع ما بيها نداوة
وكل الناس صاروا لي عداوة حتى الوالدة العزت عليّه

* * *

وخذني وطير بيه للجديدة حواجب سود والكحلة جديدة
اريد اصيح باگله جديده بلكي السمر يلتمن عليّه

ومما يتغنون به في زفاف العريس قصيدة شعبية للشاعر الشيخ عبدالمحسن الكاظمي :

شـفا جـوى المتاح وعطـر النواحـي
ريـح الصبا الفيـاح مـن جانـب القطّانـه

* * *

روح . لهـلـك يوليـد لا تبلا نـه .

* * *

يا اخـدا بشـاري خـده مـن الصغار
من كـل ذي عـذاري عـذري فيـه بان

* * *

مـن فاضـل وحـمود ومـاجـد وداود
وصـالـح وداود اخـل الهـوى ميدانـه

* * *

كم مـن قتيـل مثلـي يحيـا بذكـر الوصل
عاد سليـب العقـل لمـا راى هجـرانه

* * *

كم لي بـذات الأثـل رشا مليـح الـدل
راح بـوادي الرمـل يتشـده غـزلانـه

* * *

يا صـاح ادن منـه وسـل فؤادي عنـه
وفي قتلـي اعنـه لا خـاف مـن اعانه

* * *

ناظـره كحيـل وخـده اسـيل
وخصـره نحيـل وعينـه وسـنانه
انحلني هواه وشفني نواه ان الـذي الـسـاه

علّ ما الآنـه

سبحان من سواه به البرايا تاهوا
يا ما احلى لماه تفديه ما في الحانه

* * *

لما رآه كسرى وخده محمرا
شبه فيه البدرا اهدى له ايوانه

* * *

استفت في عطفيه وصارمي لحفيه
وصدغه عليه فانقلبوا اعوانه

* * *

يوليد لا تبلانه روح لهلك

وقد يصطخب الزفافة عند دخول دار العريس حيث تتعالى زغاريد وهلاهل النسوة وتنثر الحلوى على رؤوس الزفافة وهم يرددون : —

شايف خير ومستاهلها زوجناه وخلصنا منه
وهذا اليوم الجنه نريده
وانت اوليد وهي ابنيه
و ٠٠ياحيدر يا عزنا وسور النسا
حيدر من منكر يحمينا حبه للجنه يودينا
هو مولانا وهادينا

ثم تتعالى الصلوات على محمد وآله آخيراً ثم يودع العريس اقرباءه واصدقاءه فرداً فرداً ٠٠

زفة العروس

تزف العروس يوم الخميس بعد ان تجمّل من قبل الماشطة — الحفافة — وامام العروس يسير طفل يحمل «شمعة» وآخر يحمل «مرآة» وهم يتفاءلون من حمل الشمعة و «المراية» وفي المعتقد الشعبي ان حظ «بخت» العروس «سيكعد» اذا اوقدوا لها الشمعة ، وفي الزفاف يضعون على وجه العروس برقعاً «بركع» ابيض من قماش «التور» وقبل دخول العروس دار الزوج يجب ان تدوس على كيس نقود ثم تضع قدماً واحدة في «طاسة ماء» وهم يعتقدون ان في ذلك دليل يمن واقبال وتخضب احد النساء السعيدات في زواجها يد العروس وتردد زفافات في زفاف العروس الردودات التالية : —

سعد وسعود وياها من باب الحوش تلكاها
و بنت العم لابن العم جبناها هو رادها وهو التمناها
واحمد طفي الكلوب خدها يشع ويه الروب
واحمد جبنالك مره من غير حمره محمره

وجبناهــا وجــت ويانــه مـــن راســ العگد فرحانه

گعده العروس

تبقى العروس سبعة ايام في دار زوجها من العصر حتى غروب الشمس تتفرج عليهاالنساء وعلى جهازها وتسمى «گعدة العروس» تجلس العروس على كرسي كبير وضع في جانب من الدار . ووسط الهلاهل والصفگات والزغاريد تقوم العروس لتبدل ثيابها وهي تسير ببطىء – والملالي يغنين الاغاني الملاح وينقرن على الدفوف وتتعالى طرقعات الدنابك والعروس جالسة وفي يدها شدة ورد وتقف الى جانبها امرأة من اقربائها وهي تمسك ماعون فرفوري على راسها لتجمع ما يتناثر على راسها من حامض حلـو – وچكليت – ومصقول وفي اليـوم السابـع – الاخـير – تردد الملـه – الشوباش – لتجمع الهدايا والنقود وتردد اغاني حلوة وبتطريب مليـح نذكر شيئاً منها على سبيل المثال لا الحصر

يا حلــوه يا محنايــه	محنيــه ايــدچ والرجل
ويلوگ الچ لبس الحجل	چا الــچ رگبــه مـن الأبل
تســوين كل هلايــه	وتســوين امي وكل هلي
وحگ الچتل خيبــر علي	معلوم حدرچ لايــه
معلول جيـدي مــن الزلل	ممشــوط ومحنّــه ترف
اشگر ذهب يلصف لصــف	عگــرب بلا ذنبـايــه
عگرب على الصابر وگــف	واللي الدغه مات وعكـف
مطروح وينادي اشــجره	مــن الخـدود امــورده
وشــوفي الحــلوه	امــحمّــــره
وعيــــونهـــا	روايتـــــه

وتغني الملّه للعريس وتردد اسمه

بين الشــباب احمــد	بيــده قلــم فضــه
ويكتــب كتــاب	صعدوا عروسته لي گبته[6]
نزعهــا بدلتهــا	بــاب الشــباب

وتغني الملّه للعروس ايضاً :

گومي انزلي گومي انزلـي	جتج حمول الشام فاستعجلي
گالت فلا انزل ولا يهمنـي	إلا يجي القايش[7] من الصايغ الي

ثم تغني الملّه وسط هلاهل النسوة :

عروسة والحبايـب زافيهـا	عروسة كل معاني الحسن بيها
حلو ثوب العرس لايگ عليها	عروسه والحبايب زافيها
مشت ويــه الحبايــب	گمــر بين الكــواكــب
حلو ثوب العرس لايگ عليها	عروســه والحبايب زافيها
والبدلة بيضه ياحســن	منهــا وعليهـــا
بالله دصــلوا على النبـي	يا حاســـديهــــا

ســـت الحســـــــن كومي انزلي بيداي لاتستعجلي
تاج الورد فوك الشعر لايك عليها حنه حنه بيدها حنه بديهـا

الصبحه

في يوم «الصبحه يجلب اهل العروس «الحلاوة» و «الخبز» وفي اليوم الثاني الكيمر والعسل ثم يكلم اهل العروس العريس عن عدد الذيـــن سيدعوهم «يعزمهم» لطبخ الطعام الكافي ويوم «الصبحة» يقـــام ظهـــراً او مساءاً حيث يذهب العريس مع اصدقائه وأقربائه الى بيـــت اهـــل العروس لتناول طعام الغداء او العشاء وفي ذلك اليوم يقبل العريس يـد عمه والد «العروس» ويقدم له عمه هدية وهي عبارة عن ساعة جيب مـع زنجيل ويقبل العريس رأس والدة زوجته وفي اليوم الرابع يأتون بملابس عائلة العريس وملابس الزوج لتقوم العروس بغسلها وفي اليوم السابـع تكون العروس واهلها وأهل العريس في بيت العريس ليتناولون طعام الغداء. وفي ذلك اليوم تتزين العروس وتأخذ مكانهـا في باحـة الدار على كرسي لتتفرج عليها النساء .

يوم السبعة

بعد اسبوع على دخلة العريس تتزين العروس بأجمل الثيـــاب ، تضع «النونه» في عودة ويسمونها «الخطاط» فوق انفها على الكصة ثـم تتكحل بكحل من مكحلة صغيرة مفضضة لتتفرج عليها النساء ثانية ثم تفرجهم اي «العروس» على جهازها وثيابها الموضوعـــة في الصـــندوك الخشبي ويتفرجون على الهدايا التي قدمت لها ولزوجها مـن الاقـــارب والأصدقاء ، ثم يتفرجون على المصوغات الذهبية ومنه حبل فيه كراكيش فضية ، تنثر عليه العروس ملابسها وهذا من ضمن جهازها العتيد، وعصر ذلك اليوم تكون النساء من اهل واقارب العريس في بيت العروس ، لتناول المرطبات والشاي ، وفي ذلك اليوم الميمون تنتهي مراسيم «الزواج» حيث يذهب الزوج الى عمله وتنصرف الزوجة لأدارة شؤون ومتطلبات البيـت

حنة الثبات

عند نهاية يوم السبعة « تبات » تبقى أم العروس في بيت بنتهـا لتخضيب كفوف « چفوف » بنتها بـ« الحنة » وفي صباح اليوم الثاني ترمي العروس بـ« الحنة » الى سقف الغرفة وقد تلصق « الحنة » في سقـف الغرفة وفي المعتقد الشعبي ان « الحنة » اذا الصقت في السقف فستثبت العروس في بيت الزوجية .

قطوف

– عند وصول العريس الى داره يستقبل عادة بالزغاريد والهلاهل من قبل النساء المتجمعات في الـدار ، ثم تصافـح العريس والعروس امرأة سعيدة في زواجها ،

– وهم يتشاءمون اذا صادف موكب زفاف العريس والعروس مرور

جنازة ويعتقدون ان ذلك علامة نحس
ـ جهاز العروس يتألف من « جربايه » ام الكله وكنتور ومنضدة مدورة وسلة لوضع العريس والعروس ملابسهما في الكنتور والسلة .
ـ في ليلة العرس التي تصادف يوم الخميس تحضر الماشطة «لتزّين» تجمل العروس .
ـ ينبغي على العروس قبل دخولهادار الزوجية ، ان تدوس على كيس نقود وفي المعتقد الشعبي ان ذلك دليل يمن واقبال
ـ توضع امام العروس صينية وفيها قرآن مفتوح على سورة « انا فتحنا لك فتحاً مبينا
ـ تزف العروس يوم الخميس الى دار العريس ، (عربة الربل) ايام زمان .. وفي ايامنا الحاضرة تزف بالسيارات
تغطي العروس وجهها ببركع « شفاف من قماش » التور ابيض اللون وترتدي عادة بدلة بيضاء وعلى العريس ان يرتدي ملابس بيضاء كالصداية والزبون والجبة وذلك ايام زمان .
وهناك جهاز اخر للعروس « جهاز الحمام » وهو عبارة عن اللگن والبريگ والمنشفه والمفرش والكيس والليفة وركية حمام «من الصفر» توضع بها ادوات الحمام المكونة من الكيس والليفة والصابونه
ـ يقدم الحگ « الصداق ، في « چفيه » حرير الى الاب او الى أم العروس .
ـ عند حضور القاضي لاجراء مراسيم عقد القران « الملاچ » يبعث اهل العريس الى بيت العروس صواني « الشكرله » وشمعة كبيرة لتوقد في ذلك اليوم .
ـ يضعون « حنه وشمع ولبن وخبز » في صينية : وفي « طاسة » يضعون اوراق آس وعلى عتبة الدار وقبل دخول العروس « تدفر » برجلها طاسة الماء وفي المعتقد الشعبي ان ذلك دليل يمن واقبال
ـ تحضر الماشطة (الامرأة التي تجمل النساء) في ليلة الحنة لتحف العروس و « تزوكها » اي تجملها
ـ يتفاءلون من جلب الهدايا للعروس وبخاصة الحلويات والسكر « الشكر » والحاجيات ذات اللون الابيض .

---

(١) الحگ : الصداق المقدم للعروس .
(٢) المطوگه : الحمامة .
(٣) ماضي : حاد قاطع .
(٤) الكبود : القلوب .
(٥) القطانه : « الگطانه » كما يلفظها العوام ـ محلة شهيرة في الكاظمية .
(٦) گبته : غرفته .
(٧) القايش : حزام ذهبي تتحزم به العروس .

عادات وتقاليد الحلية في العقم والولادة

صباح نوري مرزوك

الحلة ، كأية مدينة ، لها عاداتها وتقاليدها الخاصة بها ، وقد تلتقي مع مدن اخرى ، متجاورة أو متباعدة بعدد من تلك العادات والتقاليد ، وقد شمل هذا البحث ما يتعلّق بالعقم كظاهرة ابتلي بها كثير من أعضاء مجتمعنا ، ودراسة سبل علاجه ، وما يتعلق بالوحم كعلامة من علامات الحمل مع دراسة مظاهره والاغراض المصاحبة له وتفسيره ، ثم دراسة احتياطات وتجهيزات الحمل وذكر ما يتعلق بالأجهاض مع ملاحظة الأغاني التي تمارسها الحمل ، ودراسة الامور المتعلقة بالوضع وأستقبال المولود ، وينتهي البحث بدراسة الخلاص والحبل السرّي .

ان دراسة جانب معيّن ، مختصر ، له فوائد كبيرة ، منها فسح المجال لاكبر عدد من الباحثين ، ولغرض السيطرة على المادّة وملاحظة جميع جوانبها وقد ثبت الان ان كثيراً من الدراسات العامة المطلقة قد وقعت في أخطاء متعددة وسبب ذلك يعود الى ضخامة الموضوع وتنوّع جوانبه .

العقم

ان المرأة التي لا تنجب أو لا تلد بعد فترة من زواجها ، يمكن ان يعبّر عنها بأنّها :

عاگِرْ = عاقر ،

جدع ،

خشبة ،

ثور بواگل ،

وهنا توضع اسباب عديدة لهذا العقم ، وهل ان الزوج هو السبب ، ام الزوجة اذ يقال :

مَدري العوگ منهه مَدْري منّه) • أي لا ندري سبب العقم منها ام منه •

ويقال : ــ **(هَوَّ وْليد وهيْ ابنيّه ، اثنين ما مجربّين)** أي هو ولد ، وهي بنت ، والاثنان غير مجربين ، وذلك لجهل سبب العقم من كليهما •

على ان تحديد كون المرأة عاقرا يكون بعد مرور سبع سنوات والا" (بعد مابيهَه رِجَه) أي ليس هناك أمل أو رجاء من ان تلد •

ويقال : ــ **(ما خَضَّر دارهه)** أي بقي دارها من غير اطفال ، واللون الاخضر دلالة على الاطفال • ويروى عن امرأة انها حملت بعد احدى عشرة سنة •

والعقم من كليهما ليس شيئا معيباً بالمرّة ، أبداً ، لانّ الاطفال (رزق) من الله ، واذا قطع الله الرزق لا تبالي الزوجات بذلك ، امّا نتائج ذلك على الزوجين فانه متوقّف على طبيعة الانسان فاذا كانت المرأة عاقراً فقد يتزوّج زوجها غيرها وبالعكس •

واذا اريد اكتشاف عقم احد الطرفين ، فيكون ذلك امّا في التحليل عند الاطباء المختصّين أو اذا تزوّج واحد منهما ولم ينجب ، وقد يكون هناك صراع بين جانب الزوج وجانب الزوجة على نسبة العقم للطرف الآخر وخاصة اذا تزوج احدهما ولم ينجب • لذا حرصت النساء على الوقاية من العقم فانهن يمانعن من دخول امرأة كانت قد ولدت وليداً تواً عليها لانها **(تچبّسنهه)** وكذلك الحال بالنسبة لدخول القطط عليها ولا أثر للمأكولات الخاصة أو ذبح الذبائح أو عمل الاعمال أو زيارة الاولياء والصالحين أو قراءة الادعية أو الوصفات الطبية أو توقيت الاتصال الجنسي أو عبور مجار مائية أو عبور خربة في العقم •

طرق علاج العقم :

١ – تربط المرأة نفسها الى أحد الاولياء او الصالحين (وخاصة الأمام الحسين والأمام العباس والحمزة والقاسم وآخرين هنا وهناك) وتنذر له نذوراً وهي تفي بهذا النذر اذا (خضّر دارهه) أي اذا رزقت بمولود .

٢ – تتبوّل بين قبور اليهود (مقابر خاصة في الحلة ، اندثرت وطمست الآن) .

٣ – تذهب (للمغيسل) وهو مكان تغسيل الميّت (في الحلة عند مقام الخضر أو في النجف في المغيسل العام) وتتبوّل على سديته ثم تبلع – وهي هناك – خرزة صغيرة أو نمنمة أو مرجانة او شيئاً من بقايا الميّت .

٤ – تفتح عين الميّت توّاً وتقول :

– يهَل الميّت اذا صار عدّي جاهل أسويلك عشه .

أي ايها الميت اذا رزقت بمولود سأعمل لك عشاء ثواباً لرحمتك .

٥ – اذا غُسِّلَ الميّت فان الماء الساقط من جراء تغسيله هذا يسقط على المرأة العاقر التي تكون في هذه الحالة تحت جانب من جانبي السدية ، وتنذر بعدئذ عشاء ، تفي به عند تحقيقه .

٦ – تأخذ قطعة القماش التي كان قد ارتداها (المطبّر) وهو الذي يضرب رأسه بـ (قامة) أو خنجر أو سيف كأعراب عن حبه للحسين ، والحسين براء من ذلك ، فيسقط الدم على هذه القطعة ، حتى اذا جف سبحت العاقر في ماء فيه هذه القطعة من القماش .

٧ – تأخذ قطعة قماش من امرأة قد تزوجت حديثاً وتسبح بمائها .

٨ – تكسر رأساً من البصل ثم تتبوّل على المنصبة (وهي الحجارة التي يقوم عليها طهي الطعام) التي ترجع لمرأة متزوجة بشرط أن تكون هذه المرأة هي التي دخلت عليها أي (النفسة) وسببت لها العقم، وبعد مرور ثلاثة ايام تحلب المرأة المسببة للعقم على كتف وراس وثدي وظهر المرأة العاقر ، ثم يجمع تراب من سبعة اماكن لتسبح بها بشرط ان تسكبه عليها بنت لم تتزوّج بعد ، (بت بيت) وبواسطة رحى ، أي واحدة تمسك الرحى وأخرى تسكب الماء ، على ان يجري الحوار التالي على التوالي بين البنت غير المتزوجة والمرأة العاقر :

– شسمج ؟ (ما أسمك) .
– جبنسه .
– انفلت الجبنسه (ذهب سبب العقم)
– شسمج ؟
– ناگه (ناقة) .
– انفلت العاگه . (أي انفك العائق) .

- شسمج ؟
- فانوس .
- انفلّت چبسة العروس .

٩ - الاستعانة بالسحرة (فتّاحي الفال) .

١٠ - يؤتى بقنينة، ويوضع فيها أنموذج من بول الزوجين، وتعطى الى الزوجين الذين تزوّجا معهما في نفس الوقت ، ويجري حينئذ الحوار الخاص بالفقرة الثامنة) باستعمال (طين راس) .

١١ - هناك نبات يسمى (الحلبّة) ، يؤخذ جزء منها و (يسهّى) بوضعه على النار مع جزء آخر يبقى فطيراً ، يُدَقّ ثم يخلط بالدبس وتشربه المرأة العاقر وقد توضع (كبابة) فيها ، (والكبابة مادة تشترى من العطار) . (وهذه الوصفة من وصفات القابلات) .

١٢ - لتبوّل على البناء الجديد الذي لم تُدَقّ فيه حجارة (أساس) .

هذه هي طرق العلاج ويلاحظ ان هذه الاعمال تقوم بها المرأة دون الرجل ، وهي تعمل المستحيل لغرض ان تلد وتباهي النساء بمولودها ، ويبدو ان العائلة هي التي تبدأ باطلاق صفة العقم على المرأة اذ تقول لها ، **بحسنج بجمالج ، نوربوال ، يلله ناخذ له فرَه)** أي : بحسنك ، بجمالك انك نور بوال ، اننا سناخذ له زوجة جديدة ، وهكذا يتضح الامر جلياً في كون الرجل يبقى - في اكثر الحالات - صابراً ، لان التفسير العام للعقم هو أمر من الله تعالى .

ومن غرائب حالات العقم : ان امرأة كانت تظن انها حامل في شهرها الخامس او السابع وتقول لاهلها بذلك ولكن النتيجة ليس هناك شيء ، ولكنها في احد المرات لم تقل لأهلها شيئاً حتى ولدت وليداً جديداً . ومن النساء من تلد مرة واحدة فقط ، ويقال ان المرأة العاقر اذا انجبت - بعد لأي - بنتاً ولم تلد غيرها فهي سبب العقم واذا انجبت ولدا ولم تلد غيره فان الأب هو سبب العقم .

امّا الأغاني المتعلّقة بالعقم ، فيقال في اثارة العاقر .

تبَشَّر روحْهَه وتگول حِبْله   وما مِشْ بالبطن غيرج يَدِبْلَه

تگول : تقول .

حبله : مامن شيء ، ليس .

غيرج : غيرك .

يدبله : يا دبله ، والدبله الغائط .

وتقول العاقر الى مقابلتها :

أتمنّاچ ياروحي تِنْنسِين وحِبالَهْ سَنَة وطَلوگه سنتين
واجيبه وياخْده البين كلّه ولاعار النساوين

اتمناج : اتمناك ٠
طلوگه : حالة الولادة ٠
اجيب : ألده ٠
البين : الموت ٠
النساوين : النساء
أي انها تنادي نفسها وتتمنى ان تنسى وتكون مدة الحمل سنة وحالة الولادة سنتين ثم تلده ويأخذه الموت وهي تفضل ذلك على العار الذي يأتي من النساء في إثارتها

الوحم

ان حالة الوحم تدل على ان المرأة (حامل) أو (حبلة) أو عندها شي) أي انها حامل ، و (يمشي بالطريق) ويقصد بذلك الوليد الجديد. وتختلف النساء في شعورهن بالحمل فمنهن من يسكتن ولا يخبرن اهلهن ، أو يضحكن لصديقاتهن – دلالة الحمل ، أو تقول لأهلها ، وفي جميع الحالات لا تذهب المرأة الحامل الى أهلها (بيت ابيها) ، ومرد ذلك الخجل ٠

اما الوحم فيعبر عنه بانها (تتوحم) أو (تتنسه) ، ومظاهر الوحم هي

– انها تشتهي الاكل كثيراً ٠
٢ – تكون نفسها ميالة الى القيء ٠
٣ – رأسها يصاب بالصداع ٠
٤ – تبخلخل رؤية عينيها (تسورب) ٠
٥ – تبقى نائبة (منهسته) ٠
٦ – تكره بعض الاشياء ٠
٧ – تحب بعض الاشياء ٠
٨ – تكون مختلة القوى ٠

لذا ، تتخذ المرأة وقاية نفسها لتتلافى الاعراض المصاحبة للوحم :
١ – تبتعد عن رؤية خسوف القمر (وعند الرؤية يظهر على وجه او علباء الطفل أثر وردي اللون) ٠
٢ – حتى (لا تنفس شي) أي انها لا تشتهي شيئاً الا ويعمل لها حالاً والا فانها بعد حك جسمها في اي موضع فان اثراً سيظهر في موضع الحكة والاثر يمثل الشيء الذي اشتهته المرأة بعد ان بلعت ريقها ٠

وتفسير الوحم ، يكون على انه من الله تعالى ، وتكون هناك مضاعفات او اخطار تنتج من عدم استجابة رغبات المتوحمات ٠

إحتياطات وتجهيزات الحمل

ليست هناك احتياطات تراعى اثناء الحمل ، لا بالنسبة للزوجة ولا للزوج ، لكن عملية تفسير الحمل وتطوّر الجنين عندهم هي انه اولاً يسير (كالسَلْبوح) ثم كلّما يكبر (يلبط ، يرفْ) ثم (يعچِّسْ) اي تظهر له عكوس ، مرافق • وهناك قصص ونوادر غريبة عن الحمل ، فقد تلد المرأة خنزيراً أو حصاناً او غيرهما على انها حيوانات مشوهة •

امّا الأجهاض فيُسمى (الطَرِحْ) ويفسرّ الناس سبب إجهاض الجنين بان (حملها ثقيل) أو (ظَهَرَ ـه رجيج) أي ظهرها ركيك ، أو عن ضربة أو (عَليك يَلّله) اي بدون سبب معلوم ، لكن الشيء المؤكد عليه ان الأجهاض يكون بسبب تعرّض المرأة لما يثقل عليها •

ويمكن التنبؤ بجنس الجنين قبل ولادته اذ ان الولد (يِرْفْ) في الشهر الرابع من حمله ، والبنت (ترْفْ) في الشهر الخامس ، مع ذلك فان المسألة ليست قياسية •

ولا بأس للمرأة الحامل ان تسمع أنواعاً من الحكايات على انه يستكره أمامها ذكر الأرنب والثعلب بل حتى رؤيتهما لانهما مبعث هموم كما في اعتقاداتهم ، على ان المرأة الحامل لا يجوز لها الاشتراك في العزاء وزيارة المقابر ، ولا تأثير للالوان عليها فانها ترتدي من الملابس اي لون يعجبها •

وحسناً لو لم تسمع المرأة الحامل قصة فلانة التي اجهضت جنينها•
وتمنع الحامل عن الخروج من بيتها في شهرَيْها الأخيرَيْن ، وتمنع من كنس الارض وغسل المواعين لأنّ ذلك يؤثر على ما في بطنها • وقد اعتاد أهل الزوجة على الاستعداد والتجهيز لاول مولود تلده بنتهم •

الوضع

اذا وضعت المرأة وليدها فهي (دَجيب) وانها (تطْلَكْ) أو (تولِدْ) ، وهنا تبرز جملة استعدادات في جلب اليانسون والحلبّة والحبة الحلوة (مجموعات من النبّات) ، وكل ذلك يُغلى ثم يُعطى الى الطفل في مدة ثلاثة أيام من ولادته أو (يلَّطعْ) دبس ودهن ، أو دهن وسكر أو يانسون وكمون ، وكل ذلك لكي ينزل الحليب بعد ان تكون الأم قد شعرت بحمّى وعليها أن (تلْهَم) لوز ونبات لكي يقوى قلبها (تِلْزَمْ كَلْبْها) بشرط ان لا يُؤثّر عليها أو حتى الاصوات تؤثر عليها وعلى الحليب بالتالي •

ولا يعتقد مطلقاً في وجود افعال وممارسات معيّنة تسهل عملية الوضع ، امّا العلامات المعروفة للوضع الحقيقي فتُحدّدها القابلة او

احدى قريبات المرأة فتقول : (كل شي ماكو ، يَبّاسي) للتي لا شيء في بطنها لذا (يِدهنوهَه بْدَهن) •

ولا تفضّل امكنة معينة دون غيرها لأجراء الوضع فقد تكـون في منزل الحامل الخاص أو عند أسرتها أو في منزل والـدي الـزوج واذا (عَسَّرتْ) فحينئذ تلد في المستشفى ، ولكن الملاحظ حالياً ان المستشفى اصبحت هي المكان الذي تلد فيه اكثر النساء لانها علامة من علامـات السلامة •

وبالنسبة لطعام الحامل الوالدة توّاً فيحقْ لها ان تأكل كل مـا تشتهي وبالنسبة للشرب فيمنع عنها الماء البارد ، واثناء عملية الـولادة تكون هناك مساعدة للقابلة ويُختار لذلك امرأة كبيرة خبيرة في شؤون الولادات ، نعم ، تقرأ سورة الكرسي ويوضع القرآن على رأس المرأة او تشجّع بالكلام ، وتُقدّم لمساعدة القابلة هدية اعتاد اهلي تقديمها وهي دينار واحد وللقابلة ثلاثة دنانير وتسمى القابلة : (جابْلَة)او(حَبوّبَة) أو (كَبّالَه) بلام مفخمة •

واذا ولد أذّن في اذنه اليُمنى وأقيم (من الأقامة) في اذنه اليسـرى ويكون ذلك بعد قطع الحبل السري وتلبيس الطفل •

والمرأة التي تموت اثناء الولادة هي في نظر الناس دخلت الجنّـة ، اما التي تلد ويموت أطفالها عند الولادة فهي عندها (تابْعَة) وهي نفسها (مَتْبوعة) وهناك لابد ان يفتش عن (جريْنتهما) أي قرينتها التي سبّبت لها كل ذلك ، فتربط نفسها لأحد الأولياء بغية استعداد نفسها للولادة ، وقد تعالج بان تلبس في قَدَمَيْها نعل حصان ومعه سبعة مسامير (بشرط ان يكون من مسامير الجسور) وتكون على هيئة خلخال ، واذا توفيـت الأم فسيكون الابن في رعاية أهل زوجها على الاعم أو عند أهل الزوجة حتى اذا كبر التحق عند أبيه ، وهناك عبارات تُقال للتي وضعت توّاً :

ـ حَمْدَ الله على السلامة (= عَسّلامَة) •
ـ الله يخلّيه (للذكر) ، يخلّيهَه (للانثى) •
وعند ولادة بنت يقال لامّها :

ـ حمد الله عَسّلامه واتمامَت الخِلْقة ، بطن التجيب البنيّة تجيب الوَلَدْ •

ومعناها الحمد لله على السلامة وتمام الخلقة وان البطن التي انجبت بنتاً تنجب ولداً •

ومن حالات الوضع الغريبة ان امرأة قد ولدت توأمين مُلتحمي الظهر وذي وجهين •

الوليـــد :

بعد ان تكون الأم قد وضعت وليدها ـ ذكراً كان أم انثى ـ يُقدّم اليها اليانسون والكمّون • وهناك نَبات يُسمّى (جف مريم) يوضـــع في الماء فحينئذٍ ينتشر وهو في الماء وقيل لي انه يستورد من السعوديـــة اثناء الحج •

امّا بالنسبة للزوج اثناء وضع زوجته فان الملائكة (تْهفّي) لــه • والخلاص والحبل السري عند العامة هـــو (السِــر) او (الصّره) ويتخلص منه بان يُقَصّ بمقدار ثلاثة أصابع والباقي يبقى مع (الجارة) ويربط من تحت بقطعة من القطن الطبّي •

هذه حدود مقالتنا ، بعدها يستمر الوليد في النشوء والبلوغ •

ملاحظة :

لقد استفدنا من المنهج الذي عرضه الدكتور محمد الجوهري وعبد الحميد جواس والدكتورة علياء شكري مؤلفو كتاب (الدراســة العلميــة للعادات والتقاليد الشعبية) •

مراسم المآتم في الفرات الاوسط

زينب حسن شربه

الانسان دائم الصراع من اجل الحياة والبقاء فيهـــا دون زوال ، ولكن ••• لابد للانسان من الزوال لقول الله تعالى في آياته الكريمة :

«كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » ليترك مكانه لنزيل الانسان فمهما كانت قدرة الانسان وتحصيناته لا يستطيع ان يمنع وصول الموت اليه فقد قال الله سبحانه وتعالى :

«اينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيده »

وعن الموت قال الشاعر :

كـــل البشـــر بالكـــون الربـــه مطلـــوب
جـــوه التـــراب يصـــير بگصتـــه مكتـــوب

لقد تعددت أسباب الموت فمنهـــا الحرق والقتـــل والغرق ومنهـــا الامراض المختلفة وهي آفة البشرية فنرى ان هناك موتاً فجائياً وموتـــاً غير فجائي ولندع الاول ولنبحث الثاني •

الوصية

عنـــدما تسوء صـــحة المريض (تتراده) يجلس بجانبـــه الأهـــل والاقرباء فيكتبون وصية فان كانت له ثروة يوصي بها مقسماً اياها حسب

ما يريد وان لم تكن له ثروة يوصي بالمحافظة على اهله واطفاله ويكتب في وصيته اسماء الائمة .

الشهادة

يمدد المريض على الارض منبطحا على ظهره وقدميه نحو القبلة الاسلامية ويديه مبسوطتان الى جنبيه ثم يبدأ احد الجالسين من الرجال الاخيار حيث يقول له قل :

أشهد أن لا اله الا الله فيرد المريض خلفه
وأشهد أن محمدا رسول الله فيرد المريض خلفه
واشهد ان علياً ولي الله فيرد ايضاً خلفه
وان لم يكن رجل بجانب المريض يحق للمرأة أن تتلو الشهادة .

ساعة الموت

عند موت المريض (طلعت روحه) تغمض عيناه من قبل أقرب الناس اليه وان بقي ينازع سكرات الموت (يعالج) يجلس بقربه رجل من الاخيار ثم يقول له :

ابو فلان — هاي الدنيه مغفور العنهه — ليغويك ابليس — انعمه لبليس ابكلبك — گول نعلتله على الشيطان — حط الرحمن ابكلبك لتخاف — ردد اسماء الائمه الثنعش — الدنيه بعد متفيدك ولا تنفعك — هاي الدنيه للفناء وهناك البقاء — هناك ايحضرك ابو الحسن

وعند موت المريض يغطى بغطاء نظيف فتبدأ النساء بالصياح (بچو) والعويل لحبهن الشديد للميت واخبار الجيران بموته فيرسلن على العدادة (الملة) قبل حمل الجنازة فتأخذ العدادة بالتعديد ويختلف التعديد (والنواعي) حسب شخصية الميت فمن التعديد على الوالد تقول :

يابوي ياسنسول حيه ويا خيمه ونگمد بفيّه

وعلى الام تقول :

يهل الواگفه طولج صبابه وياگرنفله براس العصابه
ويا شايله راس الگرابه

وعلى الشباب تقول :

برمله علي فرشن عبيهم ودزوا على الشاعر يجيهم
وعراريس ومحنين ايديهم
رملة علي صارت ضمان وبيها حيادي وجمع نسوان.

وعلى الاطفال

رملة علي فرشوا بواري وخذوا فرش وخدوا زوالي.
ونصبوا سرير الصبي عالي

اعلان الموت

يفرش الرجال (الحصران) على جانبي الطريق قرب بيت المتوفى معلنين بذلك موت احد نزلاء الدار فكلما جلس رجل على (الحصيرة) قال بصوت مرتفع الفاتحة فيقرأ الجالسون الفاتحة بصوت منخفض وفي اثناء ذلك توزع السكاير

إخراج الجنازة

يأتي الرجال بتابوت من المسجد ثم يدخلون به البيت ويضعون فيه المتوفي ويحملونه فعلى كل (عتبة) تصادفهم عند خروجهم من الدار ينزلون ويحملون الجنازة ثلاث مرات حتى تكون عاقبته خيراً عليهم • فيتعالى صياح النساء ويحاولن مسك النعش وعدم الخروج به ولكن الرجال تبعدهم عنه

تغسيل الميت

يغسل الميت رجل ان الميت رجلاً وامرأة ان كان الميت امرأة فيغسل الميت بالصابون فينظف تنظيفاً جيداً بالسدر ثم يوضع في حوض الكر لشطفه ثم يوضع الكافور على جبهته وفي راحتي يديه وعلى كافة أنحاء جسمه وهذا التغسيل اما ان يكون في البيت وهذا نادر جدا واما في كربلاء في مكان خاص يسمى (المغيسل) وهذا هو المنتشر الان ثم يكفن وذلك بلفه بقماش (خام) ابيض بعد ان يوضع قماش على جسمه مشقوق من المنتصف ليدخلوه فيه فيسمى (بگيره) ثم يضعون على رأسه عصابة بيضاء و (وزره) على نصفه الاسفل هذا اذا كان رجلا اما اذا كانت امرأة فيضعون لها (وزرات) بعدد ازواجها ثم تلف بقطعة قماش بيضاء بعد هذا ان كان رجلا أما المرأة فيضعون عليها (الحبره) وهي قطعة قماش بيضاء مكتوب عليها آيات قرآنية ثم يرش على الميت ماء (الزمزمية) وهو ماء من بئر زمزم في مكة

تبيات الجنازة

وعند الرجوع بالجنازة من كربلاء الى بيت المتوفي يأتي احد الاقرباء فيخبرهم بقدوم الجنازة فيتعالى صياح النساء ويبدأن اللطم أما الجنازة فأما أن توضع في أقرب مسجد واما في البيت وهذا هو الافضل عند أعالي الحلة لقولهم :

نيال مِن مات وبيِّته بات

لان هذه الليلة تسمى (ليلة العمر)

لطم النساء

(تلطم) النساء بأوقات معينة من لحظة الوفاة الى يوم الاربعين فاوقات (اللطم) هي :

١ – (تلطم) النساء عند اخراج الجنازة من الدار فتمزق بعضهن ثيابهن وينشرن شعرهن
٢ – (تلطم) النساء عند الدخول بالجنازة بعد تغسيل الميت
٣ – (تلطم) النساء عند الخروج بالجنازة لدفنها
٤ – (تلطم) النساء عند رجوع الجنازة
٥ – (تلطم) النساء في الصباح والظهيره والمساء لمدة ثلاثة ايام او خمسة ايام او سبعة
٦ – (تلطم) النساء عندما تاتي لهم نساء من مدينتهم او من غير مدينتهم ومعهم (مله) ويسمى هذا اللطم (مواجهة) او (ملاگه)
٧ – (تلطم) النساء في البيت وعلى قبر الميت بعد مرور اربعين يوماً على الوفاة
٨ – تلطم) النساء بعد مرور سنة كاملة على الوفاة

طَريقة اللَطْمْ

تقف نساء اهل الدار والاقارب على جهة واحدة ومن تاتي من النساء تقف امامهم

فالنساء الكبار يرتدين (الهاشمي) و (البويمه) والشابات يلطمن بالملابس الداخلية فقط

تلاوة القرآن

عند المجيء بالجنازة بعد تغسيل الميت يأتون بقارىء ليتلو عليه سور القرآن الكريم في المسجد ان كان الميت في المسجد وفي البيت ان كان الميت في البيت

حَمل الجنازة

وفي الوقت الذي يتفق عليه تحمل الجنازة على الاكتاف من قبل الرجال ذاهبين بها الى المكان المخصص لوقوف السيارات حيث تسير خلف الجنازة مجاميع الرجال وكل واحد يسارع الى حمل الجنازة لفترة ليصيبه الثواب أما الجالسون على جانبي الطريق الذي تمر فيه الجنازة فنراهم يقفون اجلالاً للميت واحتراما له

فان كان المتوفى شاباً وضعوا صورته في مقدمة النعش وكللوها بمجموعة الورود

التَشْييعْ

يتقدم الجنازة بعض الرجال يسمون (المشيعين) وهما اثنان في اكثر الاحيان فكلما انتهى احد من تشيعه بدأ الاخر واما نص التشييع فهو :

لا اله الا الله
وحده لا شريك له
وحده لا شبيه له
وحده لا مثيل له
له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير

صلاة الميت

عند وصول الجنازه بالجنازة الى النجف الاشرف يدخلون به الى مرقد الامام وهم يقولون : لا اله الا الله . وعند دخولهم المرقد يدورون به حول المرقد ثلاث مرات قائلين أيضا (لا اله الا الله) عدة مرات ثم يخرجون به الى الساحة المحيطة بالامام (الحضره) فيصلون عليه كما عملوا ذلك في كربلاء .

والصلاة على الميت هي خمس تكبيرات حيث يتلون الشهادتين بعد التكبيرة الاولى والصلاة على محمد وآله بعد التكبيرة الثانية والدعاء للمؤمنين بعد الثالثة والدعاء للميت بعد الرابعة وبالخامسة تتم الصلاة .

بعد ان يحفر القبر بعمق (گامه ورلعة ايد) وعرضه حوالي متر مربع يحفر الحفار على أحد الجوانب (لغم) يسمى (اللحد) ويكون عرضه شبر واربعة اصابع وطوله بطول الميت .وقبل انزال الميت في القبر يدخل احد اولاد او اقرباء المتوفى ليرى جودة الحفر ثم ينزلون بالميت الى داخل القبر ثم يوضع في اللحد فيضعون تحت رأسه طابوقة ثم يفتحون ربطات الچفن الثلاثة الموجودة قرب الرأس وعلى البطن والقدمين ثم يضعون كفه الايمن تحت خده الايمن

التلقين

يخرج الحفار بعد ذلك من القبر فينزل فيه الملقن (رجل مؤمن) فيكون التلقين على نوعين :

التلقين للرجال وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم
اسمع واعلم وافهم ياعبدالله وبن عبده
اذا اتاك الملكان المقربان
فقل لهما بلسان عربي فصيح

الله ربي جل جلاله
ومحمد نبيي
وعلي امامي
وفاطمة سيدتي
والحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة امامي
وعلي بن الحسين امامي
محمد الباقر امامي
جعفر الصادق امامي
موسى الكاظم امامي
علي موسى الرضا امامي
محمد الجواد امامي
علي الهادي امامي
حسن العسكري امامي
(الحجة) صاحب الزمان امامي
عجل الله فرجه ٠ يضعون ايديهم على رؤوسهم

ب ـ التلقين للنساء

يختلف تلقين النساء عن تلقين الرجال بنص واحد ففي تلقين الرجال يقول الملقن :

اسمع واعلم وافهم ياعبدالله وبن عبده

اما في تلقين النساء فيقول الملقن :

اسمعي واعلمي يا امة الله وبنت امة الله

ردْ الترابْ على القَبرْ

يخرج الملقن بعد التلقين فيدخل الحفار فيغلق فتحة (اللحد) بالطابوق ثم يخرج ليرجع التراب الى الحفره حيث يقول والواقفون ايضا (**رحم الله من أهال التراب**) بعد ذلك ترجع الجنازة الى اهاليهم ٠

الثالثْ (الفاتحه)

يأتي ابن المتوفى أو أحد أقربائه بالقارىء ليتلو الآيات القرآنية في المسجد مستقبلين المعزين لمدة ثلاثة أيام أو خمسة أيام فيوزعون في اثناء ذلك القهوة والسكاير وعند دخول المعزي يقول الفاتحة بصوت مرتفع فيبدأ الجالسون بقراءة الفاتحة بصوت منخفض

اما الواقفون لاستقبال المعزين ويطلق عليهم **(الوگافة)** فيأتون لهم بالطعام من اهل الميت

العدّه

شروط العده

تحتم العده على المرأة التي توفى زوجها الاول (رجل اصباحه)

١ – وجود من يتكلف اعالة صاحبة (العده) ·
٢ – مدة (العدة) ٤ أشهر وعشرة ايام ·
٣ – تبدأ (العده) اما بعد مرور اسبوع على الوفاة واما بعد مرور اربعين يوما لكي تذهب معهم لزيارة الميت في الاربعين او تبدأ (العده) من ثاني يوم الوفاة ·
٤ – لا يجوز لها ان ترى ذكرا الا ابن اخيها وابن اختها ونسيبها واخاها واباها واولادها وعمها ابا زوجها وعمها·
٥ – اذا شاهدت غير هؤلاء بغير تعمد تزيد على مدة (العده) عشرة ايام
٦ – لا تخرج من الدار الا بعد انتهاء مدة (العده)
٧ – لا يجوز مشاهدتها للحامل
٨ – لا يجوز ان تحمل الابريق للتوضؤ به وانما تحمل (شربه)
١٠ – توطيء صوتها عندما تتكلم

ومن معتقدات اهالي الحلة ان المرأة التي لم تلتزم(بالعدّه)وعليها واجب العدة فانها تطوق رقبة زوجها بطوق من حديد الى يوم تموت حيث يخلعون طوق زوجها ويضعونه حول رقبتها ·

الصدّه

اما اذا انعدم الشرط الاول وهو عدم وجود من يتكلف اعالة زوجة المتوفى فلا تستوجب (العده) بل تستوجب عليها الصده

شروط الصده

١ – ان تخطف تحت الجنازة ثلاثة مرات عند رفع الجنازة
٢ – لا تخرج كثيرا
٣ – تزيد حجابها
٤ – لا تنظر الى الذكر كثيرا (مچابس ابوجهه)
٥ – لا تطيل التعامل عند الشراء

جمع الميت

الجمعة الاولى :

يدعون الرجال على ان ياتوا لتناول العشاء عندهم فيذبحون (العگيگه) ويطبخون انواعا من الطعام ثم ياتون بقاريء ليقرأ الآيات الكريمة وبعض التواشيح الدينية قبل البدء بالطعام حيث وضعت امامه

صينية فيها الشموع والبخور وماء الورد بعد ذلك يهـــدي (الهدّيه) الى الميت وعندما ينتهي كل شخص من الطعام يقول الفاتحه فيردد الباقون بصوت منخفض تلاوة الفاتحة ·

اما الجمع الباقية التي تأتي قبل الاربعين فيوزع فيها الطعام عـلى الجيران والفقراء و (الملالي)

الاربعين

يعمل أهـــالي الميت الحلاوة من الرز كمـــا يعملون معهـــا الكليجه (الخفيفي) او (الجرك) فيرسلون اطباقاً من الحلاوة وعليها (الخفيفي) او (الجرك) الى الاقارب والجيران والاصدقاء ليخبروهم بان يوم الاربعين قد حان وتسمى هذه من قبل مستلمها ب (الحواله)

فتأتي (المله) فتنعي لهم أولا ثم تقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله الحمد ، خمس مرات والجالسات يرددن بعدها وتسمى هذه (الهدّيه) ويضعون في صينية شموعا وبخورا وماء الورد ثم يرش مـــاء الورد على الجالسات بعد ذلك تقرأ سورة من القرآن الكريم ثم يقوم اهل الدار والناس للطم فيأتي الناس لهم لمراجعتهم ·

بعد انتهاء اللطم او في اليوم الثاني يذهب اهالي الميت والاقـــارب وبعض الاصدقاء الى قبره (فيلطموا) عليه ويوزعون الطعام والماء يرشونه على قبره بثوابه و (يشعلون) الشموع والبخور على قبره

سنة الميت

عند مرور عام على الوفاة يعملون الحلاوة و (الخفيفي) ويوزعونها على الناس و (يلطمون)

في رمضان

وفي الأيام الثلاثة الاولى من شهر رمضان يعملون (گعده) أي تجلس النساء وتنعي (المله) لهن وهن باكيات ·

في عيد الأضحى

وفي عيد الاضحى يذبحون له بقرة وتسمى (ضحيـــة) ويوزعـــون طعامها على الناس

العادات والتقاليد

١ – يعملون حلاوة التمر مـــع الخبز ويوزعونها على مصلي المسجد وقت الغروب (اصفرار الشمس) حيث تقرأ عليها احدى الجالسات قبل توزيعها سورة ياسين حيث تعطى في اليوم الاول ثلاثة ارغفة مـــع الحلاوة وفي الثاني خمسة ارغفة وفي اليوم الثالث سبعة ارغفة ·

٢ – وضع شمعة موقدة عند مكان المتوفى لمدة ثلاثة أيام ·

٣ – تجلس النساء باكيات مرتين في الاسبوع أو مرة فتسمى هذه (الگعدة) الى يوم الاربعين ·

٤ – لا يجوز ان توزع السكاير احدى نزيلات بيت المتوفى
٥ – لا يجوز كنس الدار المتوفى فيه من نزيلاته
٦ – تعمل نساء الجيران الشاي و (ورد ماوي) ليساعد النساء على البكاء وحتى لا (يشوطون) آتين به الى أهل المتوفي
٧ – تبقى ثلاثة ايام تلطم على نفس الشاكلة من (نزعت ثوبها) خلعت ملابسها ونثرت شعرها
٨ – يرتدي أهالي البيت وبعض الاقارب والجيران الملابس السوداء لمدة اربعين يوماً او لسنة كاملة
٩ – لا يحلق أولاد المتوفى وبعض الأصدقاء ذقونهم الا بعد سبعة أيام او اربعين يوما

اسم الراوية : مله عباسيه
العمر : ٦٠ سنه
محل الولادة : حلة – محلة الكراد
اسم الشهره : مله عبيسه
المهنة : ملايه – عداده

اسم الراويه : مله وزيره تاج الدين
العمر : ٥٦ سنه
محل الولاده : حله – محلة المهدية
اسم الشهرة : مله وزيره
المهنة : ملايه – عداده

اسم الراويه : مله فوزيه
العمر : ٤٠ سنة
محل الولادة : حله – محلة الجباويين
اسم الشهره : مله فوزيه
المهنه : ملايه – عداده

اسم الراويه : سيد تقي
العمر : ٦٧ سنة
محل الولاده : حله – محلة المهديه
اسم الشهره : سيد تقي
المهنه : قاري – عاقد قران (مومن)

اسم الراويه : هاشم علوان
العمر : ٦٠ سنة

محل الولاده : حله ـ محلة التعيس
اسم الشهره : ابو علوان
المهنه : عامل كهربائي ومؤذن

اسم الراويه :السيد كريم عبود
العمر : ٥٥ سنه
محل الولادة : حله ـ محلة التعيس
اسم الشهره : ابو محمود
المهنه : عطار

اسم الراويه : سعيده حسن
العمر : ٤٢ سنه
محل الولادة : حله ـ محلة الطاق
اسم الشهره : ام حسين
المهنه : حفافه

اسم الراويه : السيد محمد السيد عبدعلي
العمر : ٤٧ سنه
محل الولادة : حله ـ محلة الجباويين
اسم الشهره : ابو جاسم
المهنه : مصور شمسي

فلسفة مابعد الموت في الفكر الشعبي في الفرات الاوسط

شاكر هادي غضب

ان الانسان محتاج في فهمه للعالم المحيط به لفهم ذاته من جهة وفهم ما وراء هذا العالم من جهة ثانية . وفهم الصلات بين العوالم الثلاثة : عالم الذات وعالم الطبيعة وعالم ما وراء الطبيعة . فنشأت من جراء ذلك علوم لكل هذه العوالم . وقد رفض بعض العلماء تسمية العالم الاخير – اي عالم ماوراء الطبيعة – بالعلم ، ويرون تسميته بالفلسفة . فاسمينا هذا البحث ب «فلسفة ما وراء الموت» لأن الموت يشغل حيزا كبيرا في عالم ما وراء الطبيعة . وعندي ان هذا الوجود حقيقة هامة واساسية في كل محاولة لفهم الانسان والتعرف على احواله العقلية ونزواته العاطفية وحقيقته كقيمة روحية هي جزء من العالم المكون من شيئين : **الوجود والعدم ، الحياة والموت ، الطبيعة وماوراء الطبيعة .**

يقال ان اسهل العلوم هي العلوم الطبيعية ، واصعب العلوم هي علوم ماوراء الطبيعة ، اما علم الذات فهو وسط بين سهولة ذلك وصعوبة هذا . والذي نريده ان حياة مابعد الموت هي جزء من هذه العلوم مجتمعة، فالموت علم من العلوم الطبيعية وعلم ذات وعلم غيب روحي – ان صح هذا التعبير – وكما اسلفنا ان الاخير اصعبها وهو الذي نريده في هذا البحث . والعلاقة بين الموت وهذا العلم هي علاقة محسوسة لا ملموسة . نتوصل

اليها لا عن طريق التجربة والكشف بل عن طريق الاستقراء والاستنتاج والتبحر • فلذلك كثيرا ما نوقشت هذه المسألة على افتراضات دينيه وفلسفية متعددة • فشاعت من جراء ذلك اعتقادات ونظريات على المستوى الفكري والعامي • والاخير مايمكن ان نسميه «الاعتقاد الشعبي» وسنعود الى ايضاح هذه النقطة بعد ذلك •

ان الموت – كما قلنا – يشغل مساحة واسعة في فكر العالم وليس فقط «الفكر الشعبي» فألفت في ذلك الكتب العديدة التي تحوي افكاراً مختلفة لفلسفات هي بعض علوم ماوراء الطبيعة التي اشرنا اليها • ولعل اكثر ماشغل العالم هو «الخوف من الموت» حيث تصوروا انه مجموعة من الآلام أو الشقاء • فلقد قال الفيلسوف شوبنهور : « لله مما أعجب الموت لا يكاد يمس الحي باطرافه الباردة حتى تنقلب تلك القوة المفكرة المدبرة الفعالة الى جمود الصخر ، يلقى بها في جوف القبر الصامت وكأنها بعض تربته ! » ويروى عن سليمان بن عبدالملك انه سأل يوماً ابا حازم ، قال : يا ابا حازم ما لنا نكره الموت ؟ فاجاب : لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم آخرتكم ، فكرهتم ان تنتقلوا من عمران الى خراب • وقد قال الامام علي ع : «استهينوا بالموت فان مرارته من خوفه •» وحينما بلغ الفيلسوف الساخر برناردشو الثالثة والتسعين من عمره قال : « ان الموت يطرق الباب وهو ضيف لا أرفض الترحيب به » •

والموت في الفلسفة الاسلامية حياة أخرى أفضل من الحياة الدنيا بكثير اذا توجت بسلوك معين ، وأتعس منها اذا وضعت ضمن اطار خاص • فوضع الله للاولى ثواباً هي الجنة وللثانية عقاباً هي النار • ولا ادري ماذا تريد القيم الروحية بهاتين الكلمتين ، فهل تريد النار مجردة او شيئاً غير ذلك ، والجنة هل تعنيها كما نفهمها في الظاهر ام انها لتدل على مفهوم معين ؟ هذا ما سنتركه للفلاسفة يتمذهبون به • وما اتينا على هذا الذكر الا لكي يدرك القارىء العلاقة الواضعة بين البحث والفلسفة الاسلامية ورأيها بحياة ما بعد الموت •

ظروف وميادين البحث :

ينتمي بحثنا هذا الى منطقة الفرات الاوسط وبالاخص المنطقة التي تقع بين محافظتي بابل والقادسية • ولما كان سكان هذه المنطقة يدينون بالاسلام ويتمذهبون بالتشيع ، اي الشيعة الامامية ؛ نود ان نوضح – وبدون اي تعرض من جانب البحث للدين او مذاهبه اياً كانت – ان لهذا علاقة فيما سنقف عليه من عقائد بحياة (مابعد الموت» على مستوى الفكر الشعبي • طبعاً لا ننكر ان العامة ، كعادتهم في اي شأن ، يزيدون الحقيقة خرافة،ويخلقون ما يرونه موافقاً لعقيدتهم وتفكيرهم من اعتقادات

معينة . بل ويهولون ويبالغون دون اي حساب لاتجاه معين . ومما قمنا به من البحث الاحصاء الميداني فقط ولم نعلق الا في مواضع نراها بائسة بدون هذا التعليق .

مصادر العقيدة الشعبية بحياة ما بعد الموت :

قلنا ان سكان مناطق هذا البحث يؤمنون بالدين الاسلامي . لذلك فان ما يعتقدون به نقل اليهم عن عدة طرق اهمها : —

١ — قراء المجالس الحسينية والوعاظ وغيرهم .

٢ — الكتب الدينية الجيدة والرديئة دون حساب لتقييمها . المهم انها تشبع فضولهم .

٣ — ماوضعوه انفسهم وتناقلوا اخباره شفاهاً .

واعجب مافي الامر انهم لا يعرفون حقيقة الفلسفة الاسلامية ورأيها بالموت والحياة الاخرى . والاعجب من ذلك انهم يعتبرون معلوماتهم هذه صحيحة وكاملة — على تناقضها — ولا يقبلون الجدال فيها على اساس انها حقائق دينية ؛ التمذهب بها من بعض الكفر

البداية :

قبل ان نبدأ باحصاء ما استطعنا الوقوف عليه من عقائد الفكر الشعبي بحياة ما بعد الموت ؛ علينا ان نبين بعض القضايا المتعلقة بها كامتداد لحديثنا . فعندما يبدأ الشخص يجود بآخر انفاسه يقولون عنه انه **(ايعَالِج)**(١) فيبادرون الى ملعقة صغيرة يشربونه بها الماء على شكل دفعات متقطعة . وتسمى هذه بـ **(التَنْكِيط)**،(٢) قال الصوت الشعبي :

لا تظن عيني إتنـــام وطبـــك جفنهـــا
مثـل التنكط المــاي يشـــگر لبنهـــا

ويكون احد القراء قربه ليقرأ له بعض الايات القرآنية والادعية المسماة عندهم **(العَديلَه)** . وثم آخرها يكون قد رددمعهم **(الشَّهَاده)** وهي : « أشهد أن لا اله الا الله . محمد رسول الله . علي وأولاده المعصومين بالحق اولياء الله» . وعندها يصبح في عداد الاموات حيث يقوم اقرب الناس اليه بـ (تَغْمِيض) عينيه ، ثم تقرأ له سورة (الفاتحة) . ويبدأ حينها النواح والعويل وشق الثياب ولطم الصدور وتبضيع الخدود بالاظافر . واذا كان الشخص رجلاً عملت لـه **(عراضه**(٣)**)** يهزج فيها الرجال بـ (الهوسات) ، ويرافق ذلك اطلاق النار . وعندما تمر فترة من الزمان ، قد تطول او تقصر تبعا لظروف معينة ؛ يبدأون **(بتشييع)** الجنازة ووضعها في **(تابوت)** خشبي أو (شريجه) من القصب للنسوج **بالحبال المعد** بشكل بساط يلف بـه الميت بملابسه . ثم تلف **بغطاء يسمى عندهم**

(**البرده**) وبعضهم يستعيض عنه بـ **(الايزار)** أو (**الشـف**) . وينقل الجنازة في التشييع اربعة رجال يتبادلون بشكل غير انتظامي اذ كل يحاول المشاركة في ذلك رغبة منهم في اداء جميل لأهله أو مشاركة في العزاء . وموكب الجنازة ترافقه النسوة بعويلهن والاهازيج والاطلاقات حتى مسافة معينة تطول بحسب مكانة الشخص الاجتماعية واليوم جعلوهـــا حتى موضع السيارة التي تحمله . اما في السابق فيرافقونه حتى مدينة النجف حيث المقبرة العتيدة . وسواء ركبوا في سيارة ام ساروا معه فانهم يطلقون عليهم اسم (جنّازه) ، وعلى اهل الميت عمل وليمة لهم في ليالي الجمع التاليـــة بحساب ان هذا الذي يأكلونه يعتبر ثواباً للميت .

عَلَيش اِتنُوح والدُنيِ ونَاحي
اخُوتيِ اِجنُود بالدُنيَه ونَاحَي
لا تفْرَح يهَالشَامِت وَنَاحي
اِفرَح لُوسَرَه[4] الجَنَاز بيه

وبعد وصوله المدينة المقدسة يتم تغسيله وتطهـيره بـ **(المغيسل)** المكان المعهود ــ اعاذنا الله واياكم منه ــ ويكون هذا التطهير بطريقة خاصة بغسل الميت بالماء والكافور والسدر مع بعض القراءات . وقد استحدثت عادة قريبة العهد ، ربما لا تتجاوز الستينات ، هي غسل الميت في كربلاء قبل تشييع الجنازة .

ويتبع الغسل (التكْفِين) **بقطعة قماش بيضاء يلـف بها جســمه** بطريقة خاصة . ثم ينقل الى صحن الامام **علي ع حيث تقرأ لــه صـــلاة** الموت من قبل القراء المعنيين . **ثم يطاف به على الضريح ثـلاث مـــرات** ، وبعدها يذهبون به الى المقبرة . **وفي هذا الاثناء يكون** متعهد الدفن المشهور باسم **(بهلول)** و **(ابو اِصيبِع)** وغيرهم قد كلفوا بعض عمالهم بحفر قبر للميت في المكان الذي يختاره اهل الميت . ويجب ان تنقل الجنازة الى القبر بثلاث نقلات يسمونها **(التَلِث حطات)** :

خَيَرتِج[5] المَخلُوك	**ر'وحِي الله يِبلاج**
عِند التَلِث حَطَات	**وانتِي بْرِجه اِهْـــواج**

ويقرأ له **(الدَفّان)** بعض الادعية والتعويذات .

وعندما ينزل الى القبر توضع يده اليمنى تحت خده الايمن حيث يجب ان تلامس التراب . وهنا يقول الجميع : «**رحمَلِه وَلَدَيه مِنْ وَدَ التُرَاب**» حيث يشارك الحاضرون بازاحة التراب في القبر ، ويعتبر هذا العمل عندهم ثواباً . وهم لا ينسون ان يضعوا على تـــراب القبر قطرات من المياه كرمز لبعث الروح .

ولما يعود الجميع الى بيوتهم يكون اهل الميت قد صبغوا الثياب :

جيبولي جدر النيــل خَل اصبغ الثــوب
توه(٦) انتهى الـدلال منهم فرد ثــوب(٧)

ونصبوا العزاء الذي يستمر سبعة ايام مع اعداد الولائم حيث يسمون ذلك (فاتحه)(٨)او لثلاثه ايام ويكتفى بالشاي والقهوة والسكاير حيث يسمونها (ترحيم) • وللنسا عزاؤهن المطرز بـ (النواعي) والبكـاء والندب و (التشعير) ••• وكل ذلك يعتبر نوعاً من المجاملة والواجب

أما القبر فيبنون عليه بعد مضي حول أو بعض الحول بناءا دائريا من الأعلى وله وجه كتب عليــه بالحفر : « انا لله وانا اليه راجعون هـذا قبر المرحــوم فلان بن فــلان توفى في اليوم الفــلاني • الفــاتحة » وقد تزاد هذه الكلمة بآيات واشعار وحكم ومراثي • وكلما كان بناء القبر عالياً دل على مكانة صاحبه • وبعض من صاحبهم ضيق ذات اليد فانهم يتركون قبور موتاهم بدون بناء حيث يطلق عليها اسم (دوارس) •(٩) وهي في نظر الكثيرين او على الاقل عند هؤلاء الفقراء اكثر جزاءً واثــوب آخرة ، والله أعلم •

الليلة الاولى :

يعتقد العامة ان الليلة الاولى في القبر من اصعب ليالي حياة مابعـد الموت على اعتبار انه لم يعتد الحياة في حفرة صغيرة مغلقة ليس فيهـا منفذ لهواء ، ولا مانس لحزمة ضوء • يحيط به التراب من كل الجهات بل ويكتم « انفاسه» ويقلق نومته الازلية • وقسم كبير منهم يعتقد ان الحساب يبدأ في هذه الليلة • بل ويذهب الآخرون الى ان ملكي الحساب «منكر» و «نكير» ياتيان اليه » وهما يذكرانه بالحياة الفانية ، والاعمال التي قام بها خلال حياته الاولى ، والويل له اذا كان من ذوي «السوابق» وارباب الذنوب • ويروى عن هذين الملكين ان احدهم يحمل سوطاً والآخر يحمل عموداً من الحديد ، وجميعها اعدت للموتى تبعاً لاعمالهم • قال الصوت الشعبي :

ياعينـــي اترفين كــود الله يستـــر
تتحـاسـبين وياي صرتيلي(١٠) منكــر

ملك الموت :

ان ملك الموت ، او كما يلفظونه (ملج) (١١) (الموت) ، عندهـم هو الطيب الـــذكر (عزرائيل) أو كما يلفظونه (عزراين) وفي أمثالهم : (عزرايين هم ينطي منكه) ويضرب للعجول • وعزرائيل هـذا يقبض الارواح ويذهب بها الى خالقها ، وهم يعتقدون ان الميت يراه بـل ويكلمه ساعة الوفاة • وتصل السذاجة ببعضهم الى تصور ان عزرائيل

يذبح الموتى ذبحاً بسكين . وانه يعذبهم قبل ان يأخذ ارواحهم ، لذلـــك قالوا عن الشخص الذي يعالج سكرات المـــوت : (يعالج بالعزيز .) او (ينازع بروحه) . قال الصوت الشعبي :

شتحمـــل يالـــدلال رَيتْ الله ينبـــلاك
وانتــــه ابنزاع المـــوت وتحـــن عله اهوالك

واطرف ما سمعته عن عزرائيل ان امه لامته على قبضـــ الارواح باعتبارها مهنة ليست فيها رحمة . وان النساء ـ لاحظ ان هذه الحكاية تعتبر من متداولات النساء ـ سوف يدعون الله عليه ليقبض روحـــه . فقال لها ان الذنب ليس ذنبه ، وبامكانها ان تتأكد بنزولها الى الارض وتسال . فكان ان نزلت وسالت فما وجدت لابنها ذكر اذ كان يقـــول كل منهم السبب لوفاة اهلهم ، فهذا مات بالجدري وآخر بالتيفوئيـــد وثالث غرق ورابع قتل ... وهكذا اطمانت على ابنها من دعوات النساء.

ان هذه الحكاية بالرغم من سذاجتها المتناهية فانما تدل على ايمان الفكر الشعبي ببند من بنود الفلسفة الاسلامية المتمثلة بالآيـــة الكريمة : «وجعلنا لكل شيء سبباً » ولتؤكد فيما تذهب اليه حرارة الدعوات على المتسببين بضرر الناس وظلمهم اياهم .

ويروى ان عزرائيل سالوه عن الموقف الذى ابكاه خلال قبضـــه لارواح الناس ، فذكر لهم انه جاءت امرأة ومعها طفلان الى شاطىء نهر تريد عبوره خوضاً . فكان ان حملت احد الطفلين على ظهرها ووضعتـــه على الشاطىء الآخر ، وعادت لكي تحمل الثاني . فامرني الله بقبضـــ روحها فماتت وانحدر جسمها مع التيار وبقى الولدان يبكيان من رزئين حلا بهما ، الاول موت والدتهما والثاني بعد احدهما عن الآخر .

وعن الموقف الذى اضحكه قال : ان عاد بن شداد لما بنى جنتـــه المعهودة وأكمل مرافقها واستعد لدخولها متكبرا مغرورا طاغيا باغيـــا . وما ان وضع قدمه على سلم باب الدخول آمرني الله ان اقبض روحـــه . فضحكت وروحه بين يدي على كل باغ لا يطيع الله ولا يأتمر بامره . قال الصوت الشعبي :

يتولـيفي يتخيرون(١٢) يالنتوه(١٣) دارج(١٥)
حتى ويه عـــزرايين دونك لعـــارج(١٥)

الروح :

تعتبر عند العامة مادة قد لا تفصل عن الجسد في بعض الاحيان . وقد يتصورون انها بعض من الجسد .. رأس مثلا او عين . ولا اهمية عندهم للتفريق الفلسفي بين الجسد والروح . وهم لا يعلمون ان الروح

ليست مادة ، بل هي نوع من الاثير كما يقول الفلاسفة ٠٠ والا فلماذا يعتقدون ان الموتى احياء جلوس في قبورهم ؟ وفي احيان اخرى يعتقدون ان الروح يقبضها ملك الموت السالف الذكر عزرائيل لتذهب الى السماء، ويخصون بها الذات القدسية ٠ فهم يقولون في عباراتهم (أخَذْ رُوحَه الله) ورغم هذا لا يمكنهم التصور انها بعيدة عن الجسد ٠

كما يؤمن الهندوس بتناسخ الارواح يؤمن البعض من العامة بان روح الانسان تذهب الى انسان آخر يولد او سيولد ، وان هذا له علاقة بالعقاب والثواب ٠

وبعضهم يقول ان الروح تذهب الى القبر ، تأخذها الملائكة قبل ان يصل جسد المتوفى ٠ وآخرون يذهبون الى ان روح الميت تبقى قرب اهله مدة من الزمن حتى تطمئن عليهم ٠ ويعللون ذلك بتعبيرهم : «إلَه نَفِسْ بِينْهمْ» ٠

الجســـد :

ومن اعتقاداتهم ان الجسد يفنى بينما الروح باقية ٠ وهذا مطابق لواقع الفلسفة الاسلامية ٠ وهم يقولون ان اللحم يأكله الـدود ، وفي ايمانهم العامية : **(وْدَاعَتْ عَيْنِي إليَاكِلْهَا الدُّود)** ومن امثالهم : (اللَّحَمْ لَلدُّودْ) او (كِتِرْ(١٦) مَمْدُود وكِتِرْ للدود)٠

اما العظام فباقية وهي التي تحيا عند البعث ايمانا منهم بالقـول المأثور : «يحيي العظام وهي رميم»

قال انصوت الشعبي :

يَاوِلِفِي مَانْسَاكِيشْـس٠(١٧)　　لْكرگع(١٨) الخـام
لِمَنْ تْمُـرْ وتَكُـــول　　المَـن هَالعَظـــام ؟

وهم يعتقدون بان الانسان اذا قتل غدراً ودفن لابد ان تلفظ الارض جسده لانها لا تريد ان تشترك في غدره والتستر على المجرمين ٠

القبر :

«الموت حق والقبر حق» هكذا يقولون في قراءاتهم عندما يدخلون الميت بكفنه الى القبر ٠ فللقبر عندهم مكانة رهيبة هي في اغلب الاحيان صنوة للموت ، لذلك فهم يخافونه ليلاً ولا يدوسون عليه في سيرهم :

الأرْضْ كِلْهَا أرْوَاح　　خفـف مشـيتك
حَتَّى عَلَى الميتِيـنْ　　عمْـتْ أذيتـك

والقبر يعتبرونه سراً من الاسرار الالهية لاحاجة فيه لابن الدنيا سوى ان يقف عنده ويندب ٠ ان هناك احساسا طبيعيا لديهم بان القبر لا يحوي جسما فقط بل روحا ايضا بما عندها من اعمال صالحة وطالحة ٠

حيث يقولون في امثالهم : (الكَبَرْ صَنَدْوكْ العمل) ، وقالوا كذلك : (ازهد الزاهدين من لم ينس القبر) • وفي الدعاء يقولون : (اللهم يسر علينا الموت ونجنا من عذاب القبر) •

وعالم القبور عند العامة قائم بذاته ، ربما اعتبروه مدينة تسكنها الاموات او ارواحهم وهم جلوس فيها يعلمون بما يدور في الدنيا وينتظرون الثواب ويسترزقون للاهل •

النيه (١٩) :

في رأي العامة ، او لنقل في رأي بعضهم ، ان الانسان يحاسب في الحياة الاخرى على «نيته» في العمل • وهو رأي اسلامي لان رسول الله(ص) قال : «انما الاعمال بالنيات» وهذا يعني : (ان الانسان الذي يحب عمل قوم يُشرك معهم) على حد تعبير امامنا زين العابدين (ع) لجابر الانصاري عندما لم تسمح له الظروف بالمشاركة في واقعة كربلاء المشهورة • وفي مجتمعنا الان نماذج تحاول المتاجرة والخداع بما يسمى عندهم بـ (الحيل الشرعية) في الربا والبيع والشراء •• ولا غرو انهم واهمون لان الله يعرف ما في القلوب •

الحساب :

ان يوم «القيامة» هو يوم الحساب عند المسلمين • وفيه لا يبقى حي على وجه البسيطة ، بل يتغير كل شيء • ويقال ان الارض تصبح منبسطة• ويجتمع الخلق كل في انتظار دوره ، وحينها تشهد جوارحه عليه باعماله في دنياه لينال جزاءه ثوابا او عقابا • ويرى العامة ان الشخص المحاسب يمشي على (الصِّراطْ المُسْتَقيمْ) وهو عبارة عن خيط دقيق – على حد اعتقادهم – فاذا كان الشخص من المثابين اجتازه وان كان غير ذلك سقط باعتباره من اهل النار •

ويرى آخرون ان الله يحاسب العبد على كل شيء فعله مهما كان صغيرا • ويروى في هذا المجال ان احد اهل الجنة كانت فيه علامة سوداء فسألوه عنها فقال لهم انه كان صالحا تقيا طوال حياته فلما مات ادخله الله الجنة • وبعد مدة اخذوه الى النار ، وهناك سألوه ان كان عليه ذنبا بحق احدهم • فلما انكر واجهوه مع رجل من اهل النار قال له انه مر يوماً على دار ذلك الشخص فاخذ عودا لنبش اسنانه • فعلى هذا يجب ان يطفيء به احد اصابعه • وهكذا دس اصبعه المحترق بجسمه فظلت تلك العلاقة السوداء •

البعث :

تبدأ القيامة ببعث الروح واحياء العظام وهي رميم • ومن اولى علامات هذا اليوم ظهور (الصّاحِبْ) او (صاحب الزمان) او (المَهدي) او (المُنْتَظَرْ) او (الغائبْ) او (الحجّه) ، وهو الامام الثاني عشر

الذي غاب ويعود في آخر الزمان • وبعد ان ينفخ الله ريحاً يعدم فيه كل وسائل الحياة الحديثة ومنها ادوات الحرب • فيحارب الامام الكفار بسيفه الذي يقال انه سيف جده الاعلى علي (ع) المعروف بـ (ذي الفقار) او (سَيف الفقّار) كما يلفظونه • ويملأ الارض عدلاً بعد ان ملئت ظلماً وجوراً ، فمن اتبعه نجا ومن خالفه هلك • وان رسالته هذه الى جميع العالم •

وفي زمانه يظهر شخص يقال له (الاعور الدجّار) او (الاعور الدجّال) ، وهو يغوي الناس ضد الامام الحجة بوسائله الشيطانية لانه الشيطان نفسه على ما يعتقدون •

ويقال ان الحجة يحكم العالم اما ثلاث سنين او ثلاثين سنة او ثلاثمائة سنة • وبعد هذا تطوى الارض طي القرطاس لتبعث الموتى ويكون الحساب •

المسخ :

قد يعتبر هذا العنوان غريبا بعض الشيء ، ولكن العامة يعتقدون بان الشخص المتوفي اذا ارتكب في حياته اثما كبيرا فانه لا يدفن في النجف بل يمسخ الى حيوان عند وصوله الى منطقة قريبة من النجف اسمها (جَري سعده) • لذلك فهم يقولون لصاحب الآثام : **(اظنَّك ما توصَل جري سعده)** ولا ادري مم تصوروا وهم يدفنون موتاهم بايديهم وينزلونهم الى القبر جثثا باردة ؟

التشفع

يرى العامة ان النبي محمد (ص) يتشفع للمسلمين عند ربه يوم القيامة • وهو لا يترك احدا يعذبهم • وحتى يقال انه لايدع احدا يدخل النار اللهم الا اذا كان قد طفحت جعبته من كثرة الذنوب • ومن هذا قالوا في امثالهم : **(كل الناس اتصيح يا روحي بَس محمّد إيصيح يا أمّتي)** • ومن المتشفعين الآخرين الائمة الاطهار وخاصة الامام الحسين (ع) الذي يتشفع لزائري مرقده وللباكين على مصيبته • وفي هذا المجال يقول العامة ان اي باك على الحسين لا يمكن ان يدخل النار ولا حتى ان تمسه • وان كل قطرة من الدمع سكبت بسبب تلك النكبة لا تقدر بثمن •

والعجيب ان البعض يعتقد ان الجنة والنار بيد الائمة يدخلون اليها من شاءوا دخوله • والدليل على ذلك هذا العاشق الذي يريد الذهاب الى الامام العباس حافياً لكي لا يدخله الجنة ، فقط يمن عليه بمعشوقه ،

قال :

أزد امشي للعباســن حافـي إعلى ظلنفـي
الجنة مَردنَهـــاش(٢٠) يُطينـــي ولنفـي

والدليل الكبير على ايمان العامة بتشفع الائمة ، دفنهم موتاهم في مدينة النجف التي تعتبر مقبرتها من أكبر مقابر العالم ، ان لم تكن أكبرها اطلاقاً ٠ وفي هذا يرون ان الامام علي لا يمكن ان يترك ضيفه يدخل النار ٠

وصف الجنة :

يصف العـامة الجنة بأنها حديقة كبيرة غناء فيهـا ما تشتهي الأنفس وتسر القلوب من فواكه ومأكولات ٠ وان فيهـا سواقي تجري بمشارب لذيذة كالماء واللبن والحليب والخمر وغيرها ٠ وفي الجنة (حُور يّات) ليس لهن شبيه ، يختار المؤمن منهن ما يطيب له ، ويقمن له مقام الزوجات ٠وفيها ايضا قصور ، لكل شخص واحد منها ، وتتبع عظمة القصر درجة ايمانه ٠

وبعضهم يقول انه في الجنــة تجمع الخلان ٠ وحارس الجنة اسمه (رضـْوان) ٠ قال احد الشعراء :

لو لِحِتْ كَوكَب ومِن تمشي غِصن
تلتفِتْ جِالَريمْ يَارب الحِسن
غَافَلَتْ رضوانْ بالجَنّة اظِن
وأنتِه للدنيـا من الجَنّة اطّلعتْ

وصف النـار

ومما يصفون به النار أنها شديدة الحرارة تتقد دوما ، وان حطبهـا الكفار أنفسهم ، أو كما يقولون عن الكافر أنه (حطب جهنم) ٠ وان سكنتها بعضهم يأكل من لحم بعض طعاما اسمه (الغسلين) ٠ وانهم يستنجدون بالله دوما ويقولون أعدنا لنعمل صالحا ٠ وفي النـــار حراس قساة غلاظ القلوب لا رحمة لديهم ٠ ويعتقدون أن للنار درجات أشـــدها (السعير) وبعدها (صقر) و (جهنم) ٠٠٠

وان لكل نوع من الكفار نار تتبع مدى اغراقه في الاثم ٠

ومما يقال عن اهل النار انهم يحاولون الاتصال باهل الجنة فلا يجدون لذلك سبيلا في حين ان أهل الجنة يستطيعون مكالمتهم ٠ وهم لا يكلمونهم الا في سيئاتهم الماضية واعمال دنياهم ويلومونهم لوما عنيفا يقال ان ارواحهم تزهق منه فيضاف ذلك الى عذابهم ٠

الاحكام :

لبعض احكام دخول النار نهاية ٠ فبعضها يوم واخرى شهر وثالثــة سنة او عدة سنين ٠ اما صنف هؤلاء الذين يدخلون النار لمدة قصيرة فهـم مؤمنون ارتكبوا آثاماً قليلة ٠ ولما تنتهي مدة الحكم يأخذونهم الى حوض

فيه ماء مقدس يزيل تفحم اجسامهم نتيجة احتراقها في النار • وبعد ذلك يدخلون الى الجنة وفي اعناقهم – وبعضهم يقول في ارجلهم – علامة سوداء لتدل عليهم •

مجمل عن الثواب والعقاب :

اريد هنا ان اتكلم عن مجمل للقيمة الفلسفية لمادة «العقاب» و«الثواب» عند العامة على اساس علاقتها التفصيلية بحياة مابعد الموت للوصول الى الخلود الذي تبتغيه معظم الفلسفات الدنية • ولا اريد تحقيق خاصية معينة في هذا المجال لان تقييم العلاقة بين الانسان والاله كثيرا ما سارت على طرق مختلفة – عند العامة خاصة – تبعا لوضوح رؤياهم العقائدية والاجتماعية والمنافع في ذلك فوضعت اصولا لا علاقة لها بالحقيقة •

فالصلاة تعتبر الواسطة الخيرة لتقبل الاعمال ، والصوم المكمل لها ، وبعد ذلك تدخل الاخلاق الحميدة • ورغم ان الاسلام اهتم بتنظيم الدولة سياسياً وعسكريا واقتصاديا ، الا انه وضع لذلك حدودا ، تخطيها – في رأيهم – رغم تغير الظروف يعتبر خطيئة • وللخطيئة عندهم مكان واسع ضمن هذا الموضوع ، فمن استنكار الصغائر الى التساهل في الآثام الكبيرة على اساس المغفرة بعد التوبة الصحيحة والخوف من الله • نرى مثلا انهم يقولون بان الرجل الذي يقارب الخمرة لا يمكن ان يرى الجنة ، او بتعبيرهم : **(إضْلوعَه ما تْجيس** (٢١) **الجنّه)** وسار هذا الحكم على ناقلها وبائعها والمتستر على شاربها • اما حالق لحيته فكالفاعل بامه في الكعبة • وحتى حرموا سلام المؤمن على غير المؤمنين • واستبشموا مقاربة المتدينين بالاديان الاخرى ••• وفي جانب آخر نراهم غفروا لشخص قتل مائة نفس لانه عمل عملا ••حتى انهم لم يتصوروا ان عنتر بن شداد سيدخل النار فاختاروا له مكانا يامن شر غائلها •

وللمغفرة عندهم ابعاد يصح ان نقول عنها انها معادلة كيمياوية يجب ان تكون جزيئاتها متساوية ليحدث التفاعل ، فالمغفرة هي عبارة عن عملية تعادل بين الايمان والكفر ، وتحاول ان تضع الحل النفسي للكثير من مشاكل مجتمعنا افراداً وجماعات •

اما الايمان فهو العلاقة الحقيقية بين الانسان وربه رغم ان تقييمها ليس من السهولة التي توضحها هذه العبارة ، فالمؤمن عندهم قد يكون فاعل خير او متصوف او كثير العبادة او مجاهد او صاحب عمل مجيد او قارىء قرآن ••• الخ • ورغم ان الصلاة واسطتهم لهذه الاعمال مجتمعة الا انهم احيانا تهون لديهم نظرا لـ (رَحْمَةَ آللهْ آلْواسْعه) على حد تعبيرهم •

في الاحلام :

يقال ان الاحلام وسيلة الانسان للتعبير عن رواسب وأسرار مما يشغل باله ولا يستطيع الاباحة بها ۰ ولما كان الموت والعقاب والثواب والجنة والنار ، أهم ما يشغل بال العامة ، فلذلك انطلقوا في أحلامهم يرون مالا يستطيعون رؤيته في الحقيقة ۰ فمما يذكر انهم يرون الجنة وسكنتها ۰ وربما يؤولون ذلك ، فاذا رأوا شخصا بملابس بيضاء فانهم يقولون انه من اهل الجنة ۰ وكذلك اذا رأوه يعمل عملاً صالحا ، اوفي حديقة غناء ذات شجر وماء ۰

اما اذا رأوا الميت في ارض قاحلة او بحالة رديئة او يعذب او يحمل حاجة لا يستطيع حملها ۰۰ قيل انه من اهل النار ۰

واذا طلب منهم الميت حاجة عرفوا انه بحاجة الى ثواب فعملوا له وليمة وقرأوا له (الفاتحة) او تصدقوا له بتلك الحاجة ۰

واذا قال للحالم اريد فلان فان ذلك يعتبر تنبؤاً بوفاة الرجل المطلوب ۰

عند الأئمة :

يتصور العامة ان ائمة المسلمين (ع) لازالوا في قبورهم احياءً ، وان المقتولين منهم لازالت دماؤهم نازفة كانها جرحت اليوم ۰ يحكى ان احدهم حفر احد قبور الأئمة ، يدفعه لذلك ايمانه او ربما حب استطلاعه، فوجد الامام وفي يده قطعة قماش اراد حل عقدتها ليأخذها للتبرك ، فوجد الدماء لا زالت نازفة ، فتركها وهرب ۰

ورغم تسليمنا بفضل الائمة وكراماتهم الا انني لا اصدق هذه الحادثة ۰ ولا بد هنا من توضيح حقيقة هي ان للأئمة مكانة مقدسة في نفوسنا جميعا على ان لا نتصورهم في الحالة التي وصفتهم بها الحكاية المذكورة ۰

زيارة القبور :

عندما يزور العامة قبور اهلهم في المناسبات وغيرها فانهم يتكلمون معهم ويتعاتبون مع قبورهم كما يتكلمون مع الاحياء ، ويصاحبها العويل والبكاء ۰ ولم افرق يوما بين هذه المشاهد ما نشاهده في المسرحيات التراجيدية ۰

وفي هذه الزيارات يتصدق الاحياء لموتاهم ويعقدون مجالس العزاء والفاتحة ، ويوزعون الماكولات والفواكه ، وما ذلك عندهم الا ذكر للموتى وهو في حسابهم ارضاء لارواحهم بينما هو في حقيقته «تحقيق ذات» لا اكثر ۰

مما قالوه في امثالهم عن هذا الشان :

«لا أطُبْ لَلْمكَبْرَه ولا اسمعْ بْواجي»۰(٢٢)

الثواب :

للثواب منزلة كبيرة عند العامة فهم يعملون ولائم باسم المتوفى في أيام معينة وحتى سنوات عديدة ويعتبرون ذلك وسيلة لابعاد الذنوب عنه وواسطة لدخوله الجنة · والأصل فيها أن يتصدقوا له على الفقراء بالمأكولات، الا أنهم جعلوها ولائم عامرة يتجاملون بها فيما بينهمويتسامرون على موائدها اللذيذة ·

· ويقال للثواب ايضا (تَرْحِيمْ)(٢٣) وهم يقرأون فيه سورةالفاتحة· ويعتقدون انها تأتيه علىهيئة ضوء في ظلام قبره الدامس ، او على هيئة نسمة هواء عليلة ؛ فيسأل الميت عنها فيقال له ان أهلك ذكروك ، فيقول : (يِذكُرْهُمْ الله) ·

اما اهم ايام الثواب عندهم ومناسباته : ـ

١ ـ ايام ((التَّرْحيمْ)) وهي ثلاثة ايام او سبعة بعد الوفاة مباشرة ·

٢ ـ ثلاث ليالي جُمع بعد الوفاة · ويدعى لها الذين ذهبوا في موكب الجنازة · ويوزع في هذه الليالي تمر معد بطريقة خاصة ويسمونه (حَلاَوَة مَيِّتْ)

٣ ـ بعد مضي أربعين يوما ويطلق عليها اسم (الاربعين) ·

٤ ـ بعد مضي سنة كاملة ويسمونها (دُورَة السَّنَه)

٥ ـ في رمضان وبالاخص ليالي الجمع وليلة القدر وليلة وفاة الامام على بن ابي طالب وليلة (الخَوْارَه)

٦ ـ (العَقِيقَه) وهي ذبيحة تعمل كوليمة كبيرة · وليس لها مناسبة معينة · ويجب ان يهمس (الملا) في اذن الذبيحة كلمات خاصة ·

٧ ـ (الفِطْرَه) وهي عبارة عن طبيخ الحليب بالتمن ويسمونه (بَحَتْ) لثلاث سنوات في كل عيد فطر ·

٨ ـ (الضَّحِيَّه) وتعمل في عيد الاضحى على ان تمر على الذبيحة ثلاثة اضاحي اي ان يكون عمرها ثلاث سنوات · ويجب ان يكون جنسها موافقا لجنس المتوفى ·

٩ ـ ثواب الائمة : ويكون هذا في مناسبات وفياتهم ، وهي اما ان تكون نذورا او تقربا ، وفيها يقرأون الفاتحة الى كل المؤمنين ·

١٠ ـ عند زيارة القبور في المناسبات وغيرها ·

١١ ـ (السَّبِيلْ) وهو ايجار قلة ماء بارد لتوزيعها على الزائرين وغيرهم في الاماكن المقدسة · وبائعو هذه القلل يسمون واحدهم (السقه) ·

راي آخر في الثواب :

بعض العامة يقولون ان ما يُعمل للميت من ولائم وقراءات ··· وغيرها من مظاهر الثواب ؛ لا يصل اليه لانه ليس مما يعطيه هو من

ماله الخاص · لذلك فالثواب يعتبر لصاحبه الحي يسجل له كعمل جيد يفيده في آخرته · ويذهب آخرون الى ان الثواب نوع من التظاهر الاجتماعي ليس للميت فيه حصة ·

تغميض العيون :

قلنا ان الميت يغمضون عينيه ، وهذه عادة معروفة في معظم انحاء العالم · الا ان فكرنا الشعبي له في ذلك رأي · فهو يعتقد ان الميت اذا لم تغمض عيناه بقى في العالم الآخر وهو ينظر الى مكونات قبره فيفزع · او تبقى كما يعبرون عنه (إعْيُونَه مَشَبْشُوحَه) حتى يحين موعد الساعة· قال الصوت الشعبي :

گبـل المنيـه بيــوم وتحضـرني يهــواي
اتغمض اجفون العــين وتنـگط المـاي

الميتة عن عسر ولادة :

تعتقد النساء ان التي تموت منهن نتيجة اصابتها بعسر الولادة وتذهب دارها الباقية تقوم (حوريات) الجنة بتوليدها ·

الحديد :

ينفر العامة من سرقة الحاجيات الحديدية لانهم يعتقدون انها سوف تُحمّى في العالم الاخر ويعذب بها سارقها · وكذلك الحال بالنسبة للحطب والبتروليات وكل ماهو ذو علاقة بها ·

الشتائم :

الشتائم والسباب هي الدعاء بلعن الروح بالفاظ خاصة على اعتقاد منهم ان ذلك يكون سببا لايذاء المتوفى نتيجة لحادثة من الحوادث المتعلقة به او باهله ·· والشتائم عكس الدعاء بالرحمة لروحه ·· وهي ان كانت متعاكسة المعنى فهي متعاكسة الغاية ايضا · وبعضهم يعتقد انها تؤذي المتوفي والاخرى تفيده بينما يعتقد اخرون انها عبارات اجتماعية لا اهمية لها عند الموتى فعقابه وجزاؤه معلوم تبعا لأعماله لا الى علاقاته الدنيوية ·

ليلة القدر :

يقول العامة ان الموتى ينتظرون ليلة القدر بفارغ الصبر لانهم فيها يجتمعون وتاتيهم فيها (رَحْمَاتْ)(٢٤) من الدنيا حيث ان اهلهم يعملون (ثَوَابًا) بتوزيع الماكولات وخاصة (تَمُرْ الخِسْتَاوِي) الممزوج بالطحين والدهن ، ويسمونه (تَمُرْ گَدُرْ) · وتذبح في مثل هذه الليلة في كل بيت العديد من الطيور · لانهم يرون موجباً لاراقة دم لكل ميت من اهلهم وخاصة من كانت وفاته قريبة ·

الخَوّارَة :

وهي ليلة رمضان الخامسة عشر ، وهم اطلقوا عليها اسم (خَوّارَه) لان الموتى فيها (يَخُور'ون) اي يترددون الى اماكن بعضهم · وعلى سبيل النكتة يقول البعض ان الموتي (يَتَعاركون) في هذه الليلة وعلى اهله عمل ثوابه من (كِسُور) الذبيحة اي مفاصلها ليتزود بسلاح جيد لينتصر في عراكه ·

الحيوانات :

واذا سالتهم عن الحيوانات ، ما طريقها؟اجابوك بان جميع الحيوانات تدخل الجنة ! ولا حساب عليها ، فانه ليس لها عقل كالانسان يفرق بين الصالح والطالح · وهي تاكل من حشائش الجنة وتشرب من مائها · ولا ادري هل تعيش مع انسان العالم الاخر ام ان لها جنة خاصة ·· او جزء من الجنة ؟

الكفار :

الكافر هو الانسان الذي لا يطيع الله ولا يؤدي فرائضه ، بل ولا يؤمن به ، وله عقاب من الله هو دخوله النار · ولكن الفكر الشعبي يؤمن بان بعض الكفار يدخلون الجنة ! فتعجب وتسالهم، فيقولون لك ان الله غفور رحيم ، فقد يكون من الكفار من عمل عملاً جليلاً يستحق الثواب · روى احدهم انه رأى في الحلم فلاناً – وكان فلان هذا من ذوي الآثام المعروفة – في الجنة · فلما سال عنه قالوا له انه قتل رجلاً – لاحظ ان القتل من الذنوب الكبيرة – اساء بفاحشة الى قبر فتاة ·

وفي هذا المجال ان حاتم الطائي – رجل لم يدرك الاسلام – لكرمه يعتبر من اهل الجنة · وكذلك الحال بالنسبة لعنترة بن شداد ، وغيرهم ممن اشتهروا بصفة معينة · وقد يقولون ان هؤلاء لا في الجنة ولا في النار، بل اعد لهم مكان آخر ، صحيح انه لا يحوي خيرات الجنة الا انه ليس فيه عذاب النار · وهم يعبرون عن ذلك بقولهم «بَيَنْ الجَنّه وبَيَنْ النّار» ·

الفقر :

لفقر الانسان علاقة بالصبر والاحتمال ، وهو ما اوصت به الفلسفة الاسلامية مؤمنها ؛ فمن هذا انطلق الفكر الشعبي ليؤمن بان الانسان مهما كان فقيرا في دنياه حصل على احسن الدرجات في آخرته · ومن هذا المنطلق زهد الكثيرون وعافوا خيرات الدنيا وسكنوا قبورهم وهم احياء ·

الوهمة في الوفيات :

قد يتوقف قلب الانسان عن العمل نتيجة حادثة معينة وتعلن وفاته · وقد يصل الاستعداد بعملية دفنه الى درجة بعيدة المدى ، وقد

يُستعد لدفنه • ولما كان هذا التوقف وقتيا فان القلب يعود الى العمل فينتبه الشخص ومن حسن طالعه انهم لم يدفنوه •• ومهما كان السبب في ظهور علامات الموت الكاذب على الشخص فان الفكر الشعبي لا يعترف بالتعليل العلمي بل انهم يقولون انه صار خطأ بقبض روحه او كما يعبرون عنه : (إتْوَهمَّوا بيهْ) او (صارَت وِهْمه بيه) • وتؤثر مثل هذه الحالات عادة على الاشخاص المصابين وخاصة على حالتهم النفسية والعقلية فيصورون اشياء يبدأون بقصها على السذج فيخال لهم الامر حقيقة • وانا شخصياً سمعت باكثر من حادثة من هذا النوع • وكم اضحك لما اتذكر اني صدقتها في فترة من فترات حياتي •

الكلاب والقطط :

تعتبر هذه الحيوانات صديقة وفية للانسان العامي خلال حياته • لذلك فهم يعتقدون ان المرأة او (أم البيت) او (راعْيَة البَيت) كما يعبرون عنه ؛ مسؤولة عن اطعامها وهن يحاسبنها في الدار الاخرى ، بل ويمنعن عنها ما منعت عنهن في الدنيا • وقد سمعت احداهن تروي حكاية انها رأت في أضغاث أحلامها امرأة متوفية تعرفها ، رأتها في أرض غناء والماء يجري في سواقيها • ورغم ذلك فانها كانت عطشى لان كلباً كان لا يدعها تشرب من الماء • فلما سألتها عن السبب قالت انها كانت لا تعطيه ماء •

الاطفال :

يعتقد العامة ان الموتى من الاطفال يدخلون الجنة بدون حساب ، اذ انهم ابرياء وليس عليهم واجبات دينية فلذلك ليس عليهم ذنوب يحاسبون عليها كما يفعل مع الراشدين •

ومما يرونه بشكل حكايات تتناول هذا الموضوع :

يروى ان رجلاً عاث فساداً حتى مل ومن اعماله نبش القبور للحصول على اكفان الموتى وبيعها • وبعد تفكير في الموت والحياة الاخرى والعقاب ، جاء الى احد المجتهدين يستفتيه في امره طلباً للمغفرة • الا ان ذلك المجتهد استعاذ منه بالله وطرده شر طردة لانه لا مغفرة لمن عمل مثل اعماله •• واعاد الكرة مع ذلك المجتهد ، قبّل قدميه وبكى بين يديه وجرت دموعه على خديه • فلم ير بداً من استشارة ربه ، فأمله • وفي المنام اشار عليه الله انه اذا اراد مغفرته فليضع جذعاً يابساً في ارض قاحلة ولينتظر اخضرار ذلك الجذع ••وبلّغ المجتهد الرجل وعمل بما اشار عليه، وأخذ يبكي قربه ويسقيه بدموعه حتى بانت نواجذه بعد أن عمل الدمع

جروحاً في وجهه .. وغفر الله له فظهرت في الجذع وريقات خضراء . ولم يكتف الرجل بذلك بل بقي قرب الجذع يبكي حتى مات .

ان في هذه الحكاية فلسفة صوفية تحمل معنى لطلب المغفرة بعد الاثم الشديد . ورغم مغالاة مؤلفها الا انها تبين بوضوح وجهة نظر العامة الى معنى الغلو في العبادة والتصوف . وايضاح الى ان الله يغفر مهما بلغ الذنب .

يقال ان الامام علياً (ع) مر على قرية قرب مدينة الحلة فيها نهر اراد عبوره فوجد قرب النهر جمجمة انسان . فقال لها : يَاكُرْكُرَه وَيـنْ المَعْبَرَه ؟ . وهو يعني بكلمة (كركره)(٢٥) اي انها جمجمة عبد اسود . وكان ان اجابته بانه اذا كان يعرف انها جمجمة عبد ، فهل يستعصي عليه معرفة طريق العبور . ومنذ ذلك الوقت والقرية تسمى : (جميجمه).

فيهذه الحكاية مثل واضح للايمان بالروح وعلاقتها غير المنفصلة بالجسد كما وهي بيان لاعجاز الامام علي (ع) وشدة ايمان العامة به على انصاف منهم لاصله النبوي وشجاعته وفضله وحكمته .

امثال شعبيه عن الموت :

إجاكْ المُوتْ يا تارِكِ الصّلاه : ويضرب للتوقي من الاعمال الشريرة .

تِحِيرْ الكَوْالَه(٢٦) شِيْتِكُول : ويضرب للمدح .

ازْمَالَة القاضِي مِنْ ماتَت كِلْ النّاس مشوا وراهه .. القاضي من مات محد مشة وراه : ويضرب لخوف الناس من الحكام .

من سطح الخَانْ لجَهنّمْ : ويضرب لكثرة الذنوب .

المابيه خير مُوتَه اخَيرْ : ويضرب للئم .

مُوكلْمَنْ يمُوتْ عليه ينْبِچه : ويضرب لاختلاف اخلاق الناس .

الميِّتْ مَيتي واعرفه اشلون مشعُولْ صفحه : (٢٧) ويضرب للشخص الماكر .

الميِّتْ مِنْ يمُوت اتصير كَراعينه إطْوَالْ : ويضرب لتعلق الناس بذويهم المتوفين .

المُوتْ مابيه شماته : ويضرب في ان الموت حق لله على الناس .

مَحِّدْ(٢٨) يكُصْ الرّاسْ غير اليرجْبه : يضرب للشجاعة ، وفي ان الله هو الخالق وهو المتوفى .

اليُضوكْ المُوت يرضه بالصُخُونه : (٢٩) او كما يقولون (بعض الشر اهون)

لا أطُبْ للمكْبرَه ولا اسْمَع بْواچِي : ويضرب للتوقي ٠

---

(١) العلاج ، الجود باخر الانفاس ٠

(٢) من تجزيء الماء نقطة فنقطة ٠

(٣) من الاستعراض ٠

(٤) مشي ٠

(٥) استشرتك ٠

(٦) الآن ٠

(٧) نهائيا ٠

(٨) قراءة سورة الفاتحة ٠

(٩) المختفية ٠

(١٠) اصبحتي ٠

(١١) ملك ٠

(١٢) تصغير كلمة (زغير) اي صغير ٠

(١٣) الآن ٠

(١٤) شاب ٠

(١٥) من العراك ٠

(١٦) جـزء ٠

(١٧) لا انساك ٠

(١٨) القماش الابيض (الكفن) ٠

(١٩) ما ينوي الانسان عمله ، ولو تفكيرا ٠

(٢٠) لا أريدها ٠

(٢١) تمسك ٠

(٢٢) البكاء ٠

(٢٣) الاسم ماخوذ من الرحمن ٠

(٢٤) جمع رحمة ٠

(٢٥) يقال للعبد (كر) ولغيره (مر) ٠

(٢٦) قارلة المدح بالشعر ٠

(٢٧) من الفاظ السباب ٠

(٢٨) لا احد ٠

(٢٩) الحمى ٠

في زواج الصابئة

أديبة الخميسي

لو قمنا باحصائية بين كهول الصابئة لوجدنا تداخلا وتضاربا في المعتقدات اليومية التي تخص الخير والشر وسبل التفاؤل والتشاؤم ونفتقد التشخيص في حالات معينة وظروف طبيعية طارئة لا يمكن افرازها بسهولة لانها تشكيل قلق لما هو عام في جميع البلدان العربية وما جاورها وحتى في بعض البلدان الاوربية ، وان اختلفت الطرق ، الا اننا نقف وملؤنا الاطمئنان في محطات الدين وعلى وجه الخصوص في المهر، فهناك تتوقف الروزنامة عن الدوران لتدافع عن وداعة الحلم البدائي المتفرد بنقاوته الفطرية وتلقائيته الموحية بالفضول مصورة خضوع الانسان الاول للقوى الغيبية والسجود لها وطلب رحمتها ورضاها ، وانماء العقل والمنطق وتسخيرهما لها ، فتكون الكواكب هي الحاكمة وهي المدبرة لمصير البشر ، فاذا اسقطنا زمننا من الحساب وعدنا الى التحضيرات والفعاليات التي يقوم بها رجل الدين ، بطريقة متسامحة متفهمة ، فابمكاننا حينذاك ان نشاهد مسرحية ذات فصلين مقامة في العراء يخرجها الكاهن ويمثلها العرسان بصرف النظر عن النجاح او الفشل اللذين قد نحسهما كمشاهدين ، المتوقع لها ان تنتهي نهاية سعيدة ، غير مبالية بمشاعرنا ، فاذا افترضنا مكان المسرح العراق وهو الممر والمنتجع لكثير

ت٠ش/ع٤/س٤/١٩٧٣

من الاقوام فمن الامانة والواجب اعتبار اختلاف قومياته وأديانه العابرة والنقيمة هدفا للبحث التاريخي المستفيض قبل اصدار القرارات السطحية والاعتراضات الكيفية ، وهذا يحتاج لتفرغ طويل الامد واناة وصبر في الدرس والمقارنة وتحديد منطلقاتها ثم مرساها

وعندما نزحت الصابئة متجهة لمناطق حرية وسلام حطمت رحالها في شمال العراق وايران وتعرضت بطبيعة الحال الى معتقدات شتى فتأثرت نافله غير منقولة مضيفة ذلك الى كتبها المقدسة التي تحتفظ بها في حيزضيق – حتى من عامتها – فتتصالب حد الجمود على مرور الزمن ، فطقوس الزواج بمكوناتها الحاضرة لو نظرنا اليها بمنظار خارجي نجدها تتميزبميزة فريدة في نوعها ٠٠ لامثيل لها في فئات العراق الاخرى فحسب بل في منطقة الشرق الاوسط باسرها – في عصرنا – ويأتي انفرادها من عملية التغطيس المائي ٠٠ الحالة التي تثير انتباه الناس وتوقعهم في لجة فضول لا حدود له ، وحتى نصل الى تلك اللحظات لابد من مسك الاحداث من بداياتها ٠

قبل الخطبة

من الامكان ان يلتقي الفتى بفتاته في حفل عائلي او ديني كما في الاعياد الدينية والاعراس وغيرها ولا وجود للتفرقة بين الطرفين في مناح عديدة ، والصابئية لم تتحجب لاقديما ولا حديثا لكن الاختلاط بتوجيه من الاهل وتحت رقابتهم ، ولقاءات الاقارب محققة ، وقد يكون الزواج بالاتفاق بين العائلتين[١] ويفضل ابن العم ثم يليه ابن الخال فادنى ، ولهم من النظم العشائرية النهوة فابن العم له الحق في ابطال الزواج ان شاء ذلك في بعض العوائل – المعزولة حضاريا – ولكن الاكثرية لا تسمح بذلك وتستشير صاحبة الشأن ولها القول الفصل ، ما عدا زواج العوائل الكهنوتية التي يخضع الزواج فيها لشروط خلقية ووراثية ودينية دقيقة لا دخل لها بالقرابة والحب وانما يجب ان تتوفر نقاوة العرق خاصة اذا كان طالب الزواج من مرتبة (كنزفرا)[٢] فان مسؤولية الاختيار تزداد وقلما يخطئون في هذه الامور ، لان الخطأ معناه سقوط الكاهن من منصبه الديني وما يجره عليه من مشاكل بدنية ونفسية وخيمة ، والعاطفة هنا ليست هي الاساس في الاختيار ويكفي الرضا والقبول والتأهيل الديني بالدرجة الاولى ولكنه يختلف تماما عن زواج الهنود مثلا الذي يمحي العاطفة من قاموسه بهدف تجنب مشاكل الحب عند البلوغ ، فيتزوجون قبل ان تستيقظ الرغبات وتستفز العواطف لهذا ينشط الاهل في عقده لابنائهم في سن مبكرة جداً[٣] ، تلك مسألة توجب الابانة فاذا توفر الحب والشروط الاخرى لرجل الدين الصابئي فبها والا فلا،لان الدين لا يحرم

الحب بل يؤيده على ان يكلل بالعلاقة الشرعية ، وفي كل الظروف لا يكون للاجبار اية وجهة تجيز العقد،وما النصوص الدينية العديدة التي تتضمن تـ لاسئلة على الزوجين وتلقي الاجوبة عنهما اثناء المهر الا توكيد على اعلان رغبتيهما في بناء عش جديد وتمازج عاطفي لا تنفصم عراه ، امـا تقليد نذر الفتاة لاحد الشيوخ او السادة فلا وجود له في شرعهم ، وكذلك اعطاء الفتاة هبة لرجل كي يتزوجها ، لكن الزواج المسمى بزواج الفصل او الزواج المتقابل «گصه بگصه» فيعمل به احيانا ويشاهد للآن ولكنـه غير شائع وليس له نص ديني يسنده مما يدل على انه طارىء ومستحدث

بعـد الخطبـة

صار الاتفاق مبدئيا على الزواج اما بمشاهدة الفتى لفتاته في مكان ما فوقعت في نفسه وقرر ان يرتبط معها للابد ، او اختارها لـه اهلـه ووافق دون ان يراها واكتفى بالوصف الغيبي ، وفي المراحـل المبكـرة تذهب ام الخطيب او شقيقاته الى بيت اهل الفتاة بحجة يختلقنها لامتحان صلاحية الفتاة وربما لا تكتفي الواحدة منهن بزيارة واحدة حتى تقتنـع قبل الاقدام على الخطوة التالية ، وتتدرج في الحديث كان تطري محاسن ابنها فتبالغ في حشد مزايا وهمية تضيفها الى ما عنده لتجعله نبي عصره، او تصور رفضه للكثير من الفتيات بطريقة مؤسية ،وذلك في اطار التفخيم الذي ترجوه كأعلى منزلةواكثر علماوربحا من اقرانه ، وعندما يستقرالرأي يرسل اهل الخطيب كبار السن في العائلة او من وجهاء الدين يطلق عليهم (المشايه) يتصدرهم والد الفتى ليطلب يد الفتاة او يوكل من ينوب عنه كخطوة تمهيدية ، فوالد الفتاة بدوره يضرب موعداً امده اسبوعا او شهراً للمداولة والتشاور ، وعند تراكم القناعات عند الطرفين يتفق على المهـر ومقداره والحاضر والغائب ، والحاضر يطرح في المجلس امام (المشايـة) كشهود عليه وعلى تسمية الغائب ويكون دورهم حسم النزاعات وتقريب وجهات النظر واختبار رأي الفتاة التي قد تحضر بعض جلسات النسـوة ولما تشعر ان الحديث يدور عليها تبتعد وتعمد الى مشـاهـدة ام الفتى وسماعها من ثقب الباب ، فاذا كان بين الاثنين تفاهـم سابق وحـب مكنون ووعدها بالزواج فانها تكتم الفرحة بين جوانحها فيفهم من صمتها القبول ، اما اذا كان رأيها معاكسا فانها ترفض وتنتهي المسألة ، وتشير الدلائل ان الحب كان عونا للعاشقين وعاملا مساعدا في زيجـات كثيرة ، فالرجل الذي وعد بالزواج وتماهل فوعده لا يترتب عليه شيء سـوى خلفيات خلقية وادبية زرعت في نفسه كالشهامة والرجولة تكونان كصمام الامان ضد هجمات التنصل والاحباط ، اما اختطاف الحبيبة دون خطبة أو زواج شرعي او معاشرتها جسديا فهو امر معيب لا يقبله أحد ويبـقى

وصمة عار شنيعة في سجل العائلة لأجيال ، لكن الصابئة لا تقتل غسلا للعار لان القتل محرم دينيا ولا تحدث حوادث تذكر من هذا القبيل ، نظراً للروادع الدينية والاخلاقية الشديدة ، ناهيك ان كان الهرب بتبرير من الفتاة ومع رجل من غير دينها ففي هذا الظرف تخرج من الدين تلقائيا .. وان سويت الامور حسب الاصول المتعارف عليها وبحضور الاهل يتفق على مقدار المهر ، فالحاضر منه قد يكون عينيا يساهم المرشح للزواج في شراء الفراش والدولاب الخشبي (المُحَمَّل) واواني الطبخ وملابس العروس بما فيها العباءة البيضاء ، وبعض الحلي كالقلادة والسوار والمحبس شذر او غيره وحجل فضي أو ذهبي او كلاب،[4] على قدر حالته المالية ، وربما يتجنب الشراء ويتكفل اهل الفتاة بالجهاز وهو يقدم شيئاً يسيرا من الحاجيات والنقود.. بضع ليرات لا تزيد على الخمسة او الستة وقد تصل الى الخمسين والرقم المذكور لا يبذله الا العشاق المعانيد ، والغائب يسجل لها في الدوائر الرسمية امام شاهدين يثق بهما اهلها،[5] ويفضل ان يتوازن الغائب والحاضر والقاضي لا يدقق حرفيا في اتمام العقد لعلمه ان هذه الفئة تبعث على الثقة لندرة حالات الطلاق عندها ، والملابس التي تختص بها الخطيبة (كنيشان) تختارها ام الخطيب او شقيقاته وقريباته بحسب ما يمليه ذوقهن ، والفتاة لا تسأل عن النوع والكم فهي ليست اكثر من متلقية ، وما عليها الا ان تبدي ارتياحها وقبولها دون تبرم أو اعتراض، وقد تلتقي بفتاها ويسرقان الفرص ليتناجيا فقط فليس هناك تخطيط لبيت المستقبل فهي قانعة راضية بالحاجيات المنوه عنها ومجمل اثاث الغرفة يلخصه الشاعر منصور خيطان عنيد في هذه المحاورة (توكلي على الله يا جليلة القدر ، فاذا كان عندك حمل فسوف احمله لاجلك ، فراش جيد الصنع أهيىء لك ، وخادم يغسل قدميك فاتركِ لك جواراً ، توكل على الله ، واود ان تكون الغرفة جديدة ذات فراش مصنوع من (البريسم) قرب اغطية منضدة) وقوله : وخادم .. الخ فاراد به اشعارها انه ندي لا يبخل عليها بشيء ويتفانى في اسعارها ويساويها ببنات الشيوخ . وهذه هي الابيات .

هو : توكلي على الله يا هلجليله
ومن كون عندچ حِمل لجلچ لشيله
افراش الچ مفروش حدرچ نهيله
وخادم غسل رجلين اتركلچ جواد
هي : توكل كون حجره جديده
وافراشها بريسم مراچي النضيده[6]

قبل الزفاف

لا يحين موعد الزفاف الا وتكون العروس بكامل زينتها اذ قامت بحملة تجميلية تبتاع موادها من العطار وبارشاده ومواصفاته تركبهـا وتحتفظ بها في قوارير لوقت الاستعمال ، فشعر الرأس له المحلب كمادة عطرية مقوية للشعر يغرم بها الجنوبيون ويتألف من **(محلب ، جوزة بوّة، مسك ، قرنفل ، هيل)** ، تؤخذ المواد بنسب معينة وتدق بالهاون جيـداً وتنخل وتتكرر هذه العملية عدة مرات ثم يعجن في الماء ويلبخ به الشعـر ليلة السبت،(٧) قبل الزفاف ، وتكور الشعر الى الاعلى وتربط الرأس بالفوطة وتبيت على هذا الوضع لليوم التالي وهو يوم الزفة حيث تغسلـه بالماء الدافيء والطين خاوه،(٨) وطريقة استعماله بسيطة جداً اذ ينقع في المـاء الدافيء قبل وضعه على الرأس بعشرة دقائق كيما تذوب حجيراتـه وتترسب في قاع الاناء • ويبعد عنها الماء على مهل والراكـد يوضـع على الرأس بعد التخلص من المحلب فتؤكد وضع الطين بين الفروق وتغطيـة الرأس باكمله وتدعكه باطراف الاصابع وتنحسر يدها على الاطراف ويمشط بعد الشطف ، ودوره في تنظيف الشعر واضفاء الصحة عليه جـد فعـال وكثير من النساء لا يستعملن المحلب ليوم واحد بل لعـدة أيام وربمـا يمسحن الجسم به،وذلك للاستفادة من رائحته النفاذة أطول مدة مستطاعة• ولازالة الشعر الزائد ينتف بالطابوق المدقوق ناعما ، وتنتخب قطعة قير متصلبة وتدعك بها الساق المنداة بالماء ، فيتقطع الشعر ويلتم على هيئـة لفائف ، وربما تسوي حاجبيها بالرماد المتخلف في المنقلة ، وفور خروجها من الحمام(٩) تفرش تحت الابط مادة خاصـة للتخلصـ من الرائحـة الكريهة ولاضفاء عطر ذكي بدلها تتألف من **(الشب والزركه) (مادة زرقاء) والقرنفل** تخلط معاً وتدق حتى تصبح ناعمة وتحفظ في قنينة ، ويقال ان مفعول هذا المسحوق يستمر سبعة ايام فاكثر ثم يجيء دور الديـرم(١٠) سيد المواد التجميلية واهميته متأتية من تأثيره المباشر على الشفاه والاسنان، واثناء الاستعمال يبقى تحت الشفة السفلى فترة حتى تتضـح مرارتـه وتكتسب الشفة صبغة رقيقة كدليل على ان المادة قد تحللـت وبـدأت تستجيب لقذف مكوناتها •• تحك به الاسنان وتطبق عليه الشفاه فتتلون باللون الاحمر القاتم وتتخلف الالياف فيتخلص منها ، ولا تكتمل عمليـة التجميل دون الكحل وصناعته تتقنها قلة من النساء لانها تتطلب مهـارة نوعا ما ، ويحضر بعدة طرق منها حجر الكحل وصفار البيض ومنها لـب نوى المشمش المنقوع شهرا او اكثر ويتعامل مع حجر الكحل •• نتـرك الخوض فيها ونكتفي بالتنويه •

الزفاف

مساء السبت اكتملت زينتها فلبست ما حلا لها وتفضل الثيـــــاب الحريرية البراقة ثمة عباءة بيضاء (عرضها ابيض) تستقر بجوارها حتى يأتي فوج المدعوات اللواتي يعلو ضجيجهن وترتفع اصواتهن الخام بالغناء الذي يناسب المقام ، وكانت العروس على اهبة الاستعداد لتحفز استسلامي وطاعة لا محدودة ٠٠ استوت واقفة وقد غطت وجهها بخمار حريـــــري اخضر وتلفعت بعباءة بيضاء ، تصدرت الجموع المرحة واعترضتها فتـــاة تحمل صينية فيها شموع موقدة واقواس الاس الخضراء ، وفتاة ثانيـــة رفعت مرآة بوجه العروس لكي ترى نفسها بها ، فتسير الفتاتان في الجهة المعاكســـة (اي تمشيان الى الوراء) وهكذا يمضــــي الركب الى بيـــت الخطيب اما مشيا على الاقدام ان كان البيت قريبا او بواسطة البـــلام ان كان على ضفة النهر الاخرى ، او على جمل صنع له هودج يتسع للعروس وبعض صويحباتها ، اثناء ذلك تغني النسوة البستات الشعبية بمصاحبة الطبول والدفوف ، ولتكملة هذه النقطة نؤكد ان للصابئة اغان خاصة لهذه المناسبة وغيرها بلغتهم المندائية حتى انهم يملكون كتابا خاصـا وهـــو **(الانيافي)** اي الاغاني ، يعتبر من الكتب الدينية النادرة ، كما ان كتـــاب (القلستا) الخاص بالزواج يحتوي على اغاني ورجعها وقد اخترت اغنيـة خاصة بزفة العروس نشرتها الليدي دراور(١١)

ياسيدتي الصغيرة
التي تحمل المرآة من اجلي
هل ترين منها متنبئة
باني اكثر نقاوة منها

الان لا تغنى هذه الاغنية او غيرها لأن اللغة التي كتبت بها بعـدت عن اهلها منذ دهور ، وفي مناسبات كهذه ينشد المنشدون الاغاني المتداولة في المناطق الجنوبية مثل

زفوا عروسك يا سباح(١٢) الگلب/تكرد

صفگه وهلاهل على طول الدرب
زعلان عليه يادادا انا شگايل / تكرر مرات
خلاني وراح وراح
والگلب ما مرتاح
خايب هوي
وبضلوعي الصمه
وبين النهد والزيج (فتحة الثوب التي يدخل منها الرأس)

خايب هوي
كلساع اشمه
خايب هوي
وخلاني وراح وراح
والگلب ما مرتاح
وارد اشتري زغيرون (صغير السن)
خايب هوي
بگليبي اربيه
خايب هوي
ولمـن حله بالعين
خايب هوي
اهله اندعوا بيه
خايب هوي
وخلاني وراح وراح
والگلب ما مرتاح

حتى الوصول الى بيت الخطيب ولكن الفتاة لا تدخله قبل ان يذبح شاب على قدمها اليمنى ديكا (يعني ان الشر قتل بمقدمها) تجلس في الصدارة بمكان بارز ولا تنقطع حالة الطرب .. ولما يعود الخطيب ـ الذي كان قد خرج من البيت عمداً قبل ان تأتي العروس ويعود محاطا بالمدعوين، وتختلط الاصوات الخشنة بالناعمة ، ويدخلونه غرفة خاصة بالرجال يسمونها الديوانية ، او سرادقاً معمولاً من الصرائف على شكل مستطيل يدعى (المضيف) ، وعندئذ يشتد الحماس وتزداد الهوسات الساخنة،حتى العشاء المؤلف ـ غالبا ـ من الدجاج المحشي والتمن ، ويستأنف الغناء والرقص ، اما العروس فتلتزم طابع الصمت والخجل يغلب على محياها وكأن الامر يثير مكامن حيائها .. ربما تبكي لفراق ذويها او تتصنع الحزن لاجل الظهور بمظهر الفتاة العفيفة التي لا تهزها قضية الزواج برمتها .. واحدة من المغالطات التي تتنفسها طفلة وشابة وتتمسك بها بتلقين من امها والمجتمع المغلق ، فالفتيات يبدو عليهن الفقر العاطفي وكأنهن لا يحملن رغبة ما ، وقد عن لاحداهن ان تعبر عن فرحتها بمن تحب فكسرت الطوق الحديدي ، ورفعت عقيرتها بما يناسب المقام ، فكانت صرعة الموسم وحديثاً شغل القوم طويلا وصاروا يتناقلونه كمثل صارخ على قلة الحياء وفساد الاخلاق !!

التعميد

قبل افتضاض الحفل الليلي تضع الفتيات الحنة[13] بايديهن وكذلك

العروس ، ثم تنام مع نساء العائلة على حدة حتى الصباح الباكر ، فيذهب من يشاء الى المندي(١٤) او بيت الكاهن كما اتفق مع الكاهن الذي سبق له وعين الزمان والمكان بعد ان تأكد ان يوم الاحد الذي يعقد فيه المهر لا يقع في الايام المبطلة (ايام غير مباركة دينيا) وان العروس ليست في حالة حيض او تترقبه ، فيأمر زوجته او غيرها ممن يثق بهن بفحص الفتاة للتأكد من عذريتها ، فلهذه المسألة اهمية دينية وعائلية ، فان خداع الكاهن يعني سقوطه من منصبه الديني واعادة تكريسه دينيا من جديد لمدة اسبوع فيجافي النوم والطعام الا ما يسد الرمق مع مواصلة تغطيسه في المـاء ثلثمائة وستين مرة ، وهو امتحان جد صعب قد لا يجتازه ضعيف البنية او كبير السن دون الاضرار بصحته الى درجة الوفاة ، ومن اضراره العائلية العداء والارتباك الديني يحدثان للطرفين المعنيين ، وبالنسبة لاهل الفتاة تصبح وصمة عار في جبينهم ، فاذا كانت نتيجة الفحص سالبة تعيد فحصها امرأة اخرى ، فان اعطت نفس القرار تصفر الوجوه ويخير الفتى في قبول الفتاة قرينة او رفضها وابطال مشروع الزواج من الاساس، وفي العادة يخضع الرجل الى اقوال محبيه الذين ينشدون مصلحته كي لا يضيف الى اهل بيته عضوا فاسدا ، اما اذا قبلها على علاتها وتحلى بسعة الصدر فلا يعقد المهر الكاهن ـ **اي كنزفرا** ـ وانما يعقده كاهن آخر وهو ايضا كنزفرا ولكنه خاص بالثيبات يطلق عليه **(ابيسق)** فاذا كانت النتيجة ايجابا تستبشر النفوس وترتدي العروس اللباس الديني **(الرستة)**(١٥) بمساعدة زوجة الكاهن التي ترشدها وتلاحظ عقدة الحزام **(الهميانه)**(١٦) فيما اذا كانت بوضعها الصحيح ام لا .. اثناء ذلك يكون الكاهن الاعلى وزميلاه ـ **بدرجتي ترميدا** ـ اي تلميذين ـ بلباسهما الديني الكامل بزيادة **(التاغه)**(١٧) اي التاج .. يجلسون حفاة مستقبلين النجم القطبي على ضفة النهر حيث ممارسة الطقوس وجها لوجه امام الطبيعة المجردة ، يتعاون الكهنة في تهيئة الاواني الطينية والخبز المقدس وغيره ، فمن التحضيرات الواجبة **(المجمرة)** التي يجب ان تظل موقدة الى ان ينتهي تعميد طالبي الزواج ، ويساعد على توهجها خليط الحرمل والبخور والسندوس والجندل (لاطفاء تأثير العيون الحاسدة) ولتدفئة المتعمدين ، والمجمرة تصنع من الطين الحري ـ ككل حاجيات التعميد والمهر الطينية ـ على شكل مستطيل ترتكز على طبق ايضا يسمى **(كنايه)** له حواف قصيرة ذات تجاويف بسيطة على هيئة انصاف دوائر يكون ارتفاعها بمستوى حواف الاناء كله ، عليها مكعب طيني بحجم الاستكان محتوياته خليط الحرمل ...الخ الوارد ذكره ، وعلى الارض اوان من النحاس منقوش عليها اسم كل كاهن ـ حسب رغبته لئلا تضيع ـ الواحدة منها لا تستوعب غير جرعة من الماء ، باللغة المندائية(١٨) يقال لها **(كبثه)** بجوارها قنينة

زجاجية **(ممبولا)** تندى اغصان الاس الخضراء لتحافظ على طراوتها حتى تصنع منها خواتم تقليدية تلبس اثناء التعميد ، وهذه الادوات الطينية الماثلة على الارض كانت شائعة في عصور تاريخية قديمة[١٩] ، استطاع الصابئة نقل شعائرها بامانة كتقليد ديني الى يومنا هذا ، الخبز يجهز قبل البدء باي عمل وهو غير خبز المهر الآتي ذكره ، وكذلك دهن السمسم والعصا **(موكنه)** والمهر الذي شاهدته كان بتاريخ ١٩٧٢/٧/٧ وتولى عقده الكنزفرا عبدالله الشيخ سام وهو رجل مسن وخوفا من تعرضه للبرد جلس على كرسي خشبي ووضع في قدميه قبقابا خشبيا ذا سير صوفي،[٢٠] وزميلاه يقومان بواجباتهما حفاة ، يمسك الكنزفرا كتابه الديني الخاص بالتعميد **(سدرا او نشماثه)**[٢١] واول ما يفتتح القراء بقوله **(باسم الحي واسم مندا ادهيي٠٠)**[٢٢] ويواصل تلاوته التمهيدية بصوت مسموع الى ما يقرب من الساعة وينود براسه باستمرار وهي صلوات يوم الاحد ، فيقال يبني **(رهمي)** اي يطلب الرحمة ، ويتحسس لباسه الديني ليحكم شدّ الاحزمة على جسده وتثبيت النصيفه[٢٣] والعمة ويخرج التاج الصغير من تحت عمته ليقبله ويمس به عينيه وجبينه احدى وستين مرة ، ويعيده الى مكانه الاول ثم يضيف البخور الى الفحم ويغرز عوداً يابساً من قصب ، ولما يرتفع الدخان المعطر يلقي العود جانبا ويعود الى كتابه من جديد ويمسك طرف النصيفة ويسويه على رأسه ، بينما تستقر العصا على ذراعه اليسرى ، قد يرش قليلا من البخور وغيره على النار مرة اخرى ممسكا عصاه بيده اليمنى فلا يجوز مسها باليد اليسرى وعملية التعميد لا زالت في اوائلها ، ثم جلس على عقبيه قليلا وبعد ذلك اخذ قطعة من الخبز المقدس وصار يعجنها بالماء الجاري ، ويعود لمجلسه قرب النار ، ويستأنف القراءة في الوقت الذي دفأ اللقمة على النار وازدردها وتلاها بجرعة ماء ، ملأه حديثا من النهر بواسطة القنينة الزجاجية (ممبولا) وذهب للنهر مستصحبا اناءه الصغير (الكبثه) فيملأه ماء ليدلقه على العصا قائلا : ايها الحي القديم ٠٠ احدى وستين مرة ، وقد مسك طرفي النصيفة كي يتحاشى الخطأ في الحساب فينظر الى كفيه مادهما الى الامام ثم يحني قامته ويعتدل وتنخفض يداه وكأنه يهم بعمل شيء ما ٠٠ يقترب طفل صغير بدرجة **(شكندا)**[٢٤] فيردد قول الكاهن ويتولى التشبث بنصيفة الكاهن ويعود ادراجه ولكن في انتظاره اعمال اخرى لا تخلو من طرافة ، في حين ينشغل الكاهن بما هو فيه فيخلع التاج ليبدأ بما فعله اولا وهو لثم التاغة والربت بها على وجهه احدى وستين مرة بسرعة تدرب عليها بالممارسة ، وفي نهاية هذا الرقم نكون قد انتهينا من القسم المهم من التعميد٠

احد التلميذين يقوم بعمل خواتم للمتعمدين وزميليه من الاس ،

واول خاتم منها اخذه الكاهن الذي طلب الرحمة (الرهمي) ووضعه تحت عمته التي استغل طرفها وجعله لثاما وترك اطراف النصيفة مسدلة ، ولم يتركهما طويلا اذ رمى طرفا على احد كتفيه ثم سحبها وربطها مع الاخر ، وو ضب على القراءة ثم قصد النهر وغمر نفسه في الماء حتى الحزام وقد غرس عصاه في الغرين وادخل نهايتها المعقوفة في عقدة النصيفة وقبل تركه الماء تخلص من حلقه الاس فطافت في المياه ، وغسل يديه عدة مرات وفي تلك اللحظات كانت الفتاة تنتظر اشارة الكاهن بينما زميلتاها كانتا تنتظران دورهن ليتعمدن،(٢٥) كانت خطواتها وجلة حتى صارت قرب الكاهن الذي سبقها الى الماء فاهداها خاتم الآس ووقفت خلفه وارتمست في الماء حتى هامتها ثلاث مرات في كل مرة يرش عليها الماء ثم امرها ان تتجه الى يمينه فمسك رأسها بحنان ابوي وغاصت حتى جبينها ثلاث مرات وبدوره يرسم على جبينها بيمناه (اشارة التبرك) من اليمين الى اليسار ويسقيها ثلاث جرعات براحة يده ، وكذلك تعيد قوله ثلاث مرت . . **العهد يحفظك ويثبتك**(٢٦) ، وانتزع اكليلها ورماه في المياه الجارية واكليله هو دسه تحت عمته واستعانت بيده اليمنى لتنهض وتستوي واقفة على الضفة واخذت مكانها قرب المجمرة بعد ان دارت حولها عدة مرات وفي هذه المرحلة لا يجوز لاحد لمسها ماعدا الكاهن ، جلست على عقبيها ووقف الكاهن خلفها ، وواصل قراءة الادعية الدينية على رأسها ، وزميله دس في عمتها اكليلة جديدة ، والكاهن الذي يتولى تعميدها مسح جبينها بزيت السمسم بعد ان بلله بالماء ثلاث مرات ، ولوح لها وكأنه يشرع في مصافحتها ولكن حركته كانت تعلمها ان تتبعه الى النهر ثانية لتتكامل لها شروط التعميد التام ، وجلست على الضفة وهناك شمرت عن ساعدها الايمن فرش عليها الماء وعادت قرب النار وبسطت يدها الى الامام وحق لها الان ان تتذوق الخبز المقدس من يد الكاهن وترتشف الماء مرتين والثالثة وتفرغها على كتفها الايسر ، والمتعمد الذي يصل هذا الحد لا يجوز له ان يكلم احدا والا سقط العماد ، والكاهن لا ينفك يتلو الاوراد الدينية ، واخيرا بسط يده وقلدته بعد ان جلس بمحاذاتها قليلا ثم نهض معه ، فامسك يدها (لتلقي البركة) وتحييه وعلامة تحيتها وطاعتها وامتنانها للدين في شخصه تقبل يدها التي امسكها وتضعها على جبينها واخيرا جلسا ، وبهذا القدر انتهى العماد الاول وجهز نفسه للعماد الثاني للعروس نفسها بذات الاسلوب السابق ، وان سارت الامور على ما يرام تذهب الفتاة الى غرفة خاصة فتستبدل اللباس الديني المبتل بآخر جاف وتجلس على فراش ارضي كامل علته كلة بيضاء (ناموسية) جوارها شموع موقدة في صينية مطوقة باقواس الآس الاخضر ، وفانوس مضيء ، اما

الكاهن فأكل لقمة من الخبز المقدس وشرب وراءها الماء ، وفك لثامـه وفي النهر رش الماء على عصاه ثلاث مرات وعاد الى المجمرة وقرأ قولا معينـا احدى وستين مرة ، واخذ رأسه بين يديه وكأنه يسجد بحب وتقـوى ، ودعا (الشكندا) الصغير فاجاب هذا على قوله ثلاث مرات ويذهب ورجـل الدين صار يقبل التاج وخاتم الآس ومسد عينيه وجبينه احدى وستـين مرة وهكذا اختتم تعميد الفتاة وما جرى لها يجري للاخريات والعرسـان فلا تفريق بين الجنسين دينيا .

المهـــر

الزواج الحقيقي لا يمكن عقده الا في مجلس المهر (**اندرونا**) الـذي يشيد في باحة الدار من القصب الجديد .. كل قصبتين تربطـان معـا بالخوص وتدس اطرافهما في حفرة طينية مثقوبة من الوسط للتثبيت[٢٧] مجموعها اثنا عشر عمودا لتكون مربعا لكل جهة منه اربعة ما عدا جانب واحد يبقى بدونها مقابل النجم القطبي وبصفته بابا لا توصد فيدخـل ويخرج منها ، اما سقف الكوخ فيربط به اثنا عشر عمودا ، ويظلل بالقماش الابيض او الاشجار الخضراء (بقصد الزينة) وللتبرك بالشجر ترص جوانبه الخارجية بما يتيسر منها ، فللشجر اهمية بالغة عند الصابئة نفـس الاهمية التي كانت توليها له السلالات القديمة[٢٨] ، وفي داخل الكـوخ فرشت الارض بالحصران — البواري) وعلى الجوانب تراصفت ارغفة الخبز الفطير على آنية طينية كبيرة وهناك اواني اصغر منها عددها ثمان يطلـق عليها (**طرايين او طرائن**) مفردها طريانة في اسفل كل واحـدة ثمـان طرايين اصغر منها ليس لها حواف تدعى (**كنكانه**) ، هنالك كيس ابيض اختفى في داخله ابريق نحاسي ذو ماء مقدس ، مجموع الارغفة (خبز قبل ان يختمر) سبعة وعشرون رغيفا ، وهو خبز المهر الذي اعدتـه والـدة العريس او قريباته ، ومن محتويات الكوخ كيس شبيه بكيس الابريـق في داخله مكونات (لقمة العروس ، دفعت والدة العروس سلة ملابـس مختلطة للعريسين يعلوها وشاح اخضر من الحرير سبق للفتاة واستعملته خمارا في الزفة ، واسفل الملابس صابونة رقي وشنان — مادة منظفـة — وثلاث دراهم ومشط .. يرمز الصابون والشنان على عفة الفتاة وطهارتها دينيا (سبق لها وتعمدت) والمشط على تمشيط الشر اي على ابعـاده ، والدراهم على انجاب ذرية صالحة .. بباب الكوخ القصبي وضع طـاق رحى علوي بقربه مشربة فخارية لم تدشن بعد — الكوخ لازال خاليـا ولا يسمح لغير المعنيين بدخوله ، الشاب يترقب على مقربة من الكوخ وقـد استبدل رداءه الديني الذي تعمد به بآخر جاف ومثله فعـل الكهنـة ،

الكنزفرا في النهر هو اللولب المحرك بينما في التعميد قد يكتفي ببناء (الرهمي) ويأخذ العمل رفيقاه ، استهل الطقوس بالافتتاح من كتاب (القلستا) الخاص بالزواج وصار يتلو وهو خارج مجلس المهر ولما وصل الى حد معين رفع الطفل الصغير (شكندا) المشربة الفخارية واهوى بها على طاق الرحى فتهشمت ، وهنا تعالت هلاهل النسوة واشتد حماس الشبان وفي فورة انفعال هزجوا ورقصوا ، هو ذا الكنزفرا يتجه الى المجلس وتبعه العريس وقد اطبقت يده على نصيفة الكاهن (ليمنحه بركته) .. جلس الكنزفرا على قطعة الطين الجافة الملساء **(كنكانه)** وسلم الفتى سكين دوله [٢٩] (اي سكين الدولة) وعلقها له في حزامه (كحارس يبطل عنه غدر الشياطين) وجلس الشاب على كنكانة اخرى ، في الوقت الذي غرس الكاهن عصاه في سلة الملابس لتصبح مباركة لانها تخص الخطيبين المزمع عقد قرانهما ، ويأخذ الوشاح الاخضر ويربط به خصر الشاب ، وينتهي دور السلة فتستقر في غرفة العروس ، ثم يواصل القراءة وبعدها يشمر عن ساعديه ليصب عليهما رفيقه - ترميدا - الماء المقدس فينفض يديه على الطرائف وجوانب الكوخ ويبادر الى رش السمسم والملح (اضفاء الخصوبة للعريس) على الطرائن الثمان او جاء دور خبز المهر لتحصل كل طريانة على ثلاث والثلاث المتبقية تبقى على الطريانة الكبيرة ورفع رغيف منها بيد وامسك زميله نصف الرغيف الاخر ويبدأ القول : **باسم الحي واسم مندا ادهيي منطوق عليك** ، ويقتسمان الرغيف الى نصفين واقتسام الخبز له جذور قديمة كما يقول العقاد وعنده يدل على الاخوة الروحية ، وينهمك الكنزفرا بلميم لقمة العروس المكون من الجوز واللوز والسمك المشوي والتمر والبصل والكشمش والسفرجل هذا الخليط السباعي ، المتنافر لونا وطعما قد عرفه أحد الكهنة الكبار بانه من الاسرار السبعة[٣٠] ، يلتقط نفثة من هذا وحبة من ذاك حتى تتكون لقمة يقتسمها الكاهن الى نصفين ، للعروسين ، ولكن لا يأكلاها الا بعد تحليف العريس ، ولهذا الغرض يدخل والد الفتاة الديني - وكيلها وليس والدها الحقيقي ، ودرجته الدينية حلالي[٣٢] - فيأخذ مكانه على كنكانة مقابل جلسة الفتى فيتوجه الكاهن الاعلى الى الأب بقوله : - اتعطي ابنتك فلانة بنت فلان - ينطق أسم جدها أيضا - لفلان بن فلان - اسم جده كذلك[٣٣] ، فيجيبه بالايجاب ثم يلتفت الى الشاب ويسأله : اتقبل فلانة بنت فلان زوجة لك ؟ ولما يكون جوابه بالقبول يأتي دور السؤال التالي للاب : ما هو المبلغ الذي اعطيت ابنتك فيه ؟ فيجدده : بالف زوزي ودينار واخيرا يردف الاب بالسؤال التالي : وانت ماذا اعطيته ؟ فيجيبه : اعطيته حمل من الثياب الحريرية وحملا آخر من الكتان وعشرة مثاقيل

زعفران(٣٤) . وبهذا ينتهي القسم الذي يتكرر في كل مهر شكلا ومضمونا، فيصافح الكاهن الاب ثم العريس يصافح الاب شاكراً له تلك الهبة الغالية، التي لا تشبه شيئا من هذه الاجراءات ، وعندئذ يصب الكاهن الماء المقدس على يد الشاب اليمنى فيحق له أن يتناول حصته من اللقمة التي خلطها الكاهن بقليل من الرغيف المقتسم ، ويصب الماء على يد الاب فيأخذ حصة العروس حاملا معها الماء المقدس في القنينة الزجاجية ، وقد غطى يديه بقطعة قماش بيضاء (گراده) وتأبط رغيفين من الخبز وقبل ان يتخطى عتبة الباب تعمد اسقاط الرغيفين هناك .. صب على يد العروس الماء واعطاها اللقمة فأكلتها وسقاها من الماء ثلاث جرعات والبسها خاتمين ذي الشذر (الازرق) في يدها اليمنى وذي الياقوت الاحمر في يدها اليسرى،(٣٥) وقال لها قبل ان يبارح الغرفة بما معناه انها اصبحت في ذمة رجل آخر هو زوجها وانه منذ اليوم ليس مسؤولا عنها ، فيجب عليها ان تحب زوجها وتخلص له ولا تسود عرضه ، في ذات الوقت وضع الكاهن ثلاث قطع فضية بيد العريس تفاؤلا بزواج مبارك ، عاد الاب الى الكوخ القصبي . كان الكاهن يقرأ في كتابه والشاب يتمسك في نصيفته بيده اليسرى ليتلقى البركة منه ، وكفه الايمن يختفي تحت قماش ابيض ليستسقي الخمرة من والد زوجه - الوكيل - وهذا بدوره قد وضع يديه خلف قطعة قماش ، في اليمنى الاناء (كبثه) و اليسرى قنينة الخمر(٣٦) ، ولا يفعل هذا الا بعد ان يأمره الكاهن بقوله : اسق ، واثناء ذلك يقرأ صلاة الخمرة - الكاهن - فسقاه سبع مرات ولم يترنح جراءها على اي حال ، والآن حين لقاء الشابين مشفوعا بمزيد من الطقوس ، سار الكاهن حاملاً عصاه ناظرا في كتابه يصحبه الشاب ولا زال يتمسك بنصيفة الكاهن ولما اقتربا من عتبة الباب كسر (الشكندا) الصغير جرة الفخار الاخرى على طاق رحى سفلي واسقط احد الكهنة التمر في الطريق الموصل من الكوخ القصبي الى غرفة العروس ، تيمنا بالنخيل الذي يُعتبر احد المقدسات عندهم ، ولجأ الى الداخل ثم تبعهما الكاهنان والاب لتجري هناك طقوس غاية في الطرافة تنسي العروسين ماقد تحملاه خلال التعميد والمهر ، كانت العروس داخل الكلة ووجهها يقابل الحائط فيؤمر العريس ان يجلس على الفراش ظهرا لظهر مع عروسه - ازيح طرف الكلةعن الفتاة ليظهر رأسها - مسك الكاهن رأسيهما فنقرهما معا ثلاث مرات ، ثم اهداها اكليلا صنع بطريقة خاصة والبسه خنصرها في اليد اليمنى - اعطى لزوجها مثله في محبس المهر من قبل - وسقاها خمرا سبع مرات واغرق سطح الكلة بورد الجوري المجفف المدقوق ، وهو يرتل سنن الزواج ويباركه ، الكاهنان يتابعان

المشهد باهتمام بالغ ويمدان يدا العون للكاهن الاكبر فيمسك احدهما عصاه والاخر نصيفته كيما تلامس الارض وفي هذا ما فيه ، ولما ينشد أناشيد القران يردان عليه ، وهو جالس على فراش العروس ، واخيرا نهض وانتزع خاتم العروس الاخضر ودسه تحت عمتها ، واوقد المبخرة فتصاعدت الروائح العطرة ، واخلوا الغرفة وبقت وحدها تنتظر زوجها الذي تابع سيره مع الكهان الى مجلس المهر لا يترك نصيفة الكاهن ، الكل يأخذون أماكنهم السابقة ماعدا الاب الذي انهى واجباته وخلع لباسه الديني ، وبدا على الكهنة الارهاق وان كانت وجوههم لاتدل على شيء من هذا القبيل لان اولى صفات رجل الدين يتحلى بالصبر ونكران الذات وعلى مرور الزمن تناسى المطالبة براحة قصيرة ، اخذ الكاهن الاعلى يلقي نصائحه للشاب ان يكون زوجاً صالحا ، ثم نهض وفرّ عصاه حول رأسه ثلاث مرات وهذه الحركة تشير الى ان الزوج الجديد قد اصبح في عداد الاشخاص غير الطاهرين اي (نجسين) لانه منذ اللحظة قد دخل في خطيئة الزواج ، وبذلك انتهت جميع طقوس المهر ، ربما تظهر اختلافات طفيفة هنا وهناك ، كعدد اجزاء اللباس الديني وماشابه لكن الجوهر واحد . لا يغادر العريس بيت الكاهن قبل ان ينقده اتعابه المتفق عليها ، في الوقت الحاضر لا تقل عن ثلاثين دينارا ، ويقال انه كان رمزيا ، وازداد بمرور الزمن وفي فترة ما كان عملة ثابتة هي قران فقط ، ويستفاد من بيت الشاعر سوادي واجد ـ ١٩٥٠ المرتجل للكاهن عندما عقد زواجه وطالبه بعشرة دنانير ولم يكن يملكها فحاول التملص بقوله :

بالشرح والديونان
صياغة الصبه قران
ليش كنزفرا طمعتوا!!!(٣٧)

يمضي العروسان اسبوع الزواج في غرفة خاصة باثاثها البسيط المذكور آنفا يتصدره سرير خشبي تغطيه كلة بيضاء تبقى منتصبة مدة الحجر الاجباري الذي امده اسبوعا ، اي من يوم الاحد وهو يوم المهر الى يوم السبت من الاسبوع التالي ، وهما في تلك الايام لا يخالطان الاخرين ، فيتناولان الغذاء في اوان خاصة ، ولكي يتخلص الزوج من هجوم قوى الظلام عليه يستعين بسكين الدولة ، فيبقى الخاتم لا يفارق يده حتى نهاية الاسبوع وبعده لا شفيع له وعليه ان يتعمد فتزول حالة النجاسة التي هو فيها ، تستمر الافراح والولائم فسيل الضيوف لا ينقطع في الفترة المذكورة ، واجمل ايامها المشخصة هو يوم السبت ، فيصحوان مبكرين ويذهبان توا الى النهر فيسبحان معا قبل شروق

الشمس ، ويتجولان في البساتين وقد غمرهما الفرح وزادهما حبورا الشعور بانهما احرار كبقية افراد العائلة ، ويعودان الى البيت وقد حملا الاوراد والازاهير ليضعاها في غرفتهما ، ثم اشرقت الشمس وبدأت المدينة تستيقظ من السبات ، فيقال ان العروسين قد هربا أو قاما بـ (الهربه) اي الهروب من قيود النجاسة التي كانا فيها ، ولكنها لا تعطي الطهارة وللحصول عليها يتوجب التعميد • المهم ان العروس تجتهد في نيل رضا افراد العائلة واقامة علاقات وطيدة معهم ، لانها تعلم ان بيت العيال (العائلة) هو بيتها الدائم والعروس التي تستقل في السكن تعتبر في نظر الجميع ظالمة كيف لا وقد حرمت الام ولدها ، وخدمة ـ العيال ـ ليست هينة يسيرة وقد حدثتني سيدة عجوز ان زوجها كان يوقظها من الفجر لتحلب البقرة وتخض الحليب الخاثر (الروبة) وتطحن الحنطة وتعجنها وتنتظر حتى تختمر فتخبزها ، وتعمل الشاي في المنقلة ثم تجلس لتلبي طلبات كل فرد ، وبعد ان تنتهي وجبة الافطار تذهب الى السوق ثم تخبز من جديد وتغسل الملابس وتعتني بالحيوانات (كالبقرة مثلا) ان وجدت ، بالاضافة الى عملية جلب الماء من النهر ، ولا نريد ان نتوسع في واجباتها الاخرى كزوجة وحامل ومرضع ، اما علاقاتها مع اهلها فانها تنقطع عنهم بضعة اشهر ويدعونها او هي تزورهم فيكسونها او يهدونها حلية ذهبية او شيئا لبيتها •

بعد هذه الجولة لابد من احاطة القاريء علما ان الزواج المذكور بتقاليده الدينية قد سهل وذلل كثيرا الان فليست القيود المذكورة جميعا منفذة وبعضها اختفى تماما ، لان ظروف المعيشة لا تسمح بها ، فطواعية الاستجابات مفقودة تقريبا ، نظرا لفقدان الوازع الديني بسبب الهوة الشاسعة بين انطلاقة الفرد العلمية بمحيطه المتطور وبدائية الدين المتشعبة ، فحصل تمرد على الطقوس ، وهو ما كان منتظرا منذ زمن بعيد، ولكن الربع الاخير من القرن العشرين سوف يشهد رعشة جديدة في شرايين الدين الصابئي بعد تلكؤ طال أمده سيقف لها التاريخ وقفة طويلة متأملة لأقلية صمدت قرونا بوجه اديان قوية وكانت في حالة اضطهاد شديد مكافحة منافحة عن دينها باذلة في سبيله الممكن والمستحيل ثم تخلت عنه مؤخرا بملء اختيارها •

هوامش

(١) جميع التقاليد التي ترد هنا ـ ما عدا تقاليد المهر شاهدتها بنفسي ـ تخص شابات الامس (امهاتنا) لانها تعني القرب ماض يمكن وصفه بدقة نظرا لحضوره وتاثيره وهو امتداد لما سبقه •

(٢) اعلى درجة كهنوتية ولا يبلغها الا الكاهن حافظ وشارح كتاب (كنزه ربه) ، كنز الرب وهو من اقدس كتبهم الدينية .

(٣) قصة الحضارة ٣ : ١٧٣ وما بعدها .

(٤) او جلاب . وهو قطعة صغيرة من الذهب او الفضة على شكل كف او غيره له نهاية دقيقة معقوفة الى الداخل حتى يساعد على ربط جزئي الغوطه على الرأس .

(٥) الصابئة يعدون الحكمة الشرعية الحنفية .

(٦) ثراثي زبيله : كامل الصنع . جوار : خادم (وقوله اشمبانقه) . براحي : مجاور النضيدة : الفراش المنضد .

(٧) الزاة يوم السبت مساء .

(٨) مادة غرينية ناعمة توجد بكميات لا بأس بها على الضفة في شمال العراق وتستخدم صناعيا في استخراج النفط .

(٩) عبارة عن قشمت حديدي او طبق (طبكت) خرز بالماء وغني بالاس . تجلس فيه اثناء عملية الغسل في الغرفة .

(١٠) لعله شجر الجوز .

(١١) الصابئة المندائيون ١١٩-١٢٠ - بغداد ١٩٦٩ - مطبعة الارشاد .

(١٢) سراح القلب : شروق القلب .

(١٣) الحنه ممنوعة دينيا . وتكلهم اخذوها مقلدين الفئات الاخرى .

(١٤) بيت الدين ، او المقر الديني .

(١٥) لباس ديني كامل يتألف من سبع قطع بيضاء لكل واحدة اسم خاص بها . وارتداء الرستة محتم على كل صابئي يباشر عملا دينيا .

(١٦) احد اجزاء الرسته وهي حزام من الصوف الابيض يحاك بآلة خشبية خاصة ، وعن دوزي ان الهميان يعني منطقة صر النقود ، المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ، ص٣٤٥ ، ترجمة الدكتور اكرم فاضل ، وزارة الاعلام ، بغداد ١٩٧١ .

(١٧) شريط قطني - بقدر شبر - تخيط جانبيه دما بطريقة خاصة ، وهو جزء من اللباس الديني .

(١٨) احدى فروع اللغة الارامية ، عن كتاب العرب واليهود في التاريخ ، ص٥٧ للدكتور احمد سوسة ، وزارة الاعلام ، بغداد ١٩٧٢ .

(١٩) مجلة سومر ٢ : ١٨١ وما بعدها ، بغداد ، سنة ١٩٤٦ مقالة للاستاذ طه باقر بعنوان ديانة الآشوريين والبابليين .

(٢٠) يسمح باستعمال الكرسي الخشبي والقبقاب ايضا نظرا لمصدريهما النباتيين ، ويلاحظ الاصرار على كون الشيء خشبيا لان الخشب قد ارتضوه دينيا .

(٢١) اي كتاب النسمات .

(٢٢) الحي : الله ، مندا ادهي : اسم لأكبر الملائكة النورانيين .

(٢٣) جزء من اللباس الديني يصنع من قماش (الهمايون) الابيض على شكل مستطيل ٢ متر .

(٢٤) اصغر درجة دينية يمارس الحاصل عليها واجبات دينية بسيطة كوضع اليد على كتف القصاب الصابئي .

(٢٥) تسهيلا لعمليات المهر صار الكهنة يجرون التعميد والمهر لأكثر من اثنين مع ملاحظة كون التعميد فرديا والجمع يعني ان هناك دور لكل متعمد .

(٢٦) الصابئة المندائيون ص١٨١ .

(٢٧) قبلا كانت الاعمدة تثبت في الارض الطينية ، اما الان والارض مبلطة فتصنع الثاقي مثقوبة لهذا الغرض ٠

(٢٨) الغصن الذهبي ١ : ٣٨٤ وما بعدها ، تاليف فريزر ترجمة : د٠ احمد ابو زيد بيروت ١٩٧١ ٠

(٢٩) تذكر الكتب الدينية الصابئية انه كان للصابئة دولة و ـ السكين دولة ـ تمثل شعارها ٠

(٣٠) ابراهيم ابو الانبياء ص١٤١ ، تاليف عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د٠ ت ٠

(٣١) الكتر فرانجم الشيخ زهرون ، وهو من كبار علماء الدين الصـــابئي في الوقت الحاضر ، وتفسيره للاسرار السبعة كما يلي :ـ الجوز واللوز درج على استعمالهما مهما كانت الظروف (ولكني اعتقد انهما احدى الدلالات الرامزة على سكناهم المناطق الجبلية في العراق قبل نزوحهم الى الجنوب) اما السمك فلأنه يعيش في الماء ، والماء الجاري مقدس عندهم كما ان السمك لم يدنسه شيء ٠

(٣٢) درجة دينية يحق لصاحبها ان يذبح ويمارس بعض الاعمال الدينية الاخرى ٠

(٣٣) يجب ان يتلفظ اسمها الديني الذي يطـــابق اسم والدتها الديني مع كتـــاب (اسفر ملواشا) اي سفر النجوم ، بمعرفة السنة والشهر واليوم الذي ولدت فيه ، اسم العريس يستخرج بهذه الطريقة ايضا ٠

(٣٤) مجلة المشرق ٦ : ٣٩٤ـ٣٩٥ السنة الخامسة ، (يقول الأب الكرملي ان الزوزي نوع من الدراهم كان متداولا في غرب فارس في المائة التاسعة للميلاد ٠

(٣٥) هناك اسطورة صابئية تقول : ان هيبل زيوا (ملك نوراني) عندما الترن ب زهربيل اهداها مثل هذين الخاتمين ٠

(٣٦) وهو عبارة عن عصير الزبيب او نقيع التمر (يصنع آنيا في نفس اليوم) ٠

(٣٧) الشرح والديونان ، من الكتب الدينية ، والديونان كتاب فريد في نوعه) الصبة : الصابئة ، القران : عملة عثمانية كانت متداولة في بداية العهد الملكي في العراق ٠

مراسيم الموت والخلود في الريف الجنوبي من العراق

حسين الجليلي

ارتبطت مراسيم الموت والخلود بحضارة الانسان وتطوره وكان فن التصوير كما نجد في المقابر المصرية حيث رسمت حيوانات الضحايا وقد علقت السكين في رقبتها[1]. وكانت الاسطورة والتمثيلية والحكاية . ولم يكن نشوء العادات والتقاليد محض صدفة قطعا .

انما تكونت ونشأت نتيجة لعلاقات الانسان الاقتصادية والاجتماعية والبيئة وغيرها من الظروف الثانوية الاخرى . واحب الخلود وتعلق به بقوة هائلة . وكره الموت كراهية ما بعدها كراهية اذ ان الموت يقوده الى عالم مجهول لديه تماما ورأى فيه شرا لابد منه . ونشأت المراسيم وهنا يتبادر السؤال . لماذا نشأت هذه المراسيم والعادات في هذه المنطقة مثلا ولم تنشأ سواها ؟ الضحية ، العقيدة ، الحزن العميق ، اقامة الفواتح ، وغيرها من العادات المتوارثة الموجودة في الريف الجنوبي من العراق وفي محافظة «ذي‌قار» بالذات «الناصرية سابقا» .

مما لاشك فيه ان العادات والتقاليد لا يمكن ان تنحصر في منطقة معينة بالذات اذ لابد لها ان تنسحب الى مناطق اخرى بمختلف الطرق . وقد تنتقل الى مناطق اخرى من العالم . ولابد ان تكون لها جذور موغلة في القدم لذلك ارى من المهم جدا متابعة هذه الجذور العريقة وان يرتبط

«البحث الميداني بالبحث المصدري» في دراسة الفلكلور لكي تكون الفائدة اعم واعمق كما ذكرت في مقالة سابقة نشرت في مجلة التراث الشعبي[٢] . الا اني سوف اقتصر في هذه العجالة على «البحث الميداني» فقط في هذه العادات والتقاليد المتوارثة منذ ازمنة لا نعلم بدايتها .

مما لاشك فيه ان النظام الاقتصادي يفرض وجوده على الانسان اضافة الى عوامل اخرى متعددة تختلف في قوة فاعليتها في تكوين العادات والتقاليد المتوارثة . وبقدر ما يستطيع الانسان ان يطور هذه العادات والتقاليد الموروثة وان يسعى في ابدالها نحو الافضل كلما ساهم في دفع عجلة الحضارة الانسانية الى الامام . وكلما بالغ في الحفاظ عليها اكثر فاكثر كلما سحبته نحو التأخر والارتباط بالماضي السحيق وصار يعيش (الماضي الحي) وهذا منزلق خطر يقف حائلا في تطور الحضارة الانسانية وتقدمها نحو الافضل . ومن المنطلق الاقتصادي والاجتماعي والظروف الاخرى التي تؤثر تأثيرا ثانويا تكونت تلك العادات والتقاليد . ومما لا شك فيه ان سكان الريف الجنوبي من العراق هم مجتمع فلاحي تحدر من مجتمع بدوي كان يعتاش على تربية الماشية والتنقل وراء الكلأ من منطقة الى اخرى تربطه روابط قبلية .

وقد ساهم مدحت باشا الوالي العثماني في توطين القبائل البدوية في جنوب العراق واختلطت مع سكان البلاد الاصلية الذين يسكنون الريف والحواضر هناك . وبقي قسم من السكان يمتهنون تربية الماشية وصيد الاسماك والطيور . وكما هو معروف ان المجتمع الزراعي اكثر حضارة من المجتمع الرعوي والصيدي . وان كان ذلك لا ينسحب بصورة كاملة على ذلك المجتمع اذ قد يزرع الريفي ويربي الماشية ويتنقل احيانا وراء العشب والماء في آن واحد واصبحت مهنة الزراعة هي المهنة الرئيسية في تلك المناطق بعد ان استقرت تلك القبائل واختلطت مع سكان المنطقة السابقين . وبقيت محافظة على عاداتها وتقاليدها العشائرية وزعامتها القبلية . الا ان الاحتلال البريطاني اراد ان يركز كيانه وان يجد له ركائز محلية فتحالف مع رؤوساء القبائل والشيوخ ووجد فيهم المعين الوفي لذلك .

وربط مصيرهم بمصيره فثبت لهم الملكيات الزراعية وساعدهم في زراعتها واستغلال الفلاحين لذلك اصبح ارتباطهم بالحاكم اكثر من ارتباطهم بابن القبيلة وحدث التمايز الطبقي نتيجة لهذا الارتباط وقال (المهوال) الريفي مقولته المعروفة **(فكوله الجنطة وهز ذيله)** وهي مقولة بليغة وخالدة وتعبر عن ارتباط رئيس القبيلة بالحكم الاستعماري الذي قاده الى العزلة عن ابناء العشيرة وتحسن احواله الاقتصادية . وما ان نشأ التمايز الطبقي الواضح حتى نشأ القهر الطبقي واصبح واسعا بين

افراد العشيرة ورئيسها ونتيجة للقهر الطبقي نشأت المقاومة وقد تكون سلبية متخاذلة مميتة وقد تكون ايجابية خلاقة ، تدفع عجلة التقدم بيد فولاذية متينة .

والمجتمع الفلاحي يبعث على السأم والركود ويشعر الفلاح دائما انه مهدد بخطر الكوارث الطبيعية وانه بحاجة ملحة الى مثل عليا تحميه من الكوارث الطبيعية التي ليس بامكانه مقاومتها كالفيضان والصيهود والجراد والمطر مما لها اثر مباشر وعنيف في حياته الاقتصادية لذلك لجأ الى الضحايا والتشفع بالاولياء والصالحين . وقد كانت اولى الضحايا من اجل الخصب[٣] والخير . ويستعمل الريفي التراب الذي يقرأ عليه احد الاخيار من ابناء الرسول محمد ويرميه في الحقل حتى ينقذه من الجراد مثلا ويزيد خصب الحقل . وان المجتمع الريفي اكثر ركودا من المجتمع الصناعي . لذلك تتركز فيه العادات والتقاليد اكثر وتعيش لفترة اطول واعمق وليس من السهولة التخلص منها واقتلاعها مالم تبدل حياته الاقتصادية ومحفزاته في الحياة . لذلك نجد المجتمع الصناعي يختلف تمام الاختلاف او اختلافا كبيرا على الاقل عن المجتمع الفلاحي ، اذ ان الالة معرضة للاندثار والتجدد وتحتاج الى انتباه ويقظة فكرية تامة والا هلك العامل جراء فتكها به .

اما ادوات الفلاح فهي بسيطة بدائية بطيئة الاندثار والتجدد وليس من خطر فيها يصيبه والمجتمع الفلاحي مجتمع مقطوع عن الضمان الاجتماعي فعندما يموت رب الاسرة ومعيلها تتعرض الاسرة للموت والهلاك من الجوع كما ان المجتمع يسوده منطق القوة لذلك يخشى الموت خشية هائلة ويتخيل بصورة دائمة ومرعبة مصير اسرته واطفاله عندما يموت هو وليس هناك من معيل لهم .

وعندما تحدث وفاة احد معارفه او اقاربه يأخذ بالبكاء بصورة تشنجية عنيفة فهو لم يبك على من مات فقط وانما يبكي نفسه كما يقول الشاعر الشعبي

اريد ابچي على روحي وانا حي
بعد شتفيد حسراتي وانا حي
الناس اهجعت ليلته وانا حي
من بعد المصار الصار بيه

او قول آخر

عليه ابچي ياوالدتي وانا حي
احبال الصلب جابوهه وانا حي

لا تفرح بها الشامت وانا حي
الفرح لو سره الجناز بيه

وقد تكون هذه المقولة لاحد ثوار ثورة العشرين او ثـوار سـوق الشيوخ سنة ١٩٣٦ او غيرها من الثورات الفلاحية هناك .

لذلك نجد ان النظام الاقتصادي ساهم مساهمة فعالة في تركيز هذه المفاهيم والعادات ونجد الريفي يهتم كثيرا باقامة الفاتحة وزيـارة ذوي المتوفى حالا ولن يتساهل مع نفسه في اهمال مثل هذه المراسيم . ولكنـه قد لا يعلم بزواج احد اقاربه وقد لا يزوره ويهنئه على زواجـه كمـا ان مراسيم الافراح قصيرة جدا باستثناء زواج الاقطاعيين وتجـار الريـف والملاكين . وقد لا يهتم المتزوج كثيرا او يسأل عمن لم يحضر حفلة زواجه ولكنه يسأل كثيرا ويغضب على من لم يزره ويعزيه بوفاة قريبه لان مسألة الموت مسألة مهمة وفاجعة اقتصادية مريعة تقوض ركنا مهمـا من اركان الاسرة الاجتماعية والاقتصادية تختلف اهميتها باختلاف موقـع المتوفى الاقتصادي والاجتماعي . بينما ابناء الملاكين والاقطاعيين يكنون فرحا عميقا بوفاة عميد اسرتهم او احد اخوتهم لانه سوف يورثهم ارضا وخيرا .

ونتيجة للبؤس الذي يعانيه المواطن الريفي في هذه الدنيا فهو يبحث عن البديل او العوض المطلوب لذلك صور له خياله الخيرات التي سيحصل عليها في الدار الاخرى .

اما الاغنياء من سكان الريف فيجدون العوض في هـذه الدنيـا ويشترون الدار الاخرى باموالهم فيدفعون الصدقات والهبـات الخيريـة ويعطون للبعض اموالا للصلاة عوضا عن موتاهم او الصوم او الذهاب الى الحج ايضا . ويعتقد انه بذلك يضمن الدار الاخرى ايضا .

اما الفلاح فليس لديه ما يدفعه لذلك تداول هذا المثل بينهم **(فلان فقير يهود لا دنيا ولا دين)** وكانوا يجدون خير تاس وتنفسا لاحزانهـم في المجالس الحسينية وتوفيرا للثواب الذي سينالونه في الدار الاخرى اذ ان هذه الدموع (كما يعللونها هم) خير شفيع لهم يوم القيامة ..

وقد يكون هناك بعض الشبه في صكوك الغفران المسيحية .

اما المرأة الريفية فهي اكثر تعلقا بالماضي واشد حزنا نتيجة لجهلها وانسحاقها واضطهادها وان اول اضطهاد طبقي نشأ هو اضطهاد الرجـل للمرأة بعد ان قسم بينهما العمل(٤) فالمرأة الريفية كادحة تعمل وتضطهد في آن واحد فهي معرضة لخسارة بيتها وزوجها نتيجة لتعدد الزوجات وقد يتحول كسبها الى سهم يطعنها عندما تتحسن احوال زوجها الاقتصاديـة ليتزوج امرأة اخرى تعينه في شؤون الحقل كما يدعي ذلك ، وفي نفـس

الوقت معرضة للطلاق بدون اخذ رأيها بالموضوع وقد تخسر اطفالها وحتى حياتها احيانا اذ كثيرا ما الصقت بها تهمة الزنـا او معاشرة شخص اخر وعندها يكون من حقه ان يقتلها لانها جزء من ملكيته وله حق التصرف في ملكيته الخاصة لذلك كان حزنهاعنف واقوى وتشبثها بالنذور والاولياء بصورة اكثر حدة كي يعينوها على حل مشاكلها المستعصية التي لا لا تستطيع هي الخلاص منها ويتوسطون لها عند الاله القادر على كل شيء وبصورة لا معقولية كما يقول الغزالي (ما دام قادرا فانه يكون من الحبل حصانا(٥)) .

وبكاؤها في الفواتح والاحزان يكون عنيفا وتتمسك بالحزن مدة اطول مدللة على ذلك بملابسها السوداء ووجهها الكئيب .

وحتى الغناء الريفي طبع بميسم المأساوية والحزن العميق فنجد الاغاني في الاعم الاغلب تبدأ هكذا **آه ... آه ... ويلاه ...** وقد يبكي الريفي اثناء غنائه ويردد **(مالت بواچي ولطم روحي)** ولاشك ان المجتمع المستمع له يتجاوب معه في ترديده المأساوي . اما غناء المرأة فغالبه حزين تقوله لنفسها وقد يكون سبب ذلك القهر الجنسي الذي تتعرض له المرأة الريفية نتيجة لحرمانها ممن تحب وقسرها في احيان كثيرة على الزواج من شخص لا ترغب فيه . وفي بعض الاحيان حتى الافراح يشوبها حزن واضح ومترابط . فهناك قرية من قرى مدينة الشطرة عرفت باقامة مآتم الحسين وبصورة مستمرة في معظم ايام السنة ان لم تكن كلها . حدث ان تزوج ابن احد وجهاء القرية وارادوا ان يجدوا بعض الفرح ويبتعدوا ولو قليلا عن هذا الحزن القاتل المستمر وعندما ارادوا اقامة فرح بسيط اعترض مختار القرية قائلا لا ... يجب اولا (اقامة مآتم الحسين) اعترض بعض شباب القرية ولكن اعتراضهم ذهب مع الريح وصعد (الروزخون) المنبر وقرأ عزاء الحسين . وبعدها تيسر لهم اقامة فرح بسيط .

وتقاس مكانة الاسرة هناك بمقدار محافظتها على شعائر الاحزان اما اذا تمرد شبابها واقاموا حفلات فرح بسيطة مثلا فذلك خرق للعرف ويحط من مكانة العائلة بين افراد العشيرة .

لعل مرد ذلك الى عصور سحيقة ايام اضطهاد الفرد العادي ايام مملكة اور ودفنها الاحياء في قبور الملوك وتمرد الشعب على ملوكه وكهنته(٦) وسيرتلك الحياة المأساوية المتمثلة في القضاء على ثورة الزنج بصورة وحشية وقاسية جدا واستمرار ذلك الاضطهاد في ايام العثمانيين والاستعمار الانكليزي وجلادي الفلاحين من اقطاعيين وملاكين كبار فلم يجد الريفي متنفسا لاحزانه الا بهذه الصورة السلبية الا ان ذلك لا يمنعنا من ان نقول ان هناك ثورات شعبية فلاحية باسلة في تلك المنطقة قد اتطرق اليها في مقال لاحق .

ومما لاشك فيه ان مثل هذه الطقوس لا يكفيها مقال كهذا • اذ انها تحتاج الى بحث ومقارنة قد لا يكفيها كتاب واحد • الا اني سوف اتناول تلك المراسيم في محافظة ذيقار بالذات • معتمدا بذلك على مشاهداتي الميدانية وعلى قول اشخاص اثق فيهم ومستندا على بعض الكتب العلمية والتاريخية وقد تكون محفزا لاخوة آخرين ليضيفوا ما عندهم ويناقشوا ما طرحت في هذه المقالة •

عندما يمرض الانسان في مناطق الريف وخاصة اذا كان مرضه خطيرا ويقارب من حالة الاحتضار • تنذر النذور للاولياء والصالحين الذين تكثر مقاماتهم في انحاء المناطق الريفية هناك وقد تكون النذر للاولياء الصالحين البعيدين عن المنطقة • وذلك تشفعا وتقربا ولانقاذ المريض من مرضه واعادة كامل الصحة اليه • عندها يؤتى ببقرة او خروف حسب مقام المريض الاجتماعي الذي يقرره المركز الاقتصادي غالبا ويشدون سكينا في رقبة الضحية ويطوفونها حول مرقد المريض وهم يرددون هذا نذرك يا سيدنا ••• اذا شفيت فلان من مرضه سوف نزورك ونذبح النذر او نهديه لك • وقد تذبح الضحية فورا ويوزعون لحمها وياكلون قسما منها اعتقادا منهم ان ذلك يساعد في شفائه وان الاولياء الصالحين سوف يتشفعون له لانهم قدموا لهم القرابين والفدية • لقد ساهم الجهل وبعد تلك المناطق من مركز المدينة والمراكز الطبية والعلاج الحديث في تثبيت مثل هذه الافكار الميتافيزيقية • ولا شك ان مسألة النذور والقرابين موغلة في القدم ومنذ العصور السحيقة وكان الدافع الرئيس لها هو طلب زيادة الخير والخصب في الارض ودفع الشر عن الانسان وان الموت هو نوع من الشرور •

وعندما تفشل هذه الاجراءات البدائية وان فشلها شيء حتمي • وتصبح حالة المريض ميؤسا منها وتقارب حالة الاحتضار يطلب (الملا) حالا او اي رجل اخر له المام بالادعية • عندها يوجه وجه المريض نحو القبلة ويجلس الملا عند رأسه ويقرأ دعاء يسمى **(العديلة)** والعديلة نوع من ادعية التخضع والتذلل لله وفي الاخير يختم الدعاء بقوله اني اودعك يقيني هذا وثبات ديني وانت خير مستودع •••• فرده عليّ وقت حضور موتي برحمتك يا. ارحم الراحمين(٧) •

وبعد دعاء العديلة يقرأ دعاء (التلقين) وفيه يوصي المحتضر اذا جاء (منكر ونكير) الملكان المحاسبان في القبر فقل لهما الله ربي ومحمد نبيي وعلي امامي ••••• الخ الدعاء ثم يقرأون الشهادة بوجهه وهي اشهد ان لا اله الا الله محمد رسول الله •••• الخ الشهادة التي تقرأ اثناء الصلاة • وعندما تنتهي حياة المريض ويعتقدون انه توفى عندها يرفعون

(بيرغ) علما على كوخه او على مضيف الشيخ ويطلقون بعض الاطلاقات النارية وقد يكون سبب ذلك لجلب انتباه المجاورين الى ما حدث او طردا للشر ويبعثون ببعض الاشخاص يطلقون عليهم اسم الطروش (المفرد طارش) ليخبروا القرى المجاورة بوفاة فلان حتى يحضروا من الصباح الباكر ٠ وعندما ترفع الجنازة توضع امام الباب لفترة قصيرة ثم ترفع مرة اخرى وتوضع ثلاث مرات وهناك مثل يقال **(دون الكبر حطة تنفع)** وقد يكون هذا نوع من التشبث بالحياة او بقية من اعتقاد سابق مغزاه ترك الجثة امام الدار حتى لا تظل الروح عندما تعود الى جسدها من جديد حيث كانوا يطوفون الجثة ثلاث مرات حول الدار وتخرج من ثقب كبير في الدار عندما كان البابليون يدفنون موتاهم في صحن الدار[٨] وقد يغسل الميت في قريته بمعرفة رجل دين ٠ وهناك تعليل لغسل الموتى مفاده ان الميت سوف يقابل الملائكة والاخيار فلا يجوز مقابلته لهم وهو غير نظيف وسبب نجاسته هو موته جنبا لذلك يجب غسله ٠[٩]

اما الصابئة فانهم يغسلون المحتضر قبل وفاته بقليل اعتقادا منهم ان الروح طاهرة ولا يجوز ان تخرج من جسم نجس اذ ان الانسان عندما يموت بدون غسل ينجس[١٠] وبعد ان يغسل الميت ترمى ملابسه بعيدا اذ تعتبر نجسة وبعد ذلك يكفن المتوفى ويحنط ويوضع الكافور في كفنه ويكون الكفن عادة من القماش الابيض وقد استعمل الجنفاص ايام الحرب العالمية الثانية عندما فقد القماش الابيض وارتفع ثمنه جدا بعدما اخذ الملاكون والموظفون الفاسدون يتلاعبون في بيعه ٠ وقد تستعمل كلمة حنوط كشتيمة اذ قد تقال للشخص الذي يريدون له الموت فيقولون له «عساك اكلت حنوطك» اما قدماء السكان في بابل وآشور فقد كانوا يلفون الميت بملابسه ويضعونه داخل حصيرة واحيانا في جلد حيوان ويوضع في تابوت من الطين ٠ وما ان تتم كل هذه المراسيم حتى يحمل المشيعون من العشيرة والعشائر الاخرى الجنازة ويرفعون بيارغهم الملونة ويسيرون خلف الجنازة لمسافة طويلة وقد يصلون الى المدينة ٠ اما اذا كان المتوفى من المعروفين والملاكين الكبار فتذهب معه مجموعة كبيرة من السيارات الى مرقده الاخير ٠ اما قبل اكثر من اربعين سنة فقد كان (الكديش ، وهو الحصان غير الاصيل) الواسطة الرئيسية في نقل الموتى الى النجف وكثيرا ما تعرضوا خلال هذه السفرة الطويلة الى السلب والنهب من قبل قطاع الطرق ٠ وقد تتعفن الجثة ويصيبها التلف وخاصة في موسم الصيف لذلك كانوا في بعض الاحيان يلجأون الى دفن الجثة (امانة) في القرية وبعد مدة ينبشون القبر وينقلونها الى النجف ٠ اما اذا كان المتوفى فقير الحال فان اهل القرية يجمعون ثمن **(الزتت)** اي اجور النقل والدفن ويعتبر اهل

القرية جمع ثمن الدفنة من الواجبات المقدسة وينالون عليها الثواب الكثير.
وقد يعجزون عن نقل الرفات الى النجف عندها يأتي احد اقارب المتوفى ويضرب القبر قائلا (ياكاع اخلي امانتج) عندها يعتقدون ان الجثة سوف يصيبها التلف ويجري لها ما يجرى لبقية جثث الاموات ولكن قليلا ما يحدث مثل هذا اذ انهم يعتقدون ان من الواجبات الاساسية دفن الميت في النجف لان النجف ومن فيها (كما يعتقدون) تدخل في الجنة وان الميت الصالح تنقله ملائكة الله الصالحين الى النجف وان كان دفنه في بقعة اخرى والانسان الظالم وغير الصالح تنقله ملائكة الله الى ارض السبخ البعيدة عن النجف لينال عقابه هناك .

اراني بعدت بعض الشيء عن جموع المشيعين فاعود . وعندما تجتمع جموع المشيعين يسيرون خلف الجنازة سيرا سريعا اقرب الى الهرولة منه الى المشي وقد يركب بعضهم الخيول ويبدأون باطلاق النار ويلقي بعض المهوسين هوسات واهازيج شعبية في مدح المتوفى وذكر فضائله وسجاياه وغالبا ما تكون غير ذات اهمية وما الهوسات الا نوعا من الرقص الجنائزي له ما يشبهه في قبائل افريقيا اذ يرقصون على قبر الميت كما تفعل بعض قبائل جنوب السودان اذ ترقص بعض الرقصات الشعبية البسيطة وتدق على الدفوف عند قبر الميت وبعدها ينتهي كل شيء[11] الا ان البعض منها سجلا لاحداث وطنية كثورة العشرين مثلا . قال بعضهم في تشييع احد الاشخاص في ثورة العشرين

ردتك تضل وتصير لاتلاها .
يسور العيص كل روجه يتلكاهه .
يعمر بيوتها ومكرم لحاياها .
(الهوسة) نتبهذل عكبك يا الهيبه .

ويردد بعده الجميع الهوسة لفترة معينة وهم يركضون ويدورون على شكل حلقة .

ومعناها كنت اود ان تبقى لاخر الدنيا لانك كالسور العاصي تكرم كبار السن من العشيرة وسوف تلحقنا البهذلة والاذية بعدك .

وقول آخر في شخص اسمه شمخي وقد يكون هذا الشخص من المحاربين في صفوف ثورة العشرين

ياهو المثل شمخي نلوذبيه لهاي
ياهو المثل شمخي ماخذ بكل راي
وياهو الهدم القشلة البنوهه عداي
(الهوسة) يالكايل تجذب صد ليهه

اي ان شمخي هدم المواقع العسكرية لان معنى كلمة القشلة مكان نزول العسكر[12] .

اما المرأة فلها عالمها الخاص فما ان تشعر بوفاة الشخص الذي تنتسب اليه حتى تأخذ بالعويل والبكاء بصوت مرتفع مرددة كلمة : (يابوي) وهي مأخوذة من كلمة يا ابي للاستنجاد بالاباء والاجداد عند الشدة وحدوث الامر الجلل كما يقال ثم تأخذ في لطم خديها وصدرها اثناء صراخها وتمزق ملابسها وخاصة عند الصدر وتضع الرماد والتراب على رأسها وتقص شعرها وكلما قصرت شعرها كلما دل على عمق حزنها . وتصبغ المرأة ملابسها باللون الاسود او النيلي وقد تستمر مدة الحداد سنة كاملة او اكثر ولن تخلع المرأة ملابس الحداد الا بعد زيارة مقام احد الاولياء او الائمة . وقد يصبغ الرجل ملابسه ايضا ويشماغه بلون اسود او نيلي . اما زوجة المتوفي فيفرض عليها الحداد ويحرم عليها النظر الى الرجل او مجالسته ولمدة تزيد على الاربعة اشهر للتأكد من حملها او عدمه . ويمتنع اقارب المتوفى عن حلق لحاهم وشواربهم ولمدة شهر على الاقل اظهارا لمعالم الحزن والجزع على المتوفى .

اذ ان التقاليد والعادات من الصعب تجاوزها في الريف وخاصة فيما يخص الحزن والموت .

وتتضخم عادات الاحزان والوفيات اكبر ويتعلق الريفي بالاباء والاجداد والاولياء تعلقا شديدا ويعتمد على ذلك اعتمادا كبيرا في حل مشاكله وحياته المعاشية . ولن يقسموا بارواح الموتى كاذبين اما اذا توفيت المرأة فان حدة الحزن تكون اقل ولن تشيع بالاهازيج والهوسات العشائرية اذ يشيعها بعض اقاربها واهل قريتها سكوتا استصغارا لشأنها رغم كونها عنصرا مهما في المزرعة وتشكل جانبا مهما من جوانب البناء الاقتصادي للفلاح في الريف .

اما الصابئة فحزنهم على الموتى اقل ولن تقص المرأة شعرها او تندب طويلا(١٣).

لعل ذلك من بقايا عادات موغلة في القدم اذ ان بعض المتوحشين كانوا يصلمون اذانهم ويجدعون انوفهم ويكسرون اسنانهم تقربا للالهة وطلبا لودها وعطفها (١٤).

وللميت رهبة وخشية في الريف وان هذه الرهبة متأتية من رعب الانسان من الفناء والهلاك وهناك ادلة على ما اقول تمتد الى فترة بعيدة نوعا :

اصيبت احدى القرى بالوباء واخذ افراد القرية يتساقطون واعتاد بعض المكارين ان يحضر الى القرية يوميا جالبا معه تابوتا لنقل الموتى . حتى اصبحت رؤية ذلك الشخص من المناظر المكروهة في القرية وسمع بذلك اقطاعي المنطقة . وبعث في طلبه مع تابوته وما ان حضر حتى امر رجاله ان يضعوه في التابوت رغم احتجاجه وتذلله الا انهم وضعوه في

التابوت واغلقوا باب التابوت عليه بالمسامير واتوا بالحصان وربطـوا التابوت فوقه وضربوه ضربا شديدا فهرب الحصـان متوجهـا الى دار صاحبه · واخذ المكاري يستغيث في الطريق طالبا من المارة فتح التابوت واخراجه ولكن المارة ما ان يسمعوا ميتا يتكلم حتى يهربوا بعيدا واخيرا وصل الحصان الى دار صاحبه وتجمهر الناس بعيدا عنه وهو يستغيث وليس من مخلص له واخيرا هدأ روع الناس وقال اهله انه صوت فلان· وتجرأ البعض وفتح التابوت واخرجه منه وما ان علم الاقطاعي بذلك حتى اخذ الضحك والجذل منه ماخذه وانتشى لفعلته الطائشة ·

اما الحادثة الاخرى التي تدلل على الرعب الذي يصيب الانسان من الميت او عندما يخيل اليه ان الحياة قد عادت اليه ·

سيارة من سيارات الباص كانت تحمل تابوتا فارغا وكان الجـو ماطرا واحتار مساعد السائق كيف يتخلص من المطر :: رمى نفسه داخل التابوت الفارغ واثناء الطريق ركب بعض المسافرين فوق سطح السيارة ايضا · رأوا تابوتا ولكنهم لم يكونوا على علم بفعلة مساعد السائق ·

واراد المساعد ان يتأكد من وجود المطر فاخرج يده من التابوت ·

وما ان رأى الركاب اليد تخرج من التابوت حتى جزعـوا اشـد الجزع وظنوا ان الميت قد دبت فيه الحياة من جديد ·

والقى البعض منهم بانفسهم من ظهر السيارة الى الارض وهلـك البعض واصيب الاخرون بجروح بليغة ·

القبـــور :

ويدفن الميت عادة في النجف وان كان البعض يدفن موتاه في كربلاء او الكاظم · ولكن الغالبية العظمى يدفنون موتاهم في النجف · ويشترط ذوو المتوفى ان يكون القبر (كَسِرْسِن) اي لم يدفن فيه احد قبله · وقد يدفن بعض الاغنياء في صحن الامام علي في سرداب معد لذلك وفي احيان اخرى يبني بعض الاغنياء من الملاكين والاقطاعيين سردابا في المقبرة يدفن فيه هو واسرته · وحالما ينتهى من تهيئة القبر تنزل الجنازة فيه وتوضع على الارض قبل ان تدفن كما سبق وان اشرت الى سبب ذلك · ويفتـح الكفن داخل القبر ويوضع خد الميت على التراب ويضعون تحت رأسـه حجرا · ويترك في يد الميت خاتمه وقد يضع البعض في كفنه قطعة ذهبية او في فمه كذلك وهناك مثل يقال (بني آدم ما تترس حلگه غير الحجارة) اي انه طماع وعندما يموت توضع الحجارة في فمه ·
ويهتم الصابئة بوضع قطعة ذهبية في كفن الميت ·

وقد اوصى البعض بدفن جريدة من سعف النخيل خضراء حتى لا يتعرض للعذاب ما دامت الجريدة خضراء ٠

بعد ذلك يحثى عليه التراب من الجميع ويرش الماء فوق قبره ٠ ولا شك ان الماء لدى القدماء كان اصل الحياة وعندما ترش المومياء بالماء يعتقدون بعودة الحياة اليها(١٥)٠ اما سكان العراق القدماء فقد كانت قبورهم بسيطة الا انهم كانوا يدفنون مع الملك حاشيته وخدمه اضافة الى اثاثه وملابسه وحاجاته التي كان يحتاج اليها ٠ ولا شك ان تحرر الانسان من هذه التقاليد الوحشية كانت ثورة تحررية هائلة اذ استعيض عن ذلك بالحيوانات والصور ٠ كما انهم كانوا يضعون للميت وسادة مزركشة ٠ وقد يكسرون يد بعض الموتى ويكبلونهم بالحبال وهذا الاسلوب يعامل به المجرمون حتى لا يعودوا الى اعمالهم السابقة هناك ٠ كما كانوا يضعون يد الميت قريبة من فمه٠(١٦) وما ان ينتهي من مراسيم الدفن حتى يوزع بعض الاكل وقد تنحر ذبيحة عند قبر الميت وتقرأ بعض الادعية وهي من باب التلقين التي على الميت ان يقولها عندما يأتي اليه (منكر ونكير)

وقد يؤجر البعض قراء يقرأون على قبر الميت لمدة ثلاثة ايام الا انه استعيض عن ذلك بمراسيم الفاتحة لانهم يعتقدون ان الميت لن يترك لوحده في اول ليلة ولمدة ثلاثة ايام وحتى لا تعصره ارض القبر عصرا شديدا ويجلد من قبل الملائكة(١٧) ٠ وان وجود القطعة الذهبية يخفف من هذا العذاب لانه يهديها الى الملائكة ٠ الا ان التفسير الصحيح للذهب لانه من المعادن النفيسة التي تسبب الخلود للانسان القديم وانها تحتوي على اكسير الحياة كما كان القدماء يعتقدون بذلك ومنهم قدماء المصريين بصورة خاصة ٠ ولا شك ان التفتيش عن اكسير الحياة دفع عجلة الحضارة كثيرا الى الامام ٠

الفاتحة :

والفاتحةفي معناها قراءة سورة الفاتحة على روح الميت والترحم عليه٠ وللتدليل على وجود اقامة الفاتحة تنصب خيمة سوداء كبيرة في المحل الذي تقام فيه الفاتحة ولا ادري اصل هذه العادة قد تكون كاشارة للاخرين على وجود حدث الفاتحة في هذه القرية لا اكثر ٠

الا ان التسمانيين ينصبون خيمة يضعون فيها الانسان عند وفاته رغم انهم يسكنون في العراء(١٨) الا انى لا اجد اي ترابط بين هذه وتلك٠

ويبنى للنساء بناء من القصب (والبواري) حصران مصنوعة من القصب وتسمى **(بارگة او بورگة)** وتستمر الفاتحة ثلاثة ايام ٠ تتقاطر خلالها وفود المعزين من انحاء المنطقة لتعزية اسرة المتوفى ٠ وكل يجلب

معه هدية او كل اسرة او عشيرة بالاصح وقد تكون الهدية نقـديـــة او عينية ٠

ومن الاصول المتبعة في مثل هذه الحالة ان المعزين لن يذهبوا قبل تناول وجبة من الطعام ٠ ويعتبر خروجهم قبل الغذاء منقصة في حق اسرة المتوفى ٠ كما ان هدايا الفواتح تعتبر من الديون الممـتازة ولا يجـــوز تجاوزها كما ان على ذوي المتوفى ان يقدموا للقادمين المعزين القهوة المرة وعلبة سجاير وعدد من سجاير (المزبن) مع شخاطة في الغالب وللجميع بدون استثناء الا انهم يكرمون من يريدون في موقع محل جلوسهم ونوع السجاير وكمية سجاير (المزبن) ٠

وفي بعض القرى يقدم سكان القرية الرز المطبوخ الى ذوي المتوفى وضيوفهم كوجبة غداء وعشاء خلال الايام الثلاثة وعلى اسرة المتوفـى ان تقدم اللحوم والمواد الاخرى اللازمة لوجبة الغداء والعشاء ويقرر ضخامة الصرف على اقامة الفاتحة مركز المتوفى الاجتماعي والاقتصادي ٠

ويقدم الرز في صحون كبيرة جدا من النحاس قد يسع بعضها نصف وزنة من الرز او اكثر توضع في وسط المضيف وتكلل باللحوم والشحوم وتكون الية الخروف بارزة امام الجميع وكبرها او صغرها يدل على كرم او بخل ذوي المتوفى وتتقدم الوجبة الاولى وتسمى (جازة) من الصحون الكبيرة وتكون عادة من وجهاء المنطقة والذين يبعدون اكثر من غيرهم عن قرية المتوفى ٠ وفي بعض القرى يمتنع الضيوف عن اكل الية الخــــروف ويتركونها كما هي وقد يقوم المُضيِّف بتوزيع اللحـــوم على ضيوفـــه وتمزيق الية الخروف وتوزيعها من قبله على الضيوف

وعندما تنتهي الوجبة الاولى تعقبها الوجبة الثانية والثالثـــة وعلى نفس الصحن بعد رفع بقية اللحوم السابقة وابدالها بلحوم جديدة والية خروف أخر ٠ وهكذا حتى يتغدى جميع الضيوف ٠ وقد يرفع بعضهـــم بيده كمية من اللحم والعظام ليقدمها هدية منه لمن يقوم بصب المـاء على يديه من الاطفال وفقراء القرية ويسمى (سهم البراك) اي حامل الابريق وقد يصب البعض صفيحة سمن حيواني فوق صحن الرز المســـلوق ٠ ويحضر احيانا بعض المتكسبين ويلقون قصائد شعرية في مدح المتوفـى وذويه وذكر مكارمهم والخصال الحميدة للمتوفى ٠ وخاصة عندما يكون المتوفى اقطاعيا كبيرا ٠ ويضطر ذوو المتوفى الى تقديم بعض العطاء ٠

اما (الروزخونية) فيقرأون تعزية الامـام الحســـين وينتظـــرون الحصول على بعض المال وهدية من مال المتوفى او بعض الحقوق ٠ كمـا ان اقرباء المتوفى يتفقون احيانا مع بعض من هؤلاء على قراءة القرآن على روح المتوفى اوصيام الشهر واقامة صلاة عوضاعنه اذ قد يكون المتوفى مقصرا في ادائها فيعوض عنه بدفع مبلغ من المال لقاء ذلك عندها تخفف من ذنوبه

يوم القيامة وقد يكون المتوفى ثريا ووجبت عليه اداء فريضة الحج عندها يدفعون بعض المال لاحد الاشخاص ليحج عوضا عنه ٠

اما مآتم النساء فتمتاز بكثرة النواح والبكاء واللطم على الصدور والخدود ٠ ولن تعتبر الفاتحة قائمة ما لم تحضر (الشاعرة) وهي المرأة المحترفة لاقامة المآتم وارتجال الشعر في امثال تلك المجالس النسوية فتأخذ في ندب الميت واهله وعشيرته معددة صفاته ومكارمه الحميدة سواء اتصف بها او لم يتصف الا انها تنسبه الى الكرم او الشجاعة والنخوة ٠ و ٠٠٠ و ٠٠٠ وجميع الصفات الحميدة كانها اتصفت فيه لذلك اصبح اكثر اقوالهن مكررة معادة ٠ وعندما تذكر اموات الجالسات في مجلس الفاتحة او المستمعين اليها من بعيد من الرجال فعليهم حالا ان يكرموها ويبعثوا لها بعض المال والا اتهموا بالبخل وعدم مراعاة الاصول ٠

وقد سجل لنا الشعر الشعبي النابع من الالم والحزن العميق المتأتي من ظلم الاقطاعيين ودفع الفلاحين الى مقاتلة بعضهم البعض دون ادنى فائدة مثيرين فيهم النعرات القبلية البغيضة وتمزيق صفوفهم واثارتهم ضد بعضهم البعض لقد رثت احداهن ابنها المقتول في معركة ظالمة سببها الاقطاعيون ٠

اشچان لك واشچنت بيه
يا هديب يابني معتنيه
انت اتجدمت واخطيت بيهه
وشيخ العشيرة الواجف ابتاليهه
يحسب دومكم فرحان بيهه

او قول احدى نساء الاقطاعيين تشتم الفلاحين لانهم لم يلبوا نعيق البوم ولم يشتركوا في معركة هم الخاسرون فيها دائما :

هاكَمْ شيلتي وانطوني چفافيكَمْ
جِرف ادباغ ما تسوون اثاريكَمْ
حته اهل المغازل بيسوا بيكَمْ
صيرَو خيل لحتيرش يشبيكَمْ
(الهوسة) العِفِ يحتيرش هايك هديناه

والشيلة الفوطة التي تلبسها المرأة على رأسها والچفافي اليشاميخ التي يضعها الفلاحون على رؤوسهم وفي ذلك اهانة لهم ٠

وجرف دباغ اي قشر رمان واقل هو قدركم والشطر الاخير يسفههم بالخيل مبالغة في التحقير والعف اي اننا نطلب منك العفو وان ماءك سوف يفتح ٠

وقد تعبر (الشاعرة) عن معنى واقعي ملموس كقول احداهن تصف احد الصيادين وكرمه وحسن خلقه الذي يتصف به اثناء العمل :

دكت گهوة سليطين والتمت العبرية
دوروا للشيخ هناك لا تطفر البنية

(والعبرية) فرقة الصيادين الذين يعملون مع سليطين ولكن البعض منهن تصف الشخص بما ليس فيه فقد وصفت احداهن رجلا مسكينـــا بالشجاعة :

اجهلي زلزلة • وطاحت من رعيد
اجهلي يا حيد الزلم يا مجندل صناديد

والريفيون يسمون الصاعقة (زلزلة)

وخلال الايام الثلاثة بعد وفاة الانسان توزع الحلوى على بيــوت اهل القرية وتكون عادة حلاوة تمر ثوابا لـــروح المتـــوفى وتسـمى **(فتوش حلگ)** • ويعتقدون ان هذا الثواب سيصل الى روح الميت حالما يقرأ من اكل منها سورة الفاتحة ودعاء خاص يقولونه بعد سورة الفاتحة والدعاء هو (عدية واصلة ورحمة نازلة من دار الدنيا الى دار الاخـرة • انا اهديه وملايكة الله الصالحين توديه الى روح فلان) •

لذلك يؤكد موزعو الحلوى على من يستلم الحلوى بقولهم (اقـرأوا الفاتحة على روح فلان او فلانة) لقد كانت اسطورة قديمة تدعو الى فتـح فم الميت عند وضعه في القبر حتى يستطيع ان ياكل عندما تعاوده الحياة وقد تطرقت الى ذلك قبل قليل •

اما توزيع ماء الورد واشعال البخور في اليوم الثالث من الفاتحـة فلا اثر له في الريف وقد كان استعمال البخور والماء لترطيـــب الموميـاء ليساعد على اعادة الحياة اليها مرة اخرى[١٩] •

وفي اليوم الثالث تنتهي مراسيم الفاتحـــة عندها يقـــال (طاحت الفاتحة) • ويقوم شخص من وجهاء المنطقة او رجل دين يطوي طرف احد افرشة الفاتحة وهو يردد (**انشاء الله خاتمة السوء الله لا يريكم مكـــروه ويطيل اعماركم**) اذ من المتعارف عليه ان لا يرفع الفراش ولا يكنس محل الفاتحة خلال الايام الثلاثة من الفاتحة •

القرابين والضحايا :

لم تكن القرابين بالحدث الجديد في حياة الانسان لقد وجدت منـذ العصور السحيقة عندما شعر الانسان بالخوف من المجهول واضـطر الى عبادة الاجداد والتقرب اليهم وكسب ودهم لزيادة الخير وخصب الحقول في انتاجها ومن تقديس الاجداد ونشوء (الطبو) تكون الخوف والتقـــرب الى الاله بالقرابين البشرية ثم الحيوانية واخيرا الادعية •

ولا شك ان التحول من تضحية الانسان الى الحيوان كانت في وقتها ثورة على التقاليد وانقاذ الجنس البشري من عادة بربرية مهلكة ٠ واستعيض عنها بالحيوان والدعاء

ومن القرابين التي يقدمها سكان الريف الجنوبي من العراق وفي محافظة ذيقار بالذات **الاضحية** وتذبح عادة في عيد الاضحى وتكون من الاغنام او البقر وقد تكون من الجمال ايضا ويذبح للرجل من ذكور الاغنام او البقر وللانثى من اناث تلك الحيوانات ويشترط فيها بلوغ سن معينة ففي الاغنام اكثر من سنة وفي البقر اكثر من سنتين وفي الابل اكثر من خمس سنوات والاضحية واسطة الميت يركبها يوم القيامة لذلك يجب ان تكون سمينة وخالية من جميع العيوب حتى تستطيع ان تحمل راكبها ٠ لانهم يعتقدون انها تحافظ على ما هيعليه حتى يوم القيامة ٠ اما **العقيقة** فتذبح عادة قبل وفاة الانسان وقد تكون بعد وفاته ايضا ولا يحق لصاحب العقيقة ان ياكل منها هو او اسرته ٠ ويقوم بمراسيم ذبحها رجل مطلععلى ذبح مثل هذه الذبائح وحتى السكينالتي تذبح فيها العقيقة يجب ان تكون من صاحب العقيقة وكذلك الملح والبهارات واجور الطبخ٠ وتذبح العقيقة في اي يوم من ايام السنة ٠ اما هدايا الاموات فتكون عادة في ليالي الجمع وفي ليلة القدر حيث يعتقد بنزول الروحمنشجرة الارواح التي في السماء ووصولها الى دار اهلها وذويها ٠

لذلك يجب ان تقدم لها القرابين والهدايا (والثواب) كي تزول عنها الذنوب التي اقترفتها في هذه الدنيا ٠ وهناك اعتقاد شائع في الريف ان ارواح الاخيار تصعد للسماء وارواح الاشرار تبقى في القبر كما ان ارواح الناس تبقى في البرزخ الذي هو الوسط بين الجنة والنار حتى ياتي يوم الحساب فيستقبلها رضوان خازن الجنة ومالك خازن النار ولن يجتاز الصراط الا الصالحون ٠

وتؤكد القصص والحكايات بصورة تجلب الانتباهعلىالملكية الخاصة وتقديسها حتى ان الانسان لا يستطيع ان ياخذ عودا من بستان او مزرعة ما لم يستاذن صاحبها والا فسوف تقطع من جلده يوم القيامة[٢٠]

وفي الحكايات المتداولة ما يوحي بالسكوت على الظلم وترك عقاب الظالم الى يوم القيامة وسوف يلقى جزاء عمله هناك ٠ وفي هذه الافكار تثبيط للهمم لمحاسبة الظالم واستعادة حقوق الاخرين منه ٠

اما الصابئة فيعتقدون بالخلود ايضا وبوجود النار وعالم النور وهناك (**المطرثي**)[٢١] بين الجنة والنار يخلد فيه الانسان حتى يوم الحساب ٠ واخيرا فقد حاول الانسان تخليد ذاته وبمختلف الطرق ومنها الطريقة الميتافيزيقية ٠ ولكنه بدأ يخلد ذاته باعماله الخارقة التي

تحقق السعادة والمحبة والاخوة لجميع البشر وغلق الطرق الاستغلالية البشعة ومواقد التعاسة والبؤس ٠

عندها تتحقق الجنة في هذه الدنيا ويعيش الانسان كانسان يرفل بحريته وكرامته بعيدا عن مخالب البؤس والجوع ٠

---

(١) مصر القديمة - تاليف سليم حسن - مطبعة كوثر - مصر ص٢٣٨ ٠

(٢) مجلة التراث الشعبي - العدد ١١ - السنة الثالثة ١٩٧٢ - الزواج والنظام القبلي في جنوب العراق - حسين الجليلي ٠

(٣) ضرورة الفن - تاليف ارنست فيشر - ترجمة اسعد عبدالحليم - الهيئة المصرية العامة ١٩٧١ ص٤٩ ٠

(٤) اصل العائلة - فردريك انجلز - دار النداء ص٧٧ ٠

(٥) نصوص حول الموقف من الدين - ترجمة محمد الكبة - مراجعة العفيف الاخضر - دار الطليعة - بيروت ص٥٦ ٠

(٦) مجلة الاقلام العراقية - العدد ٦ - ١٩٧٢ - دراسة في حضارة العراق : الشرق الاوسط والادنى القديمة - ترجمة د٠ وليد الجادر ٠

(٧) ضياء الصالحين - ط١١ - ١٣٨٤هـ مطبعة الاداب - النجف - العراق ص٢٢٩-٢٣١

(٨) قصة الحضارة جـ١ م١ - تاليف وول ديورانت - ترجمة د٠ زكي نجيب محمود - جامعة الدول العربية ٠

(٩) علم الشرائع للشيخ الصدوق ص ٢٩٨-٣٠٩ ٠

(١٠) الصابئون في حاضرهم وماضيهم - السيد عبدالرزاق الحسني - مطبعة العرفان - لبنان - صيدا ١٩٥٥ ص ١١٨ - ١٢٨ ٠

(١١) مجلة الكتاب المصرية عدد ٨ - ١٩٤٦ ص٢٥٠ ٠

(١٢) المنجد ص٦٣١ - ١٩٦٠ ط٢٠ ب ق ٠

(١٣) الصابئون في حاضرهم وماضيهم - نفس المؤلف والصفحات ٠

(١٤) معلم تاريخ الانسانية هـ٠ ج٠ ويلز - ترجمة عبدالجليل جاويد ص١٢٦ ٠

(١٥) نظرية التطور واصل الانسان - سلامة موسى ص ١٩٦-١٩٨ ٠

(١٦) وادي الرافدين مهد الحضارة ٠ السير ليونارد دولي - تعريب احمد عبدالباقي - مكتبة المثنى - بغداد - مطابع دار القلم - القاهرة ، نظرية التطور واصل الانسان - نفس المؤلف ص ١٩٦-١٩٩ ٠

(١٧) علم الشرائع للشيخ الصدوق ص ٢٩٨-٣٠٩ ٠

(١٨) مصر اصل الحضارة - سلامة موسى ص٥٣ ٠

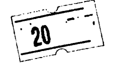
(١٩) مصر اصل الحضارة - سلامة موسى ص١٢٢ ، ١٢٣ ٠

(٢٠) ارشاد الحيدري ص ٣٩٤ - ٤٦٨ ٠

(٢١) الصابئون نفس المؤلف والصفحات ٠

ثبت الموضوعات


م. سرمد حاتم شكر





دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام

السعر: دينار و سبعمائة وخمسون فلساً